شرح كتاب

الفتن وأشراط الساعة

من صحيح مسلم

فضيلة الشيخ الدكتور

سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

شرح كتاب

الفتن وأشراط السَّاعة

من صحيح مسلم

فضيلة الشيخ الدكتور

سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ الدِّراسات العُليا بالجامعة الإسلاميَّة بالمدينة النبويَّة

تنبيه : التفريغ لم يراجعه الشيخ حفظه الله

الحمد لله الملك القدوس السلام، أكرمنا بدين الإسلام، وأكمل لنا الدين وأتمَّ علينا الإنعام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده المعبود الحق على الدوام، وعد الموحدين بالجنة دار السلام، وتوعَّد العصاة بجهنم دار الانتقام، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله المبعوث رحمة للأنام، ختم الله به الأنبياء فكان مسك الختام، من التزم سنته اهتدى واستقام، ومن أحدث في أمره ما ليس منه فهو رَدٌّ مع الآثام. صلى الله عليه وسلم أكمل صلاة وأتم سلام، ورضي الله عن آله الطيِّبين الأعلام وصحابته الخيار الكرام.

أما بعد:

فمعاشر الفضلاء؛ نجتمع في مسجد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نتدارس العلم والخير، ونحن نرجو الله -عز وجل- أن يرزقنا بذلك فقهًا نافعًا، وأن يكتب لنا أجر حبس أنفسنا على التعلُّم، فإنّ النبي صلى الله عليه وسلم بشّر ببشارة عظيمة؛ فقال صلى الله عليه وسلم: «من دخل مسجدنا هذا يُعلِّم خيرًا أو يتعلَّمه كان كالمجاهد في سبيل الله»، وقال صلى الله عليه وسلم: «من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلَّم خيرًا أو يعلِّمه كان له كأجر حاجٍّ تامًّا حجته».

ونحن -أيها الإخوة- في هذا اليوم وما بعده من الأيام سنقرأ في أحاديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، نسمع كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه، وذلك من خلال القراءة في أمرٍ من الأهمية بمكان؛ ألا وهو:

"كتاب الفتن وأشراط الساعة من صحيح الإمام مسلم -رحمه الله عز وجل-".

والمعلوم -أيها الإخوة- أنّ النبي صلى الله عليه وسلم بيّن الفتن، وحذّر منها تحذيرًا شديدًا، وبيّن أسباب الخروج منها، فاهتم بباب الفتن اهتمامًا عظيمًا، واهتم الصحابة -رضوان الله عليهم- بهذا الأمر، فكانوا يسألون عن الفتن، كانوا يسألون الرسول -صلى الله عليه وسلم- في حياته عنها، ثم بعد أن مات -صلى الله عليه وسلم- كانوا يسألون الأعلم بها؛ كما سيردنا -إن شاء الله عز وجل- فيما أورده الإمام مسلم رحمه الله.

وهذا يدل على أنّ المسلم ينبغي عليه أن يهتم بأمر الفتن، لا ليقع فيها ولا ليكون من وَقودها؛ وإنما ليَحذرها، ويُحذِّر منها، ويعرف الأسباب الجالبة للسلامة منها.

ونحن في هذا الزمن أشدُّ حاجة من غيرنا، لأنّا نعيش في زمن تموج فيه الفتن موجًا، فتنوّعتْ وتكاثرتْ وتولّدتْ، سواءً ما يتعلّق بفتن الشبهات التي تنوّعت، أو ما يتعلّق بفتن الشهوات التي كثُرت وأصبحت سيلًا عارمًا، لا سيما ونحن في زمن تعددت فيه وسائل الاتصال، وأصبح ما يحدث في العالَم كلّه كأنه يحدث في حيٍّ واحد، فتُعرَض فتن الدنيا على الإنسان وهو في بيته، سواءً ما يتعلّق بالشبهات أو الشهوات، أصبح الإنسان يُلابِس الفتن في بيته، في شارعه، في وظيفته، في مدرسته، في كل مكان.

فما أحوجنا إلى أن نعرف هدي نبينا -صلى الله عليه وسلم- في التعامل مع الفتن؛ لأنه - والله - لا سلامة للأفراد ولا للمجتمعات من الفتن إلا بسلوك هدي محمد -صلى الله عليه وسلم- واتّباع محمد -صلى الله عليه وسلم- فيما بيّنه في هذا الباب.

ونحن -إن شاء الله- سنقرأ ما أورده الإمام مسلم -رحمه الله-، وستكون عنايتنا بالمتن، أمّا لطائف الأسانيد -وهي كثيرة جدًّا- فإنّا لن نعرِض لها في شرحنا هذا؛ لمقام الوقت وما يقتضيه المقام، ولذلك سنقرأ مختصرين السند،مقتصرين على الصحابي الذي روى الحديث، مكتفِين بأنّ الحديث في صحيح مسلم؛ الذي تلقّته الأمة بالقَبول، واتفق علماء الأمّة على صحة ما فيه من حيث الجملة.

ونبدأ مستعينين بالله في قراءة ما يتعلّق بهذا الكتاب.

بسم الله، الحمد لله، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على خير خلق الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

يَقُولُ الإِمَامُ النوَوِيُّ -رَحِمَهُ الله-:

[كِتَابُ الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ]

[يَقُولُ الإِمَامُ النوَوِيُّ] -رَحِمَهُ الله-؛ لأنّ الذي بوّب صحيح مسلم هو الإمام النووي، فالإمام مسلم -رحمه الله- لم يبوّب الصحيح ولم يقسّمه عَنْوَنَةً وإنما قسّمه بالموضوعات، إذا تأمّلنا صحيح مسلم وجدنا أنه قسّمه تقسيمًا على الموضوعات؛ فكتاب الإيمان، وكتاب الطهارة، وكتاب الصلاة، كله في موضع واحد، لكنه -رحمه الله- لم يُسمّها، فجاء الإمام النووي وخدم هذا الكتاب؛ ومن خدمته له أنه بوّب له.

قال: [كِتَابُ الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ]؛ الفتن -أيها الإخوة-: جمع فتنة، والفتنة لها في لغة العرب وجوه، فمنها العذاب، ومنها الإحراق، ومنها الحروب، ومنها الإبتلاءوالإمتحان؛ وكل هذه وجوه لمعاني الفتنة عند العرب.

وأصل الفتنة: الإبتلاء ، مأخوذةٌ من قولك: فتنتُ الفضة والذهب إذا أذبتهما بالنار ليتميّز الرديء من الجيّد.

وفي الصحاح: إذا أدخلتَه النار لتنظر ما جودته.

إذن الفتنة -أيها الإخوة- أصلها هو الإبتلاء؛ ولذلك يقول الحافظ ابن عبد البر: "وجماع معنى الفتنة: الإبتلاء والإمتحان والإختبار".

والفتن قد تكون في المحيا، وقد تكون في الممات، ولذلك أُمرنا بأن نستعيذ من فتنة المحيا ومن فتنة الممات.

والإستعاذة من الفتن معناها -يا إخوة-:

- إما أنه طلب عدم إدراكها؛ كالإستعاذة من فتنة المسيح الدجال، تقول: أعوذ بالله من فتنة المسيح الدجال؛ يعني تطلب من الله ألا تدركك هذه الفتنة.
- وقد تكون الإستعاذة طلبًا لعدم الوقوع فيها إن وقعتْ؛ كالإستعاذة من فتن المعاصي، المعاصي واقعة، وأنت عندما تستعيذ بالله من فتن المعاصي فأنت تسأل الله ألا تقع فيها.
- وكذلك الإستعاذة من فتن الحروب التي تقع بين طوائف المسلمين، فإنّ هذا معناه أنك تسأل الله ألا تقع فيها عند وقوعها.
- وقد تكون الإستعاذة من الفتن طلبًا لإصابة جادّة الصواب فيها؛ وذلك كالإستعاذة من فتن الطاعات، فالطاعة فيها فتنة -كما سنذكر إن شاء الله- والاستعاذة من فتنتها معناه: أنك تسأل الله أن يوفقك للصواب في الطاعات.

فهذا معنى الإستعاذة الذي يشمل كل الفتن.   وفتن المحيا كثيرةٌ جدًّا، في الأهل والمال والدين والدنيا؛

١) فمن الفتن:الإختبار والمحنة.

ومن ذلك -يا إخوة- الإفتتانبالطاعات، الواحد منا قال: آمنتْ، قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، فلابد أن يُفتَن؛ ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[العنكبوت:٢ بلى والله ، سيُفتن الإنسان، ومن فتنة المسلم أن يُفتَن بالطاعات، فيؤمَر بالصلاة، ويؤمَر الرجل مثلا بإعفاء اللحية، فهذه فتنة وابتلاء يُختبَر بها المسلم، لأنّ بعض الناس إن أُمِرَ بما يُحب فعل، وإن أُمِرَ بما قد لا يحبه لم يفعل.

يُبتلى المؤمن بالأمر بطاعة وليّ أمره ولو كان فاسقًا، فهذه فتنة، فتنة ابتلاء وإختبار ليتبيّن المطيع من العاصي، ليتبيّن أهل الجنة من أهل النار.

٢) ومن الفتنة: المال.

٣) ومن الفتنة: الأولاد؛ ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[التغابن: ١٥]، **فقد يُفتَن المسلم بأولاده، وقد يُفتَن من أولاده، وقد يُفتن في أولاده.**

قد يُفتن بأولاده فيلهوا بهم عن الطاعات؛ كما قال الله -عز وجل-: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١-٢] فيلهوا بهم.

وقد تكون فتنة الإنسان من أولاده، فكم من ولد فتن أباه، كم من أب مطيع على السنة ابتلي بابنٍ على البدعة؛ جرّ رجله من السنة إلى البدعة.

وقد يُفتَن في أولاده، بما يقع من الفتن للأولاد في الشارع والمدرسة والبيت؛ فهذه فتنة.

وقد يُفتن الإنسان بماله، وقد يفتن في ماله، يفتن بماله فيلهوا في جمعه عن الطاعات، يسمع قول المؤذن "الله أكبر" فلا يسارع إلى المسجد، يعقد الصفقات، يعلم أنّ هذه المعاملة حرام فلا يتركها فتنةً بالمال، وقد يُفتن في ماله، المال عنده، الأول في طلبه، والثاني يكون المال عنده لكنه لا يعرف حق الله فيه، فلا يصل به رحمه، ولا يُخرِج منه زكاة ولا غير ذلك، فمن الفتنة المال والأولاد.

٤: ومن الفتنة: الكفر -والعياذ بالله-؛ كما قال الله -عز وجل-: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾[البقرة: ١٩١]أي أنّ الكفر أشد من القتل.

٥:ومن الفتنة: **اختلاف الناس بالآراء**؛ كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا))؛ فهذه فتنة.

٦: ومن الفتنة: **فتنة المسلم بالناس**، نعم، قد يُفتن المسلم بالناس، إما بتشنيعهم، وإما بحمدهم.

يُفتن بتشنيعهم؛ كتشنيع بعض الناس على الموحّدين، فإذا وحّد الله جاء إلى الحج مثلًا وسمع كلام أهل العلم المبني على قال الله قال رسوله -صلى الله عليه وسلم- وامتلأ قلبه بنور التوحيد ورجع إلى بلاده عازمًا على ألا يصرف العبادة إلا لله، فيأتيه المشنّعون ويقولون: جاء وهّابي، رجع من السعودية بإسلام سعودي! يُشنّعون عليه، يُفتن بهذا التشنيع.

وكما لو تمسّك المسلم بالسنة فأعفى لحيته ورفع إزاره فيُشنّعون عليه ويقولون: متشدد، حنبلي! فيُفتن بالتشنيع فيترك الحق من أجل فتنة الناس.

وهذه فتنة عظيمة، قال الله -عز وجل-: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ﴾ [العنكبوت: ١٠]فإذا أوذي في الله فشنّع عليه من حوله ترك الحق، فجعل فتنة الناس كعذاب الله، فأوقَع نفسه في عذاب الله من أجل الناس -والعياذ بالله-.

وقد يُفتن بحمدهم، فيقولون مثلًا: فلان يصلي في المسجد، فلان يُكثر من الصلاة في المسجد، فلان يقوم الليل، فلان رجل صالح، فلان حسن الخلق، والأصل في هذا أنه من عاجل بشرى المؤمن ما لم يطلبه الإنسان، لكن قد يُفتَن به فيقع في الرياء بسببه، فإذا كان يحضر للصلاة عند الأذان يبدأ يحضر قبل الأذان من أجل أن يزيد الناس، وإذا كان يخشع في صلاته يكون في صدره أزيز من خوفه من الله يزيد فيُظهِر الصوت بالخشوع من أجل أن يزيد الناس، هذا يُفتَن بكلام الناس يُفتّن بحمد الناس، قد يكون الإنسان طالب علم نفع الله به في مجاله، فيُحمَد فيقال: أنت علامة، أنت عالم، أنت إمام المسلمين! فيُفتن بهذا ويُصبح يتكلم في كل شيء، ثم ينقلب من أن يتكلم بما يُصلح الناس إلى أن يتكلم بما يُصالِح الناس، فيُفتَن بالناس.

فالمسلم قد يُفتن بالناس؛ سواء من جهة التشنيع أو من جهة الحمد.

والمعاصي كلها فتنة، وكل من فُتن بشيء من المعاصي والشهوات المحظورة فهو مفتون.

وقد يكون في هذا الباب من الفتنة ما هو أشدّ من مجرد المعصية -كما ذكره الحافظ ابن عبد البر-؛ ألا وهو الإصرار على المعصية والإقامة على الذنب، فالإصرار على المعصية أمره خطير حتى في الصغائر، ولذلك جاء عن السلف: "لا كبيرة مع الاستغفار، ولا كبيرة مع الإصرار" .

٧: **ومن الفتن العظيمة شديدة الخطر عظيمة الأثر: البدع المحدَثة** التي تُتّخذ دينًا وإيمانًا، ويُشهَد بها على الله افتراءً، ما شرعها الله لا في كتابه ولا في سنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- فيُفترى على الله بها، ومن فُتِنَ بها أحبها ولا يحب أن يُقصّر فيها، وأهون عليه أن يُقصّر في السنة الثابتة من أن يُقصّر في البدعة المحدَثة، ولا ينتقل عنها ويودّ أن يقبضه الله عليها، ولذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((إنّ الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة؛ حتى يدعها)) رواه الطبراني وصححه الألباني.

فهذا أيضًا مفتون بفتنةٍ أشدَّ من فتنة المعاصي؛ لأنّ البدع أعلى المعاصي، هي فوق الكبائر، وقد تكون كفرًا وقد تكون دون الكفر، فهذا مفتون، زُيّن له سوء عمله، ويودّ لو أنّ كل الناس مثله في هذا الأمر.

٨: **ومن الفتن: القتل** -كما سيأتي إن شاء الله-.

٩: **ومن الفتن: ما يُبتلى به الإنسان من زينة الدنيا** وشهواتها ولو كانت مباحة، فقد يُفتن الإنسان بالزوجة، هي حلاله؛ لكن يُفتن بها بأن يُعجَب بها فتشغله عن آخرته، بعض الناس يُفتن بزوجته، لا يُعفي لحيته لأن الزوجة لا تريد اللحية؛ تقول: نحّي عنك هذه اللحية، أنا أريد أن يكون خدك كخدي، فيحلق لحيته، وكم من سائل سألني بنفس هذا المعنى، وقد تطلب منه الحرام فيأتي به وهو يعلم أنه حرام؛ لأنه يحبها أعجبته فشغلته عن آخرته، ولذلك فسّر بعض السلف قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((ما تركتُ على أمتي فتنة أضرّ على الرجال من النساء بمثل هذا)) قالوا معناه: أخاف أن تُعجبوا بهن فتنشغلوا بهن عن الآخرة.

١٠: **ومن الفتن -كما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله-: الحروب بين ملوك المسلمين وطوائفهم؛** مع أنّ كل واحدة من الطائفتين ملتزمةٌ لشرائع الإسلام، انتبه للقيود، الحروب بين طوائف المسلمين وملوكهم؛

مع أنّ كل طائفة ملتزمة لشرائع الإسلام، مثل ما كان من أهل الجَمل وصِفِّين من المسلمين، مع أنّ كل واحدة من الطائفتين ملتزمةٌ بشرائع الإسلام؛ لكنهم اقتتلوا لشُبَهٍ عرضتْ لهم.

قال شيخ الإسلام: "**وأما قتال الخوارج ومانِعي الزكاة فليس من حروب الفتن، بل هؤلاء يُقاتَلون حتى يَدخلوا في الشرائع الثابتة عن النبي -صلى الله عليه وسلم-**".

وهذا أمر مهم ننبِّه عليه -أيها الإخوة- لأنّ بعض الناس يخلط بين حروب الفتن وبين غيرها، فلا يقف الموقف الشرعي.

فمثلًا؛ ما وقع من شرور من الطوائف الضالة في بلدان المسلمين -ومنها ما وقع في هذا البلد المبارك- من اعتداءات من قوم يزعمون أنهم يجاهدون، وليسوا بمجاهدين، فقاتلتهم الدولة منعًا لشرهم، وجزاها الله خيرا، فظنّ بعض الناس أنّ هذا الأمر من الفتن؛ أعني من قتال الفتن، فقال: فتنة طهّر الله منها سيوفنا فنطهّر منها ألسنتنا، فلا يُنكِر على أولئك ولا يُبغض أعمالهم ولا يصفهم بما يستحقون شرعًا، وهذا ليس موقفًا شرعيًّا.

فيجب أن يُفرّق المسلم بين ما كان من قتال الفتن على الوصف الذي وصفه شيخ الإسلام وهو أنّ كل طائفة ملتزمة الشرائع وبين قتال البغاة والخوارج؛ فهذا ليس من الفتن، بل ينبغي أن يكون للمسلم دور في إنكار منكر هؤلاء الذين جلبوا الشر على المسلمين من أول ظهور الخوارج إلى يومنا هذا.

هذا شيء من فتن المحيا.

<u>وأما فتن الممات؛</u>

- فقد تكون عند الإحتضار، فإنّ الميت تحضره الملائكة،
- وقد تكون في القبر أيضًا، فإنّا نُفتن في قبورنا، والإنسان يُفتن في قبره بالسؤال عن ربه ونبيه ودينه، فمن الناس من ينجو ويوفّق للصواب فينادي منادٍ: أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة، وألبِسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إليالجنة، فيأتيه من روحها وطيبها، ويُوسّع له مدّ بصره، ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيّب الريح فيقول: أبشر هذا يومك الذي كنتَ توعَد، أبشر برضوان من الله وجنات فيها نعيم

مقيم، فيقول: وأنت بشرك الله بالخير من أنت؟ فيقول: "أنا عملك الصالح؛ فوالله ما علمت إلا كنتَ سريعًا في طاعة الله، بطيئًا في معصية الله، فجزاك الله خيرًا".

ولا يوفّق بعض الناس، فلا يوفق إلى الصواب، وقد يكون كان يقول الصواب في الدنيا لكنه لا يوفَّق للصواب في قبره فيكون جوابه: هاهٍ هاهٍ لا أدري سمعتُ الناس يقولون قولًا فقلته، فينادي منادٍ: أن كَذَب فأفرشوه من النار، وألبسوه من النار وافتحوا له بابًا إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها ويُضيَّق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب مُنتِن الريح فيقول: أبشر بالذي يسوؤك هذا يومك الذي كنتَ توعَد، فيقول: من أنت بشرك الله بالشر فوجهك يجيء بالشر؟ فيقول: "أنا عملك السيء -وفي رواية: أنا عملك الخبيث- فوالله ما علمتُ إلا كنتَ بطيئًا في طاعة الله سريعًا في معصية الله"، فتعوّذوا إخواني من فتنة المحيا، ومن فتنة الممات.

وأما الساعة؛ وما أدراك ما الساعة! قال الله -عز وجل-: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ) [الحج: ١ – ٢] الله -عز وجل- حذّرنا من زلزلة الساعة؛ (يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ) وما الذي يُذهل المرضعة عما ترضع؟! والله لا يذهلها إلا زلزلة الساعة، (وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى) يتمايلون وما بهم من سُكر (وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ)أخافهم فتمايلوا من شدة عذاب الله -سبحانه وتعالى-.

ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً) [الأعراف: ١٨٧]، فعلم وقت الساعة لا يعلمه نبيٌّ مرسل ولا ملك مقرب؛ إلا أنها قريبة، والله إنها لقريبة!

يخبر الله -عز وجل- عن اقتراب الساعة بالفعل الماضي الدال على التحقيق والوقوع لا محالة؛ كقوله: (اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ) [الأنبياء: ١]وقوله: (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ)[القمر: ١]، وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((بُعثتُ أنا والساعة كهاتين، يشير بأصبعيه يمدهما)) رواه البخاري.

وحال أهل الإيمان أنهم مشفقون من الساعة، خائفون، وجلون (وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ) [الأنبياء: ٤٩

خائفون ولا يعلمون متى تأتي، فهم على استعدادٍ لها، لأنّ الواحد منهم لا يدري متى تقوم ساعته، ومن حضرت منيّته قامت ساعته، فهم من الساعة خائفون وجلون ولها مستعدون.

وأما من فرّط وأتبع نفسه هواها، ولم يحسِب للساعة حسابها، فإنه خاسر إذا جاءته الساعة بغتة، قال الله -عز وجل-: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ [الأنعام: ٣١]، فالساعة شأنها عظيم أيها الإخوة.

وأما أشراط الساعة؛ فعلاماتها: علامات القيامة التي تسبقها وتدل على قرب وقوعها، وهي عند أهل العلم أيها الإخوة نوعان:

١) كبرى: وهي العلامات العظام التي تظهر قرب وقوع الساعة ولم يقع منها شيء، ولكنها إن وقعت تتابعتْ.

٢) وصغرى: وهي دون الكبرى، ومنها ما وقع وانقضى، مضى؛ كانشقاق القمر، ومنها ما وقع ولا زال، ولا زال يكثر؛ كانتشار الجهل، فانتشار الجهل وقع ولا زال واقعًا ولا زال يتسع.

وظهر اليوم من الجهل أنواع كانت قليلة في الماضي؛ كالجهل المركب، جهل الجاهل الذي لا يعلم أنه جاهل، يظن نفسه عالمًا أو واعظا أو مفتيًا وهو أجهل من الكرسي الذي يجلس عليه، وهذا من علامات الساعة الصغرى، ومنها ما سيقع إن شاء الله -عز وجل-.

فإن قال قائل: ما الرابط بين الفتن وأشراط الساعة حتى يجمع الإمام مسلم بينهما في موضع واحد ويبوّب النووي بهذا التبويب؟

الجامع -يا إخوة-: أنّ الفتن من علامات الساعة، وكلما كثرت الفتن كان ذلك دليلًا على قرب الساعة، فهذا هو الجامع بينهما.

الدرس الثانى.

قال الإمام مسلم -رحمه الله-:

[بَابٌ اقْتِرَابِ الْفِتَنِ وَفَتْحِ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ].

روى الإمام مسلم -رحمة الله عليه- بإسناده:

[عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدْ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ» وَعَقَدَ سُفْيَانُ بِيَدِهِ عَشَرَةً، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ»].

عن زينب بنت جحش -رضي الله عنها- أنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- استيقظ من نومه، وفي رواية -ستأتينا-: استقظ فزعًا خائفًا من هول هذا الأمر وهو يقول: لا إله إلا الله، قال العلماء: يؤخَذ من هذا: أنّ ذكر الله من أسباب السلامة من الفتن، وسيرد -إن شاء الله- في موطنه.

فمن أسباب السلامة من الفتن: أن يداوم الإنسان على ذكر الله، وسنذكر -إن شاء الله- في موطنه أذكارًا بعينها فيها السلامة من الفتن -إن شاء الله عز وجل-.

قالت: وَهُوَ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ»؛ «وَيْلٌ» هنا مقصودٌ به: حُلول الشر، وهو للتفجُّع، أي يتفجَّع عليهم من حُلول الشر.

و"ويل" في أصل المعنى قيل: وادٍ في جهنم.

وقيل: وادٍ من صديد أهل جهنم.

وقيل: هو العذاب.

والمقصود به هنا -كما قلنا-: حلول الشر، وقوع الشر.

قال: « وَيْلٌ لِلْعَرَبِ»؛ هل العرب هم المختصون بفتنة يأجوج ومأجوج؟ الجواب: لا، لكن خصّ العرب بالذكر قال العلماء: لأمرين:

- الأمر الأول: أنهم كانوا معظم من أسلم إذ ذاك؛ والنبي -صلى الله عليه وسلم- يهتم لأمر المسلمين.

- والأمر الثاني: للإنذار بأن الفتن إذا وقعت كان الهلاك أسرع في العرب، قال العلماء: هذا يؤخَذ في الفتن كلِّها؛ أنّ الهلاك في العرب في الفتن أسرع من غيرهم.

قال: «وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدْ اقْتَرَبْ»؛ أي أنّ قُرب ذلك الشر في غاية القُرب.

فكأنّ سائلًا سأل: لماذا تقول ذلك يا رسول الله؟ فنبَّه على السبب فقال: « فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ».

ردم يأجوج ومأجوج: هو السدّ الذي بناه ذو القرنين -الذي ورد في القرآن- بزبر الحديد وهي القطع من الحديد.

ويأجوج ومأجوج: من البشر، من ذرية آدم وحواء، وليس صحيحًا أنهم من ذرية آدم فقط، بل من ذرية آدم وحواء.

ورد في صفاتهم مالا يَثبُت؛ مِن قِصَرهم وصِغَرهم، وإنما المعلوم عنهم أنهم قومٌ أقوياء، لا طاقة لأحد في قتالهم، حتى عيسى -عليه السلام-، حتى عيسى -عليه السلام- الذي يقتل الدجال لا طاقة له بقتال يأجوج ومأجوج -كما سيأتي إن شاء الله-. وإذا أُرسِلوا على الناس أفسَدوا عليهم معايشهم.

«مِثْلُ هَذِهِ» هذا نائب فاعل لقوله: «فُتِح»، وأشار إلى الحلْقة المبيِّنة بقوله: ((وَعَقَدَ عَشَرَةً)) هذه من أساليب العرب في عقد الأعداد. ما هو عَقْدُ العَشر؟ عقد العَشر: أن يجعل طرف السبابة اليمنى في باطن طيِّ عقدة إبهامه العليا، هكذا، هذه عشر، إذا أُشير هذه إشارة للعشر، فيجعل طرف السبابة اليمنى في طيِّ عُقدة الإبهام العليا، وهي إشارة إلى مثل هذه الفتحة، والمراد أنه لم يكن في الردم ثَقْبٌ إلا في ذلك اليوم.

قال الحافظ ابن حجر: "وقد جاء في خبر مرفوع أنّ يأجوج ومأجوج يحفرون السدّ كل يوم، وهو فيما أخرجه الترمذي وحسّنه وابن حبان والحاكم وصححه، عن أبي هريرة رفعه: «في السد يحفرونه كلّ يوم، حتى إذا كادوا يَخرقونه قال الذي عليهم: ارجعوا فستَخرِقونه غدا، فيُعيده الله كأشدّ ما كان، حتى إذا بلغ مدّتهم وأراد الله أن يَبعثهم قال الذي عليهم: ارجعوا فستَخرِقونه غدًا إن شاء الله» واستثنى، قال: «فيرجعون فيجدونه كهيأته حين تركوه، فيخرقونه، فيَخرجون على الناس... » الحديث.

قال الإمام ابن العربي -رحمه الله-: "في هذا الحديث ثلاث آيات باهرات:

الأولى: أنّ الله منعهم أن يوالوا الحفر ليلًا ونهارًا ".

انظروا يا إخوة! يحفرون في الليل والنهار حتى إذا بقي قليل لا يُكملون، وإنما يقولون: ترجعون غدًا فتَخرقونه، فإذا عادوا وجدوه كهيأته، مَن الذي صَرَفهم عن أن يواصلوا الحفر ليلًا خاصة بعد التكرار؟ صرفهم الله، لأنّ الله جعل لخروجهم أجلًا.

قال: "الثانية: منْعُهم أن يحاولوا الرُقيَّ على السد بسُلّم أو آلة فلم يُلهِمُهم ذلك ولا علَّمهم.

الثالثة: أنه صدّهم أن يقولوا: إن شاء الله؛ حتى يجيء الوقت المحدود".

قال الحافظ ابن حجر: "قلتُ: وفيه: أنّ فيهم أهل صناعة"، لماذا أهل صناعة؟ لأنهم يحفرون، ففيهم أهل صناعة. قال: "وأهل ولاية وسلاطة"؛ لأنه قال: فيقوم الذي عليهم؛ إذن لهم والي. قال: "ورعيّة تطيع من فوقها"؛ لأنه يقول لهم ارجعوا فيرجعون. "وأنّ فيهم مَن يعرف الله"؛ لأنه يقول: إن شاء الله. قال: "ويُحتمَل أن تكون تلك الكلمة تجري على لسانه من غير قصد للحكمة التي أرادها الله".

قالت -رضي الله عنها-: ((أَفَنُهْلَكُ)) أو ((أَفَنَهْلِكُ))؛ كلاهما ورد. فإذا قلنا ((أَفَنُهْلَكُ)) فهذا من الإهلاك، وإذا قلنا ((أفنَهلِك)) فهذا من الهلاك.

((وَفِينَا الصَّالِحُونْ؟!)) أي أنعذَّب فنهلِك نحن معشر الأمة والحال أنّ بعضنا مؤمنون وفينا الطيّبون الطاهرون؟! نعم، من أين عرفتْ أنه يبقى في الأمّة صالحون؟ من إخبار النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين حتى يأتي أمر الله».

قال -صلى الله عليه وسلم-: «نَعَمْ» أي يَهلِك الطيّب أيضًا، أو يُهلَك الطيّب أيضًا.

«إذا كَثُرَ الخَبَثْ»؛ فسّره العلماء: بالزنا، إذا كثر الزنا وفشا.

وفسّره بعض أهل العلم: بأولاد الزنا.

وفسّره بعض أهل العلم: بالفجور كلّه، أن يُعلَن الفجور؛ من التهتُّك في اللباس، فتكشف المرأة عن عوراتها، ويكشف الرجل عن عوراته، وينتشر هذا بين الناس، ويرضى الرجل لامرأته أن تجلس مع صديقه يُسلّيها

وتسليه بخلوة أو بحضوره من غير حجاب، تضحك مع صديقه أشدّ ما تضحك مع زوجها، وهذا نوعٌ من أنواع الدِّياثة -والعياذ بالله- وهو فجور. والزنا واللواط وغير ذلك من أنواع الفجور، والعياذ بالله.

قال الحافظ ابن عبد البَّر: "وجملة القول في معناه: أنه اسمٌ جامعٌ؛ يجمع الزنا وغيره من الشر والفساد، والمنكر في الدِّين".

فإذا فشا المنكر في الدين وفشا الفساد وفشا الشر كانت الأمّة عُرْضةً للهلاك.

قال عمر بن عبد العزيز -رحمه الله-: "كان يُقال إنّ الله لا يُعذِّب العامّة بذنب الخاصة، ولكن إذا صُنِع المنكر جَهارًا استحقوا العقوبة". وهذا معناه: إذا قَدِروا على الإنكار فلم يُنكِروا.

قال ابن العربي -رحمه الله-: "فيه البيان بأنّ الخَيِّر يُهلَك بهلاك الشرِّير؛ إذا لم يُغيِّر عليه خَبثَه أو خُبثَه، وكذلك إذا غيَّر عليه لكن حيث لا يُجدي، ويُصرُّ الشرير على عمله السيّئ ويَفشُوا ويَكثر حتى يَعُمّ الفساد؛ فيَهلَك حينئذ القليل والكثير، ثم يُحشَر كلُّ أحدٍ على نيّته".

وكأنّ أم المؤمنين -رضي الله عنها- فهمتْ من فَتح القدر المذكور من الردم؛ أنّ الأمر إن تمادى على ذلك اتّسع الخَرق؛ بحيث يخرجون، وكان عندها علم في أنّ خروجهم فيه إهلاكٌ للأمّة، ولذلك سألت فقالت: ((أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونْ؟!)).

وسيأتي -إن شاء الله- الكلام عن خروج يأجوج ومأجوج إن كتب الله وقتًا، وسنتكلم هناك عن حالهم وما يكون فيهم.

وفي هذا الحديث الذي معنا؛ أنّ نار الفتنة إذا وقعتْ في موضع واشتدت ولم يُنكرها أهل الخير أكلت الرطب واليابس، وغلبت على الطاهر والنجس، وأخذتِ البَرَّ والفاجر.

قال ابن بطَّال -رحمه الله-: "أنذر النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث بقُرب قيام الساعة" لماذا؟ قال: "كي يتوبوا قبل أن تهجم عليهم، جاء في حديث أبي هريرة رفعه: «ويل للعرب من شر قد اقترب، موتوا إن استطعتم» -فالموت أهون-، قال: وفي هذا غاية التحذير من الفتن والخوض فيها".

ومن مراد الإمام مسلم -رحمه الله- من البَدء بهذا الحديث: بيان أنّ الفتنَ إذا نزلت لا تصيب الظالم فقط وإنما تصيب الجميع، وهذا يوجب على الجميع الحذر منها.

فلا ينبغي للإنسان أن يقول: أنا مالي وهذه الفتنة؟ أنا الحمد لله بعيد عنها! بل الواجب أن يقوم بما يقدِر عليه؛ ولو أن يُحصِّن أبناءه وبناته ومن حوله، بأن يُعلِّمهم ويبيّن لهم.

يقول الله -عز وجل-: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥].

وهذه طريقة أهل العلم -يا إخوة-، طريقة أهل العلم أنهم يبدؤون الكلام عن الفتن ببيان أنّ الحذر منها لازمٌ للجميع، لا يخرج من التحذير أحد.

ولذلك؛ البخاري -رحمه الله- بدأ كتاب الفتن بالآية: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾.

والإمام مسلم -رحمه الله- بدأ هذا الكتاب بهذا الحديث الذي ورد فيه أنّ الفتنة يَهلِك فيها الصالح وغيره، ليَحذر الجميع.

فأراد -رحمه الله- أن يُبيّن عظيم أثرالفتن على الناس؛ ليُعطيها الناس ما تستحقه من اهتمام ويأخذوا بأسباب النجاة منها وينكروا ما يقع منها.

[وَعَنْهَا -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قالت: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ يَوْمًا فَزِعًا مُحْمَرًّا وَجْهُهُ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ»].

نعم، خرج يومًا فزعًا محمرًّا وجهه قد استيقظ من منامه، فإذا كان هذا -يا إخوة-، إذا كان حال النبي -صلى الله عليه وسلم- هذا، فكيف بغيره؟! كيف بنا يرى الواحد منّا الفتن تموج موجًا ولا يخاف، ولا يَحذر، ولا يُحذِّر، ولا يُنكر، ولا يُبيّن؟ لاشك أنّ الغفلة فينا عظيمة.

[يقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدْ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ »، وحلّق بأصبعه الإبهام والتي تليها]. كما قلنا في السابق.

[قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ»].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ»، وعَقَد وُهَيْبٌ بيده تسعين".

نعم، هذا مثل ما مضى، لكنّ الجديد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنّ وُهَيْبًا -رضي الله عنه- أحد الرُّواة عَقَدَ بيده تسعين، فما عقد التسعين؟ عقد التسعين قالوا: أن يجعل طرف السبابة اليمنى في أصلها ويضمُّها فتكون كالحيَّة المنضمّة إلى بعضها، يعني هكذا، يضع طرف السبابة في أصلها -أصل السبابة- من أسفل ويضمُّها مُحكَمة حتى تكون كهيأة الحيَّة.

طيّب؛ هنا ستَلحظون شيئًا: في الحديث السابق كان العَقْد هكذا فهذه حلْقة، وفي هذا الحديث الحلْقة هكذا، ففرقٌ بينهما، فهذا شيء يسير وذاك أكبر منه!

ولذلك؛ قال بعض أهل العلم: لعل أبو هريرة -رضي الله عنه- روى الحديث في أوّل الأمر عندما كان الخَرق يسيرًا، ثم اتّسع.

وقال بعض أهل العلم: لعل المراد من ذلك التقريب.

لكنّ اختلاف الصفتين -حقيقةً- يُشعِر باختلاف المعنى، فيظهر -والله أعلم- أنّ في ذلك إشارة بأنّ الخَرق يتّسع بمرور الأيام، فهم في أوّل الأمر كانوا يَخرِقون مقدار هذا، ثم أصبحوا يَخرِقون مقدار هذا، ولا زال الخَرق يتّسع حتى يكتب الله -عز وجل- لهم الخروج.

هذا ما يتعلّق بهذا الحديث الأوّل، فلعلّنا نكتفي به؛ لأنّ اليوم نقدّم للمسألة وغدًا -إن شاء الله عز وجل- نُكمل القراءة في هذا الكتاب المبارَك.

وأهمّ ما ورد -يا إخوة- هي قضية أنه يُراد بهذا الحديث: التحذير من الفتن، ومن التهاون بها، ومن السكوت عنها عند وقوعها مع القدرة على إنكارها.

فإذا وقعت الفتن سواء ما يتعلّق بالشبهات والبدع فمن الخطر العظيم أن يُسكَت عن البدع وأهلها. وإذا وقعت فتن الشهوات فمن الخطر ان يُسكَت عنها؛ لكن يُتكلّم بالأصول الشرعية؛ لأنّ من إنكار المنكر ما هو فتنة،

من الناس من يكون إنكاره منكرًا يحتاج إلى إنكار، فالمسألة تحتاج إلى ضوابط شرعية ستردنا إن شاء الله، ونقرِّرها على أصولها من الأدلة الثابتة. والله أعلم.

شرح كتاب
الفتن وأشراط الساعة
من صحيح مسلم

◈◈◈

الدرس الثالث

باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسانٍ إلى يوم الدين. أما بعد:

يقول الإمام النووي -رحمة الله عليه-:

[بابٌ: الْخَسْفِ بِالْجَيْشِ الَّذِي يَؤُمُّ الْبَيْتَ.

****

عَنْ عُبَيْدِ اللهِ ابْنِ الْقِبْطِيَّةِ، قَالَ: دَخَلَ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ صَفْوَانَ وَأَنَا مَعَهُمَا عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، فَسَأَلاَهَا عَنِ الْجَيْشِ الَّذِي يُخْسَفُ بِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي أَيَّامِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، فَقَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((يَعُوذُ عَائِذٌ بِالْبَيْتِ فَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ خُسِفَ بِهِمْ)). فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ فَكَيْفَ بِمَنْ كَانَ كَارِهًا؟ قَالَ: «يُخْسَفُ بِهِ مَعَهُمْ، وَلَكِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى نِيَّتِهِ)) . وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ هِيَ بَيْدَاءُ الْمَدِينَةِ.

قَالَ: وفي حديثه قال :

فَلَقِيتُ أَبَا جَعْفَرٍ فَقُلْتُ: إِنَّهَا إِنَّمَا قَالَتْ بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: كَلاَّ، وَاللهِ إِنَّهَا لَبَيْدَاءُ الْمَدِينَةِ.

وَعَنْ حَفْصَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-، أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آله وَسَلَّم يَقُولُ : ((لَيَؤُمَّنَّ هَذَا الْبَيْتَ جَيْشٌ يَغْزُونَهُ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوْسَطِهِمْ، وَيُنَادِي أَوَّلُهُمْ آخِرَهُمْ، ثُمَّ يُخْسَفُ بِهِمْ فَلاَ يَبْقَى إِلاَّ الشَّرِيدُ الَّذِي يُخْبِرُ عَنْهُمْ)). فَقَالَ رَجُلٌ: أَشْهَدُ عَلَيْكَ أَنَّكَ لَمْ تَكْذِبْ عَلَى حَفْصَةَ وَأَشْهَدُ أن حَفْصَةَ أَنَّهَا لَمْ تَكْذِبْ عَلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمْ-.

وَعَنْهَا -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- أنّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ قَالَ: ((سَيَعُوذُ بِهَذَا الْبَيْتِ -يَعْنِي الْكَعْبَةَ- قَوْمٌ لَيْسَتْ لَهُمْ مَنَعَةٌ وَلاَ عَدَدٌ وَلاَ عُدَّةٌ، يُبْعَثُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ خُسِفَ بِهِمْ)).

قَالَ يُوسُفُ: وَأَهْلُ الشَّأْمِ يَوْمَئِذٍ يَسِيرُونَ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ صَفْوَانَ: أَمَا وَاللهِ مَا هُوَ بِهَذَا الْجَيْشِ.

وَعَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَتْ: عَبِثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فِي مَنَامِهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! صَنَعْتَ شَيْئًا فِي مَنَامِكَ لَمْ تَكُنْ تَفْعَلُهُ. فَقَالَ: ((الْعَجَبُ إِنَّ نَاسًا مِنْ أُمَّتِي يَؤُمُّونَ هذا الْبَيْتِ بِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ لَجَأَ بِالْبَيْتِ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْبَيْدَاءِ خُسِفَ بِهِمْ)). فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ الطَّرِيقَ قَدْ يَجْمَعُ النَّاسَ. قَالَ: ((نَعَمْ، فِيهِمُ: الْمُسْتَبْصِرُ، وَالْمَجْبُورُ، وَابْنُ السَّبِيلِ، يَهْلِكُونَ مَهْلَكًا وَاحِدًا وَيَصْدُرُونَ مَصَادِرَ شَتَّى يَبْعَثُهُمُ اللهُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ)).

******

نعم، هذا الحديث -أيها الإخوة- يخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- فيه عن أمرٍ يقع في المستقبل؛ وهو: الخسف بجيشٍ من أمّة محمد -صلى الله عليه وسلم- يؤمّ الكعبة فيُخسَف بهم كما ورد في الحديث.

والحديث مستفيضٌ عن النبي -صلى الله عليه وسلم- من وجوهٍ كثيرةٍ، ومخرَّجٌ في الصحيحين.

وقوله: ((وكان ذلك في أيام الزبير))؛ استشكل هذا بعض أهل العلم، فقالوا: هذا ليس بصحيح، لماذا؟ قالوا: لأنّ أم سلمة -رضي الله عنها- توفيّت في خلافة معاوية قبل موته بسنتين سنة تسعٍ وخمسين؛ وعلى هذا فهي لم تدرك أيام الزبير، فكيف يقال إنّ ذلك كان في أيام الزبير؟!

لكن قال بعض أهل العلم: إنها -رحمها الله ورضي عنها- توفيت في أيام يزيد بن معاوية، وعلى هذا يستقيم، لأنّ ابن الزبير نازع يزيدًا أوّل ما بلغتْه بيعته عند وفاة معاوية؛ ذكر ذلك الطبري وغيره من أهل العلم.

وذكر ابن عبد البر في "الاستيعاب" أنّ أم سلمة -رضي الله عنها- توفيت زمن يزيد، وعلى هذا لا يكون في المسألة إشكال.

على أنّ هذا الحديث روته عددٌ من أمهات المؤمنين؛ فروته أم سلمة، وروته حفصة، وروته عائشة، رضي الله عنهن.

قوله -صلى الله عليه وسلم-: ((يعوذ))، ما معنى يعوذ؟ معناه: يلتجئ إليه ويلوذ به طالِبًا العصمة، نحن نقول مثلًا: أعوذ بكلمات الله؛ أي ألتجئُ وأطلبُ العصمة، فقوله -صلى الله عليه وسلم-: ((يعوذ)) أي يلتجئ إليه ويعتصم به.

قوله -صلى الله عليه وسلم-: ((خُسِف بهم)) أي ذُهِب بهم في الأرض، فالله -عز وجل- يعاقب بعض الظالمين بأن يَخسف بهم الأرض.

وهذا وقع في الأزمان الماضية قبل بعثة محمد -صلى الله عليه وسلم-؛ كما خُسِفَ بقارون، وسيقع بعد بعثة محمد -صلى الله عليه وسلم- في أقوامٍ من أمة محمد -صلى الله عليه وسلم-؛ ومنهم قومٌ يجتمعون على الخمر، ويُضرَب على رؤوسهم بالمعازف، وتُغنّيهم القِيان؛ فيُخسف بهم -والعياذ بالله-. ومنهم هذا الجيش الذي يقصد الكعبة فيُخسَف بهم.

والبيداء: هي الصحراء، الصحراء تسمى بالبيداء، لماذا تسمى بالبيداء؟ قالوا: كأنها تُبيد مَن دخلها، فهي مَظِنَّة الهلاك، الصحراء الأصل فيها أنه لا ماء فيها ولا شجر، ومَن دخلها كان عُرْضَة لأن يهلك؛ فسميّت بالبيداء؛ لأنها مظنة أن تُبيد من دخل فيها.

والبيداء المذكورة في الحديث إمّا أنها صحراء لم تُعيَّن؛ لكنها جهة مكة.

وإمّا أنها بيداء المدينة التي أهلَّ منها النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ وبيداء المدينة هي المكان المشرِف الممتد بعد الميقات، فأنت إذا صعدتَ من الميقات إلى طريق مكة القديم -وليس الطريق الجديد- فإنك أوّل ما تصعد من الميقات ترى مكانًا مشرفًا مرتفعًا، عليه الآن مستشفى -أحسب أنه يسمى بمستشفى الميقات- هذا المكان هو البيداء.

قال النووي -رحمه الله-: "قال العلماء:كل أرض ملساء لا شيء بهافهي بيداء" .

إذن البيداء: هي الأرض الصحراء التي ليس فيها بناء ولا شجر.

قوله -صلى الله عليه وسلم-: ((ليؤمّن هذا البيت جيش))؛ أي يقصدونه، أي يقصد هذا البيت جيش.

وقوله: «إلا الشَّريد»؛ الشريد: معناه البقيّة، يعني يبقى منهم بقيّةً تُخبِر عن حالهم.

والشريد كما قال أهل اللغة: هو البقيّة من الشيء، يقال: في الإناء شَريدٌ من الماء؛ أي بقية من الماء.

والمقصود أنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- يُخبر أنه يبقى منهم شريد، لا لسلامته -هو- وإنما لحكمة، ما هي الحكمة؟ أنه يُخبر عنهم مَن وراءهم.

وقوله -صلى الله عليه وسلم-: ((ليست لهم مَنَعة))؛ أي ليس لهم مَن يَجمعهم ويَمنعهم.

وقول أمّنا عائشة -رضي الله عنها-: ((عَبِثَ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في منامه)) ما المراد بعبث؟ معناه: اضطرب جسمه وحَرّك أطرافه.

قال بعض أهل العلم: حرّك يده كمن يأخذ شيئًا في منامه، وليس هذا من عادة النبي -صلى الله عليه وسلم- في منامه، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- في منامه يكون ساكنًا لا يَتحرك ولا يَضطرب -صلى الله عليه وسلم- لكنه في هذه المرة اضطرب وتحركت أعضاؤه ومدّ يده كأنه يريد أن يأخذ شيئًا وهو نائم، ولذلك سألتْه أمّنا عائشة -رضي الله عنها- عن هذا، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- أخبرها.

ثم ذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- أنّ فيهم: المستبصر، والمجبور، وابن السبيل.

فمَن هو المستبصر؟ المستبصِر: هو المستَبين الأمر، القاصد له، هو ذاهِب يريد البيت، عارِفٌ بهذا، بيِّنٌ له الأمر.

وأمّا المجبور: فهو المكرَه، يؤخَذ مكرَهًا، هو لا يريد، لكنه يُكرَه على أن يذهب مع هذا الجيش.

وأمّا ابن السبيل: فهو سالك الطريق معهم يريد مكة، هو لا يريد ما يريدون ولكنه يسير معهم يريد مكة.

ومع ذلك قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((إنهم يُهلَكون مَهلَكًا واحدًا))، أو ((يَهلِكون مهلِكًا واحدًا)) أي يقع الهلاك في الدنيا على جميعهم، فلا ينجو المكرَه، ولا ينجو ابن السبيل؛ كلهم يُهلَكون، ثم يوم القيامة يَصدُرون مصادِر شتَّى بحسب نياتهم، فالأمر بين يدي الله على النيات، فيُجازَوْن بحسب القصد وبحسب الغرض من المسير.

فأمّنا -رضي الله عنها- استشكلتْ وقوع العذاب على من لم يُشارِك، فإنّ فيهم من ليس منهم! فأخبرها النبي -صلى الله عليه وسلم- أنهم يُهلَكون جميعًا؛ ولكنهم يُبعثون على نياتهم، فالطائع يُجازى بنيته، والعاصي يُجازى بنيته.

المراد من هذا الحديث -يا إخوة-:

- بيان أنّ من الفقه التباعد عن أهل الظلم، فلا يكون الإنسان مع الظَلَمة وإن كان عدلًا، يبتعد عن أهل الظلم ويَحذر مجالسهم ويَحذر مجالستهم؛ لأنهم عُرْضة لنزول العقاب، وإذا نزل العقاب -والعياذ بالله- أصابه معهم.

ومن هنا -يا إخوة- كان السَّلف يُحذِّرون من مجالسة أهل البدع؛ لأنّ مجالسة أهل البدع شر، إمّا أن يوقِعوا في قلب المسلم الشُّبهة، فلعله أن يَغترَّ بهم، يذهب إليهم في زاويتهم وهو على سنَّة وخير، فقد يسمع شيخهم يقول شيئًا فيقع في قلبه، فمجالستهم شرٌّ من هذه الجهة.

ومجالستهم شرٌّ من جهة أخرى؛ وهي: أنهم عُرْضة لأن ينزل بهم العقاب، وإذا نزل بهم العقاب كان الإنسان معرّضًا لأن يكون معهم.

- وفيه: أنّ من الفقه العظيم أن يكون المسلم مع أهل السنة، أن يكون منهم ومعهم، يبحث عنهم، يبحث عن مساجدهم، فيكون معهم في مساجدهم، يحرص على أن يكون منهم في معتقده، في أعماله، في أقواله؛ لأنهم موعودون بالسلامة؛ «لا تزال طائفةٌ من أمَّتي على الحق ظاهرين حتى يأتي أمر الله».

- وفيه: من الفقه أنّ المسلم ينبغي أن يَتَّخذ له مُجالسين صُلحاء من أهل الصلاح، من أهل التُّقى، فهم الأَمَنَة، وليس الأمر كما يفعل بعض المسلمين؛ يبحثون عن أهل المعاصي وعن أهل التساهل؛ يقول: نوسّع عن صدورنا، نفرح معهم، كما يقولون بالعامية: المطاوعة معقَّدون أجلس معهم يُذكّروني بالجنة والنار وبذكر الله، أنا أريد أن أنشرح! فيُجالس -والعياذ بالله- أهل الغيبة الذين لا يأنسون في المجلس إلا بأكل أجساد المسلمين، ويجالس أهل الكذب، ويجالس أهل البهتان.. إلى غير ذلك، هذا -أيها الإخوة- من الخذلان.

المسلم ينبغي عليه أن يكون حريصًا على مجالسة أهل الصلاح، على مجالسة أهل الطاعة، ففي مجالستهم النجاة والفلاح له.

- وفيه: أنّ المسلم ينبغي أن يتباعد عن الفتن، لأنه إن اقترب من الفتنة إمّا أن يكون من أهلها، وإمّا أن يُجبَر عليها؛ إذا اقترب من الفتن إمّا أن يكون من أهلها -والعياذ بالله- وإمّا أن يُجبَر عليها ويَتسلّط عليه أهلُها، فإذا نزل عقاب كان معرَّضًا لأن يكون معهم، فالمسلم يَتباعد عن الفتن.

شرح كتاب
الفتن وأشراط الساعة
من صحيح مسلم

◈◈◈

الدرس الرابع

باب نزول الفتن كمواقع القطر

[بَابُ: نُزُولِ الْفِتَنِ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ.

عَنْ أُسَامَةَ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–، أَنَّ النَّبِيَّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَشْرَفَ عَلَى أُطُمٍ مِنْ آطَامِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ قَالَ: ((هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى؟ إِنِّي لأَرَى مَوَاقِعَ الْفِتَنِ خِلاَلَ بُيُوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ)).

النبي –صلى الله عليه وسلم– أشرف؛ أي اطَّلع من عُلُو، نظر من عُلُو، ارتفع على شيء فنظر إلى بيوت المدينة.

والأُطُم: هي القصور والحُصُن، وهي مفرد، **أُطُم** مفرد،يعني: قصر وحِصن، وجمعها **آطام**.

فالنبي –صلى الله عليه وسلم– أشرف وعلا وارتفع، أين –يا إخوة– ؟ في مدينته –صلى الله عليه وسلم–، في هذه المدينة، وأخبرهم عن أمرٍ فقال: ((إنِّي لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم))، يعني: يا أهل المدينة.

والمراد بـ(**مواقع الفتن**): مواضع سقوطها. و**الخلال**: هي النواحي. و**الرؤية**: أي بالنظر، أي أنَّ الله كشف للنبي –صلى الله عليه وسلم– الحال؛ فرأى مواقع الفتن بين بيوت أهل المدينة.

والتشبيه بـ(**مواقع القطر**)–يا إخوة–، المراد به: **الكثرة**؛ النبي –صلى الله عليه وسلم– يُخبر الأمَّة أنَّ الفتن ستكون كثيرة، وفي هذا تحذير من هذا.

وفي هذا أيضًا إشارة إلى أنَّ الفتن لن تكون خاصة بطائفة؛ بل تكون عامّة؛ لأنَّ مواقع المطر تعني أنَّ المطر يَعمُّها، وفي هذا تحذير من الفتن.

قال العلماء: في هذا إشارة إلى الحروب التي وقعت بين المسلمين، كوقعة الجمل، وصفِّين، والحرَّة، ومقتل عثمان، ومقتل الحسين، رضي الله عنهما.

ولماذا أخبر النبي –صلى الله عليه وسلم– بمواقع الفتن؟

أخبرهم ليتأهبوا لها، وليستعدوا لها فلا يخوضوا فيها، ويسألوا الله السلامة منها، ويأخذوا بمجامع أسباب النجاة.

ومقصود الإمام مسلم –رحمه الله– أن يُبيِّن أنَّ الفتن في هذه الأمَّة كثيرة، فلا يغتر المسلم بأنَّه مسلم، بل يَعلم أنَّ الفتن في الأمَّة كثيرة فيحذر هذه الفتن حتى لا يقع، فإنَّ بعض الناس لا يَحذر مِن الفتن ويَظنُّ أنَّ الأمر ليس مَحذورًا فيقع فيه.

بعض الناس مثلًا يقول: أمَّة محمد -صلى الله عليه وسلم- لا يقع فيها الشرك، وهذا -إن شاء الله- سيرد وسنبيِّن أنَّ الشرك يقع في أمَّة محمد -صلى الله عليه وسلم-، لكنَّ بعض الناس لا يحذرون هذا؛ فماذا وقع؟ وقعوا في الشرك.

تجد أنَّ الواحد منهم مُكِبٌّ على عبادة غير الله، مُكِبٌّ على عبادة القبر؛ ومع ذلك يقول: الشرك لا يقع في أمَّة محمد -صلى الله عليه وسلم-، والشرك واقعٌ في عمله.

وبعض الناس يقولون: نحن آمنون مِن الفتن، فلا يحذر؛ فيقع في الفتن -والعياذ بالله-.

فعلى المسلم أن يَحذر الفتن، وأن يسأل الله -عز وجل- السلامة منها.

[وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ سَلَّمَ: «سَتَكُونُ فِتَنٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفُهُ، وَمَنْ وَجَدَ فِيهَا مَلْجَأً فَلْيَعُذْ بِهِ»].

قوله -صلى الله عليه وسلم-: «**ستكون فتنٌ**» أي: ستقع فتن، وهذه الفتن عظيمة.

قال -صلى الله عليه وسلم-: «**القاعد فيها خيرٌ من القائم**»؛ فمَن هو **القاعد**؟

- **القاعد**: هو الذي يثبت في مكانه ولا يتحرك للفتنة، قاعدٌ ثابتٌ، هو خيرٌ من القائم.
- . وقال بعض العلماء: إنَّ**القاعد** هو: الثابت.

«القاعد فيها خيرٌ من القائم»؛ **مَن هو القائم؟**

- ♦ قال بعض أهل العلم: القائم هو الواقف الذي ينظر.

فلماذا كان القاعد خيرًا منه؟ قالوا: لأنَّ القائم يرى ما لا يراه القاعد، فيرى من الفتن ما لا يشاهده القاعد.

- ♦ . وقالوا: هو الذي تكون في قلبه؛ لكنه يتردد في الفعل، هذا معنى آخر للقائم، يعني: تكون الفتنة -والعياذ بالله- في قلبه؛ يحبُّها؛ كما يقولون في لسان العامَّة اليوم: "**مقتنع بها**"؛ لكنه يتردد في الفعل، يتردَّد في إثارة الفتنة، فالقاعد الثابت خيرٌ منه.

والمعلوم -والعياذ بالله- يا إخوة؛ أنّ الفتن تُقبِل كالمرأة الحسناء وتُدبر كالعجوز الشمطاء، فأهل البصيرة يَعرفونها إذا أقبلتْ، وأمَّا الدَّهماء فلا يَعرفونها إلا إذا أدبرتْ.

فالذي يقوم ويَنظر إلى الفتنة يُعرِّض نفسه لأن يُفتَن بها، ولذلك قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**القاعد فيها خيرٌ من القائم**».

«**والقائم فيها خيرٌ من الماشي**»؛ **الماشي هو**:

- الذاهب على رجله إليها، يعني: لم يقف فقط؛ بل مشى.
- وقال بعض أهل العلم: الماشي هو الذي يمشي في الفتنة لأسباب أخرى، فيمشي في الفتنة ليس من أجل الفتنة وإنما لأسباب أخرى، فقد يقوده ذلك إلى الوقوع فيها؛ مثلًا: تاجرٌ يَذهب إلى خيمة المولد لا ليشارك في المولد وإنما ليبيع، يبيع الحُمُّص ويبيع ما يُعمَل في الموالد، فقد يقوده ذلك إلى أن يشارِك.

فالمقصود بالماشي عند بعض أهل العلم: هو الذي يمشي في الفتنة لأسبابٍ غير الفتنة؛ فيُعرّض نفسه للوقوع فيها.

((**والماشي فيها خيرٌ من الساعي**)) **والساعي هو**: الذي يُسرع إليها ماشيًا أو راكبًا.

وهذه السرعة -يا إخوة- قد تكون حسِّية وقد تكون معنوية.

- **قد تكون حسية**: بأن يَعلم الإنسان بأهل فتنة فيُسرع إليهم.
- **وقد تكون معنوية**: بأن يَعلم الإنسان بأهل فتنة فيقرأ كتبهم؛ مما يعرِّضه للوقوع فيها.

والمراد -يا إخوة-؛ أنَّ المباشرة للفتنة كلما كانت أقرب كانت أعظم. فكلما اقترب الإنسان من الفتنة كان ذلك أشد.

وقد قال بعض أهل العلم: إنَّ الناس في الفتنة:

- نائـــــــم.
- ومضطجع.

- وقاعـــــد.
- وقائـــــم.
- ومــــاشي.
- وســــاعي.
- وواقــــع.

- **نائم**: مُعرِض عنها تمامًا، لا يدري عنها شيئًا، أَغلق بابه دونها.
- و**مضطجع**: هو يقظان؛ لكنه مضطجع، لا يريد أن يرى شيئًا.
- و**قاعد**: فهو أقرب إلى الرؤية؛ لكنه ثابت.
- و**قائم**: يَتطلَّع؛ فهو يرى في الفتنة أكثر؛ وقد يقوده ذلك إلى أن يقع في حبائلها.
- و**ماشي**: يمشي.
- و**ساعي**: يجري، مُسرِع.
- و**واقع**: أي أنه من أهلها –والعياذ بالله، عياذا بالله من الفتن-.

والمقصود -أيها الإخوة-؛ بيان عظيم خطر الفتن، والحث على تجنُّبها والهرب منها والبعد عن المقاربة لها، فإنَّ قربانها خطر، وأنَّ شرها يكون بحسب القُرب منها.

وفيه: ما أخذه أهل العلم مِن قاعدة عظيمة -يا إخوة- ينبغي على المسلمين جميعًا وعلى طلاب العلم أن يَعلموها؛ وهي:«**أنَّ الفتن تُجتَنَبُ ولا تُجتلَب**».

فمَن سَلِمَ من الفتنة فلا يَجلبها لنفسه، البلد الذي يَسلَمَ من فتنة لا يَجلبها لنفسه، ولا يلزم -يا إخوة- إذا كانت الفتنة في بلد أن تُجلَب إلى بلد آخر ولو باللسان، فمَن عُوفيَ فليحمَد الله، فإذا ظهرت فتنة فإنَّه يُتباعَد عنها.

طيب؛ كيف نَتباعد عن الفتنة؟ كيف لا أكون قائمًا ولا ماشيًا ولا ساعيًا ولا واقعًا في الفتنة؟

لذلك أمورٌ ستأتي، منها:

- **ملازمة أهل السُنَّة**، فإنّ ملازمة أهل السنة فيها مباعَدة للفتن، ماذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم-؟ قال: ((**فإنَّه من يعشْ منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا**))؛ ماذا نصنع إذا وقع الاختلاف؟

((**فعليكم بسُنَّتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديِّين، تمسّكوا بها، وعَضُّوا عليها بالنواجذ**)).

- ومنها أيضًا: **أن تَحذر البدع وأهلها**، فتكون بعيدًا عنهم، ففي ذلك السلامة من الفتن، ولذلك ماذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الذي ذكرناه قبل قليل؟

قال: ((**وإياكم ومحدثات الأمور، فإنَّ كل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة**)).

فإذا ظهرت فتنة من جماعة، من فئة، من شخص، كيف أتباعد عن الفتنة؟

أن ألزم أهل السُّنَّة، لا أسوِّي بين أهل السنة وصاحب الفتنة، أبدًا! بل ألزم أهل السنة وأعرف لصاحب الفتنة فتنته، فأتباعَد عنه، وأتباعَد عن كلامه، وأتباعَد عن نصرته.

- منها أيضًا: **أن نَلزم جماعة المسلمين وإمامهم**، كما سيأتي -إن شاء الله- ونعلِّق عليه.
- وقبل هذا ومعه: **الاستعاذة بالله من الفتن، وسؤال الله أن يسلِّمك من الفتن.**

وقوله -صلى الله عليه وسلم-: ((**مَن تشرّف لها**))؛ تشرَّف لها: أي تَطلَّع لها وتَصدَّى لها.

قوله -صلى اله عليه وسلم-: **((تستشرفه))** أي: تُهلِكه، بأنْ يُشرِفَ منها على الهلاك، وهو مِن **الإشراف**، بمعنى: القُرْب من الهلاك، يقال: أَشرَف المريض على الموت، أي: كان قريبًا من الموت. أو المعنى: أنَّها تُهلِكه فعلًا، فإنَّها مهلِكة.

إذن:-يا إخوة-؛ مَن يتطلَّع إلى الفتن -ليس مَن يخوض في الفتن- مَن يتطلَّع إلى الفتن ويستشرِف لها:

- يكون عُرضةً لأن يكون قريبا من الهلاك، ومن اقترب من الشيء أوشك أن يقع فيه.
- أو يكونُ عُرضة للهلاك فعلًا، لأنَّ الغالب أنَّ مَن اقترب من الفتنة غرَّته فوقع فيها.

وقوله -صلى الله عليه وسلم-: ((**مَن وجد منها ملجأً**))؛ أي: عاصمًا وموضعًا يلتجئ إليه.

((فليَعُذْ به)) أي فليعتصم به وليعتزل فيه.

وفي هذا الحديث أيها الإخوة:التحذيرُ من الفتنة، والحثُّ على اجتنابها والبعدُ عنها.

[قال: زاد أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ في حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: «مِنَ الصَّلاَةِ صَلاةٌ مَنْ فَاتَتْهُ فَكَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ»].

الله أكبر!أي: أنَّ أبا بكر -يعني ابنَ عبد الرحمن شيخَ الزُّهري- زاد((مِنَ الصَّلاَةِ صَلاَةٌ مَنْ فَاتَتْهُ فَكَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ)).

- يُحتمَل أن يكون أبو بكر زاد هذا **مرسَلًا** مِن كلامه.
- ويُحتمل أن يكون زاده بالإسناد المذكور فيكون **مرفوعًا**.

قال العلماء: المراد بهذه الصلاة: صلاة العصر، فصلاة العصر مَن فاتته في وقتها فكأنما فَقَدَ أهله وماله.

وقد جاء عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: سمعتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: ((هي صلاة العصر)).

وقد ثبت في الصحيحين أنَّ النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((من فاتته صلاة العصر فكأنما وُتِرَ أهله وماله)).

قال ابن عبد البر: "**وقد ذهب قوم من أهل العلم إلى أنَّ حديث نوفل أعم وأولى بصحيح المعنى من حديث ابن عمر، وقالوا فيه: قَوْله: ((من فاتته الصلاة))، يريد كل صلاة**". من فاتته الصلاة -كل صلاة - عن وقتها فكأنما فقد أهله وماله.

قالوا: وتخصيص ابن عمر لصلاة العصر هو من باب إجابة السؤال، لأنه سُئل عن صلاة العصر، ولو سُئل عن غيرها لأجاب بمثل جوابه.

وهذا قول قوي لبعض أهل العلم، لكن لا يَمنع أيضًا أنَّ لصلاة العصر خاصّية في هذا؛ لثبوت هذا في الصحيحين.

وفي هذا الحديث -يا إخوة-؛ تعظيمٌ لعمل الصلاة في وقتها، وهي خير أعمالنا، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((اعلموا أنَّ خير أعمالكم الصلاة))، وقد سُئل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن أيِّ الأعمال أحبُّ إلى الله؟ قال: ((الصلاة في وقتها)) ورُوِيَ: ((الصلاة في أوَّل وقتها)).

وفي هذا الحديث -أيها الإخوة-؛ **تحقير الدنيا**، فالدنيا حقيرة لا تساوي عند الله جناح بعوضة، وأنَّ القليل من عمل الخير خيرٌ من الدنيا.

ألا ترَون يا إخوة أنَّ النبي -صلى الله عليه وسلم- جعل فَوتَ صلاة العصر عن وقتها كفقد الأهل والمال؟!وما الدنيا إلا أهل ومال؟! فهذا في فوت صلاة، فقليل الخير خير من الدنيا وما فيها، فالإنسان ينبغي عليه أن يَقدُر الدنيا قدرها وأن يَعرف للخير فضله، فإذا تعارضت الدنيا والخير؛ قدَّم الخير.

ولذلك نحن نقول لإخواننا الذين يقولون: نحن في أوروبا أو في غير أوروبا يقتضي منا العمل ألا نصلي الصلاة في وقتها فيُطلَب منا ألا نصلي حتى يخرج وقت الصلاة، نقول: مَن فاتته الصلاة حتى خرج وقتها فكأنما فَقَدَ أهله وماله، فكيف تُقدِّم العمل على هذا الأمر؟! إذا كان العمل يقتضي منك أن تترك الصلاة عن وقتها من غير مصلحة ظاهرة؛ فإنك تترك العمل.

قلتُ: "**من غير مصلحةٍ ظاهرة**"؛ لأنَّ المصلحة قد تقتضي تأخير الصلاة عن وقتها إلى وقت أختها التي تُجمَع معها، كما لو كنتَ طبيبًا مثلًا وستُجري عملية وهذه العملية تقتضي منك وقتًا طويلًا حتى يخرج وقت الصلاة الأولى، فهنا تَجمع؛ لأنَّها مصلحة ظاهرة، ولأنَّ هذا الأمر ليس دائمًا.

أمَّا أن تُخرِج الصلاة عن وقتها من أجل العمل! فاحذر من هذا؛ فإنَّ العمل القليل من الخير خيرٌ لك من هذه الدنيا.

فالشاهد -أيها الإخوة-؛ أنه ينبغي على المسلم أن يحرص على الخير وأن يجتنب الشر.

[عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَكُونُ فِتْنَةٌ؛ النَّائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْيَقْظَانِ، وَالْيَقْظَانُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، فَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَسْتَعِذْ».

[عَنْ عُثْمَانُ الشَّحَّامُ قَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا وَفَرْقَدٌ السَّبَخِيُّ إِلَى مُسْلِمِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ وَهُوَ فِي أَرْضِهِ فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ، فَقُلْنَا: هَلْ سَمِعْتَ أَبَاكَ يُحَدِّثُ فِي الْفِتَنِ حَدِيثًا، قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُ أَبَا بَكْرَةَ يُحَدِّثُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتَنٌ؛ أَلاَ ثُمَّ تَكُونُ فِتْنَةٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي فِيهَا، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي إِلَيْهَا، أَلاَ فَإِذَا نَزَلَتْ -أَوْ وَقَعَتْ- فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ». قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِبِلٌ وَلاَ غَنَمٌ وَلاَ أَرْضٌ، قَالَ: «يَعْمِدُ إِلَى سَيْفِهِ فَيَدُقُّ عَلَى حَدِّهِ بِحَجَرٍ، ثُمَّ لْيَنْجُ إِنِ اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ». قَالَ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَرَأَيْتَ إِنْ أُكْرِهْتُ حَتَّى يُنْطَلَقَ بِي إِلَى أَحَدِ الصَّفَّيْنِ أَوْ إِحْدَى الْفِئَتَيْنِ، فَضَرَبَنِي رَجُلٌ بِسَيْفِهِ أَوْ يَجِيءُ سَهْمٌ فَيَقْتُلُنِي، قَالَ: «يَبُوءُ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ، وَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»].

نعم، هذا الحديث فيه ما تقدَّم وزيادة.

قوله -صلى الله عليه وسلم-: ((إنَّها ستكون)) أي: ستوجَد، وتقع، وتحدث.

وقوله -صلى الله عليه وسلم-: ((النَّائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْيَقْظَانِ، وَالْيَقْظَانُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي))، تقدَّم معنا -أيها الأخوة- أنَّ في هذا بيان أحوال الناس في الفتن، فالناس في الفتن: إمَّا **نائم**، وإمَّا مضطجع يقظان، وإمَّا قاعد، وإمَّا قائم، وإمَّا ماشي، وإمَّا ساعي، وبينهما مستبصرٌ وواقع.

- أمَّا **النَّائم**: فهو الذي لا يقع منه شيء في الفتنة؛ بل هو بعيد عنها، ليس له فيها شيء، بعيد عن الفتنة، كالنَّائم لا يدري ما حوله.

وقال بعضُ أهل العلم: إنَّه لا يقع منه شيء في الفتنة لكنَّه راضٍ بها، قال بعض أهل العلم هذا هو النائم.

ومن أهل العلم من يقول: النائم هو الذي لا يدري عن الفتنة شيئًا، فهو كالنائم لا يدري بما حوله.

- وأمَّا**المضطجع**: فهو العارف بالفتنة المنصت لها، لكنَّه لا يَنظر إليها، مضطجع يَسمع ويَعرف الفتنة لكنَّه لا يَنظر إليها، مضطجع يقظان.

- وأمَّا**القاعد**: فهو العارف بالفتنة الناظر إليها في حال الجلوس، فهو يرى منها أشياء قد تغرُّه.

وقال بعض أهل العلم: إنَّ القاعد هو الثابت في مكانه إذا نزلت الفتنة.

- **والقائم**: هو العارف بالفتنة الناظر إليها من حال القيام؛ فهو يرى ما لا يراه القاعد فقد تغرُّه الفتنة، والعياذ بالله.

وقيل: إنَّ**القائم**: هو الذي يكون في قلبه باعث على الفتنة؛ لكنه يتردَّد في إثارة الفتنة، في قلبه يوجد ما يَبعثه على الفتنة، لكنه يتردد عن الفعل، فهو قائم.

- **والماشي**: هو العارف بالفتنة الذاهب إليها من غير إسراع؛ كأنَّه يتردَّد، يعني هو عارف، يعرف الفتنة، في قلبه باعث، يتحرَّك إلى الفتنة؛ لكنه لا يَتحرك مُسرعًا.

وقيل في **الماشي** -كما قدّمنا بالأمس-: هو الذي يسير في الفتنة لأسباب أخرى غير الفتنة؛ كتجارة أو نحوها، أو يريد المُلك، أو يريد الكرسي، أو يريد منصبًا، فهو يسير في الفتنة، ليس من أهل الفتنة لكنَّه يريد سببا آخر؛ وهذا يُعرِّض نفسه للوقوع في الفتنة.

- **والساعي**: هو العارف بالفتنة المتحرِّك إليها سريعًا، يسعى إليها، والعياذ بالله.

وأمَّا ما بينهما: **مستبصرٌ وواقع**.

- أمَّا**الواقع**: فهو أسوأ الناس في الفتنة وهو الذي يخوض فيها ويقع فيها وتصيبه بما فيها.
- وأمَّا **المُستبصِر**: فهو الذي يَعلم السُّنَّة عند وقوع الفتنة، وهذا أعلى الناس منزلة، يعرف السُّنَّة عند وقوع الفتنة؛ فيَلزَم السُّنَّة، وهذا هو المستبصِر، وهو أعلى الناس عند وقوع الفتنة.

هذا هو الذي يدلُّ عليه ما جاء في الحديث.

قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((فَمَنْ كَانَتْ لَهُ إِبِلٌ)) المقصود: من كانت له إبل في البريَّة، لأنَّ الغالب أنَّ الإبل لا تكون في المدن وإنما تكون في البرية؛ فيلحق بها ليَعتزل، يعني أنه يَذهب إلى البرية.

((ومن كانت له أرضٌ)) أي: عِقار ومزرعة بعيدة عن المدينة، بعيدة في ناحية.

«**فليلحق بها**» أي: فليعتزل بها عن الفتنة.

والمقصود -يا إخوة-؛ **أن يَشتغل الإنسان بخُوَيْصَة نفسه من ماله وأهله.**

قال رجل -وجاء في رواية مفسَّرًا: أنه أبو بكرة-: فمَن لم يكن له شيء من ذلك؟ فماذا يفعل؟ يعني: مَن لم تكن له إبل ولا أرض ولا غنم ماذا يفعل؟ فقال -صلى الله عليه وسلم-: ((**فليَعمِد على سيفِه فيدقَّ على حدِّه بحجرٍ**)) أي فليضرب بجانب سيفه على حجر، للسيف جانبٌ حادٌّ يقع به القتل، فماذا يصنع من اضطر للبقاء في المدينة والفتنة فيها فليس عنده شيء يذهب إليه؟ قال: يقصد إلى سيفه فيدقُّ حدَّه بحجر.

قال العلماء: المقصود أن يفعل هذا حقيقةً؛ حتى إذا جاءت الفتنة وتزخرفتْ لا يجد سبيلًا ليكون من أهلها.

وهذا يدل على أنَّ المقصود بالفتنة هنا -يا إخوة-: **القِتال**، نقول: يدل على الفتنة العظيمة التي ذكرها النبي -صلى الله عليه وسلم-: القتال؛ لأنه طَلَبَ منه أن يدقَّ سيفه بحجر حتى لا يخوض في الفتنة.

وقال بعض العلماء: معناه: أن يعتزل الفتنة، وليس المعنى أن يكسر حدَّ السيف.

لكنَّ الأوَّل أظهر؛ لِما عُهِدَ عن الشَّارِع من الحث على المبالغة في البُعد عن الفتنة، فالشَّارع يحثُّ على البُعد عن أسباب الفتنة.

قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((**ثم لِيَنجُ إن استطاع النجاء**))؛ **النجاء**: أي **الإسراع**، يعني: ثم ليُسرِع إن استطاع الإسراع.

وقيل إنَّ**النجاء**: هو **الخلاص**، يعني إن استطاع الخلاص من الفتنة ليَخرجْ من الفتنة.

فقوله: ((**قال رجل: يا رسول الله! أرأيتَ إن أُكرِهتُ حتى يُنطَلَق بي إلى أحد الصفَّين أو إلى إحدى الفئتين؟**))

يعني: يا رسول الله أرأيتَ إن بقيتُ فأُكرِهتُ على الفتنة -والعياذ بالله- فانطُلِق بي مُكرَهًا إلى أحد الصفَّين أو إلى إحدى الفئتَين؟! قال: ((**فضربني رجل بسيفه**)) لأنني أنا قد كسرتُ سيفي ((**فضربني رجل بسيفه أو يجيء سهمٌ فيقتلني؟**)) قال: ((**يبوء بإثمه وإثمك، ويكون من أصحاب النار**)).

معنى: ((يبوء بإثمه وإثمك))؛ قال بعض أهل العلم معناه: أي أنه يرجع بإثمه وإثمك، يرجع بإثمه في الفتنة وإثمك في الفتنة.

لكنَّ الأقرب -والله أعلم- أنَّ المعنى: أنه يبوء ويرجع بإثمه في الفتنة وبإثمك لأنه تسبب في قتلك. المكرَه لا إثم عليه، فهو يرجع بإثمه يعني بإثم قتله؛ لأنه تسبب في قتله.

((ويكون من أصحاب النار)) أي: يكون مستحقًا لها، فهذا من نصوص الوعيد.

قال العلماء: تدل هذه الجملة على رفع الإثم عن المكرَه -المكرَه لا إثم عليه-؛ لكن لا يُباح له القتال.

فمَن أُكرِه على الفتنة ودخل مع الصَّف لا إثم عليه؛ لكن لا يجوز له أن يقاتِل، بل الواجب عليه أن يبقى بلا قِتال؛ ولو قُتِل. هذا معنى الحديث، وهو الذي فَهِمَه أبو بكرة -رضي الله عنه-، ويشهد له: أنَّ العلماء مُجمِعون على أنَّ مَن أُكرِه بالقتل على القتل: لا يجوز له القتل.

لو أنَّ ظالمًا -والعياذ بالله- جاء إلى مسلمٍ فوضع السلاح على رأسه وقال: إمَّا أن تقتل محمدًا من الناس أو أقتلك الآن؟ أجمع العلماء على أنه لا يجوز له أن يقتل محمّدًا؛ وإن قتله مَن أكرَهه، يعني حتى لو عَلِمَ عِلم اليقين أنّ من أكرهه إن لم يقتل محمَدًا سيقتُله؛ لا يجوز له أن يَقتل محمدًا، فلا يُحيي الإنسانُ نفسه بقتل مسلم، وهذا محل إجماعٍ من أهل العلم.

وقد أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- المكرَه في القتال في الفتنة بكسر سيفه وليس له أن يقاتل وإن قُتل.

ففي هذا الحديث: **النهيُ عن القتال في قتال الفتنة**، وسنذكر الحُكم -إن شاء الله- في هذا الأمر.

وبيَّن الحديث: **أنَّ المكرَه إذا قُتل يكون الإثم على القاتل**، وعلى المكرَه أن يفسد سلاحه وأن يصبر حتى يُقتَل مظلومًا.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: **"هذا فيمن أُكرِهَ في قتال الفتنة، فكيف بمَن أُكرِهَ على قتال المسلمين؟! كمَن أكرهه الخوارج"**، لو أنَّ الخوارج أكرهوا مسلمًا على أن يقاتِل معهم، هذا ليس قتال فتنة، هذا قتال للمسلمين، لا شك أنه لا يجوز له أن يقاتِل؛ وإن قتلوه، بل الواجب عليه أن يصبر كما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله عز وجل-.

وقد اختلف العلماء في قتال الفتنة؛ هل يقاتِل فيه المسلم أو لا يقاتل؟

- : فقالت طائفة من العلماء: لا يُقاتَل في فتن المسلمين، وإن دخلوا على المسلم بيتَه، فإنه لا يقاتِل بل يصبر وإن قتلوه. وعلى هذا بعض الصحابة -رضوان الله عليهم- وهو مذهب أبي بكرة؛ فهِمه من هذا الحديث الذي معنا.

- وقال بعض أهل العلم: **لا يُقاتَل في قتال فتن المسلمين، لكن إن اعتزل المسلم فدخل عليه أهل الفتنة بيته فإنه يقاتلهم**؛ لأنه ها هنا ليس من باب القتال في الفتنة وإنما من باب دفع الصائل. و**دفع الصائل** مشروع ولو بقتل من يصول على الإنسان؛ وهذا مذهب ابن عمر وعمران بن الحصين، رضي الله عنهم.
- . وقال بعض أهل العلم: **يجب نصر المُحِقّ في قتال الفتنة**؛ فيقاتل المسلم مع من ظهر له أنَّالحق معه.

وذهب المحقِّقون من أهل الحديث إلى أنَّ القتال بين المسلمين نوعان:

- قتـــال فتنـــة.
- وقتال للخارجين عن الأحكام الشرعية.

- أمَّا **قتال الفتنة**: فيجب اعتزاله. ما هو قتال الفتنة؟ **قتال الفتنة**: أن تقتتل طائفتان من المسلمين لكلٍّ منهما تأويل له وجه. كما وقع في موقعة الجمل وموقعة صفِّين، -وإن كتب الله لنا عمرًا سنُعرِّج عليها إن شاء الله عز وجل، فقتال الفتنة يجب اعتزاله.
- والنوع الثاني: **قتال الخارجين عن أحكام الشرع**، وضابطه: أن لا يكون لإحدى الفئتَين تأويلٌ معتَبرٌ شرعًا، كقتال الخوارج للمسلمين وإمامهم، وهذا لا يجوز اعتزاله.

انتبهوا:

- **قتال الفتنة:يجب اعتزاله.**
- **قتال الخارجين: لا يجوز اعتزاله إن نُدِبَ إليه المسلم**، فإذا دعا ولي الأمر إلى قتال الخوارج المارِقين الذين فيهم صفات الخوارج فإنَّه لا يجوز لأحد أن يَعتزل ويقول هذا قتال فتنة، بل يَتعيَّن عليه أن يقاتل مع إمام المسلمين.

ومَن قُتل في مثل هذا القتال ممن قاتل مع الطائفة التي معها الحق مع إمام المسلمين فهو شهيد معركة.

ولذلك؛ الجنود من المسلمين الذين يُقتَلون في قتال الخوارج في كل زمان هم من شهداء المعارك. لا نجزِم لأحد بالشهادة لكن نقول: حالهم أنهم من شهداء المعارك، لأنَّهم في قتالٍ شرعيٍّ قُتلوا.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: **"أهل المدينة"** وأهل المدينة أهل أثر، ما خلتِ المدينة مِن فقه الأثر، من زمن الصحابة إلى يومنا هذا بحمد الله، أهل حديث، أهل سنَّة، نسأل الله أن يجعلنا من أهل الحديث وأهل السنة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: **"أهل المدينة يرَون قتال من خرج عن الشريعة؛ كالحرورية وغيرهم** -أي الخوارج- **ويفرِّقون بين هذا وبين القتال في الفتنة، وهو مذهب فقهاء الحديث، وهذا هو الموافق لسُنَّة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وسُنَّة الخلفاء الراشدين"**.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: **"أهل المدينة يرَون قتال من خرج عن الشريعة؛ كالحرورية وغيرهمويفرِّقون بين هذا وبين القتال في الفتنة، وهو مذهب فقهاء الحديث، وهذا هو الموافق لسُنَّة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وسُنَّة الخلفاء الراشدين"**... إلى قوله -رحمه الله- عن الخوارج: **"وقد ثبت اتِّفاق الصحابة على قتالهم، وقاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وذكر فيهم سنَّة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- المتضمِّنَة لقتالهم، وفَرِحَ بقتلهم"**.

انظروا لحال علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- في قتال الخوارج:

- **قاتلهم.**
- **وذكر في قتالهم سُنَّة.**
- **وفَرِحَ بقتلهم.**
- **وسَجَدَ لله شكرًا لقتلهم.**

قال: "بخلاف ما جرى يوم الجمل وصفِّين؛ فإنَّ عليًّا -رضي الله عنه- لم يَفرَح بذلك؛ بل ظهر عليه التألُّم ولم يذكر في ذلك سُنَّة وإنما ذكر أنه قاتل باجتهاده"، فانظروا كيف! فرق بين قتال الخوارج الذين مرَقوا وخالفوا الأحكام الشَّرعية فاستحقوا القتال.

علي -رضي الله عنه وأرضاه- قاتلهم، وذكر أنَّ قتالهم سُنَّة، وفرح بقتلهم؛ بل سجد لله شكرًا، أما في قتال الفتنة فإنه -رضي الله عنه- لم يَفرَح؛ بل حَزِن، ولم يَذكر سُنَّة؛ بل ذكر اجتهادًا.

قال شيخ الإسلام: **"فأهل المدينة اتَّبعوا السُّنَّة في قتال المارقين من الشريعة، وترك القتال في الفتنة، وعلى ذلك أئمة أهل الحديث بخلاف مَن سوّى بين قتال هؤلاء وهؤلاء"**.

وقِس على هذا سائر الفتن، سواء فيما يتعلَّق بفتن الأشخاص أو فتن الأقوال، فإنَّه يُفرَّق في الأمور، وبهذا يَستبصِر طالب العلم.

قال العلماء: في الحديث: **التحذير من الفتن وبيان كثرتها وأنَّ من اقترب منها اكتوى بنارها**، ولو ظنَّ أنَّه يَسْلَم منها، لو ظنَّ أنَّ عنده ما يَسْلَم به، فإنَّ شرَّ الفتنة عظيمٌ.

شرح كتاب

الفتن وأشراط الساعة

من صحيح مسلم

◈◈◈

الدرس الخامس

باب إذاتواجه المسلمان بسيفيهما

[بابٌ: إِذَا تَوَاجَهَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا]

عَنِ الأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ: خَرَجْتُ وَأَنَا أُرِيدُ هَذَا الرَّجُلَ، فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرَةَ -رضي الله عنه-، فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَحْنَفُ؟ قَالَ: قُلْتُ: أُرِيدُ نَصْرَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -يَعْنِي عَلِيًّا -رضي الله عنه- قَالَ: فَقَالَ لِي: يَا أَحْنَفُ؛ ارْجِعْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا تَوَاجَهَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا؛ فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ»، قَالَ: فَقُلْتُ أَوْ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ! هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟ قَالَ: «إِنَّهُ قَدْ أَرَادَ قَتْلَ صَاحِبِهِ»].

إذا تقاتل المسلمان فضرب كل واحدٍ منهما بسيفه فالقاتل والمقتول في النار، قال العلماء: إذا لم يكن لهما تأويلٌ معتبَر. أمّا إذا كان لهما تأويل فلا يَدخلان في الوعيد.

ولهذا قال أهل السنّة قاطبةً بلا نزاعٍ بينهم: إنّ الدماء التي جرت بين الصحابة -رضوان الله عليهم- لا تَدخل في هذا الوعيد؛ بإجماع أهل السنّة.

ومذهب أهل السنة: إحسان الظنّ بالصحابة واعتقاد أنّهم عدول، وأنّهم ما قاتلوا لدنيا ولا لشهوة، وإنما قاتلوا عن تأويل؛ إذا اعتقد كل واحدٍ من الطرفين أنّ مخالِفه باغٍ يجب قتاله ليرجع، فهم متأوِّلون.

قال بعض أهل العلم: بعضهم مصيب وبعضهم مخطئ، المصيب له أجران، والمخطئ له أجر؛ لأنّهم عن اجتهادٍ قد اقتَتلوا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- عن الصحابة: "نقول في هؤلاء ونحوهم فيما شجر بينهم: إمّا أن يكون عمل أحدهم سعيًا مشكورًا، أو ذنبًا مغفورًا، أو اجتهادًا قد عُفِيَ لصاحبه عن الخطأ؛ فلهذا من أصول أهل العلم: أنّه لا يُمكَّن أحدٌ من الكلام في هؤلاء بقدح؛ في عدالتهم وديانتهم؛ بل يُعلَم أنّهم عدولٌ مرضيُّون"، هذا منهج أهل السنّة والجماعة، لا يُقدَح فيهم، ولا يُمكَّن أحدٌ من أن يقدح فيهم، بل هم عدولٌ مرضيُّون، رضي الله عنهم وأرضاهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "أهل السنّة متّفقون على عدالة القوم" -يعني على عدالة الصحابة الذين تقاتَلوا في الفتنة- قال: " ثم لهم في التصويب والتخطئة مذاهب -يعني لأهل السنة-:

- **أحدها**: أنّ المصيب عليّ فقط -رضي الله عنه وأرضاه-.
- **والثاني**: الجميع مصيبون.
- **والثالث**: المصيب واحدٌ؛ لا بعينه. -واحد لكنّه غير معيَّن-.
- **والرابع** -وعليه جَمْهَرَة أهل السنّة-: الإمساك عمّا شَجر بينهم مطلقًا، مع العلم بأنّ عليًّا وأصحابه هم أولى الطائفتَين بالحق"[1].

هذا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله.

قوله -صلى الله عليه وسلم-: ((إنّ القاتل والمقتول في النّار)) فلمّا قيل للنبي -صلى الله عليه وسلم-: ((هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: إنّه أراد قتل صاحبه))، مِن هنا قال بعض أهل العلم: إنّ مَن نوى المعصية جازمًا بقلبه؛ يكون آثمًا وإن لم يفعلها ولا تكلم، لماذا؟ قالوا: لأنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- جعل القاتل والمقتول في النار، في عذابٍ واحد.

طيب؛ استشكل الصحابة، قالوا: يا رسول الله! هذا القاتل عرفنا ذنبه؛ في النار، فما بال المقتول؟ قال: ((إنّه أراد قتل صاحبه))، إذن بماذا علَّل النبي -صلى الله عليه وسلم- عذاب المقتول؟ علَّله بالإرادة، قالوا: فدلّ ذلك على أنّ من أراد المعصية إرادةً جازمة يُعاقَب عليها ويَأثم.

ويَشهد لهذا قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((إنّما الدنيا لأربعة نفر: عبدٌ رزقه الله مالًا وعلمًا)) انتبهوا يا إخوة، وأنتم لن تَخرجوا عن هؤلاء الأربعة؛ فانتبهوا! ((إنّما الدنيا لأربعة نفر: عبدٌ رزقه الله مالًا وعلمًا، فهو يتقي فيه ربه ويَصلُ فيه رحمه ويعلم لله فيه حقًّا؛ فهذا بأفضل المنازل)) هذا الأول. ((وعبدٌ رزقه الله علمًا ولم يرزقه مالًا؛ فهو صادق النية يقول: لو أنّ لي مالًا لعملتُ بعمل فلان؛ فهو بنيته؛ فأجرهما سواء)) هذا الثاني، لم يرزقه الله مالًا لكن رزقه علمًا نافعًا فهو صادق النية محسنٌ بنيته؛ يقول: لو أنّ لي مثل مال فلان لعملتُ بمثل عمله؛ فهو

بنيته، فأجرهما سواء. ((وعبدٌ رزقه الله مالًا ولم يرزقه علمًا؛ فهو يَخبِط في ماله بغير علم، ولا يتقي فيه ربه ولا يَصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقًّا؛ فهذا بأخبث المنازل)) هذا الثالث. ((وعبدٌ لم يرزقه الله مالًا ولا علمًا؛ فهو يقول: لو أنّ لي مالًا لعملتُ فيه بعمل فلان؛ فهو بنيته، فوزرهما سواء)) رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني.

والشاهد منه: الرابع، إذن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال((عبدٌ لم يرزقه الله مالًا ولا علمًا؛ فهو يقول: لو أنّ لي مالًا لعملتُ بعمل فلان)) فهذا يؤاخَذ بنيته؛ فوزرهما سواء.

وقال بعض أهل العلم: إنّه لا يؤاخَذ على النيّة في المعصية، لا يؤاخذ بمجرد إرادة القلب الجازمة، وقال بهذا بعض السلف؛ قالوا: لأنه يدخل في حديث النفس ويدخل في الهم؛ وقد دلّت الأحاديث على أنّ من همّ بسيئةٍ فلم يفعلها لا يُكتب له شيء.

وحقّق شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– المسألة تحقيقًا عظيمًا جليًّا؛ فبيّن أنّ الإرادة الجازمة: تقتضي الفعل مع القدرة؛ فإن لم يفعل شيئًا مع قدرته فإنّه لم يجزم.

وأعطيكم مثالًا يُقرِّب المسألة: رجلٌ عزم على طلاق امرأته، في قلبه عزم، وهي طاهر، في طهر لم يمسّها فيه، فلم يطلقها! نقول: هذا إرادته ليست جازمة، لماذا؟ لأنّه لو كان جازمًا لفعل، لأنه قادر، لا يوجد ما يمنعه، فما دام أنه لم يفعل علمنا أنه لم يُرِدْ إرادة جازمة، ولذلك ذهب جماهير العلماء إلى أنّ من نوى الطلاق بقلبه لا يقع طلاقه؛ لأنه لا يكون إرادة جازمة.

إذن يا إخوة؛ الإرادة الجازمة تقتضي الفعل مع القدرة، ولا يتخلّف عنها الفعل إلا لعجز، إذن يا إخوة؛ مَن نوى الزنا –والعياذ بالله– مُريدًا للزنا إرادةً جازمةً لابد أن يفعل ما يقدر عليه؛ مِن النظر، من المشي، من البحث، لابد أن يفعل ما يقدر عليه؛ فإن لم يفعل شيئًا مع القدرة؛ علِمنا أنّه لم يُرِدْ إرادةً جازمة.

إذن ما الحكم؟ الحكم: أنَّ من أراد المعصية إرادةً جازمةً ففعل ما يقدر عليه ولم يمنعه من المعصية إلا العجز؛ يؤاخَذ عليها.

كهذا الرجل الذي معنا في الحديث؛ أراد أن يقتل أخاه إرادةً جازمةً، ولذلك ماذا فعل؟ قاتله؟ لماذا قاتله؟ ليقتله، ما الذي منعه من قتله؟ العجز؛ هذا يؤاخَذ.

أمّا لو أراد وكان قادرًا فلم يفعل شيئًا؛ فإنّه لا يؤاخَذ، ولذلك نقول: من نوى السرقة، عزم على السرقة، وكان قادرًا لكنّه لم يحرّك ساكنًا؛ لا يؤاخَذ بهذا؛ لماذا؟ لأنه لم يعزم، ولو عزم لتحرّك، لأنّ هذا القلب ملِك والأعضاء جنوده، وقد جاء هذا اللفظ عن أبي هريرة -رضي الله عنه- ((القلب مَلِكٌ والأعضاء جنوده))، فإذا جزم المَلك تحركت الأعضاء، ولا يمنعها إلا العجز.

لكن لو أنّه أراد السرقة فنظر في بيت جاره فوجد السور عاليًا؛ ما سرق، لكنّه فعل ما يستطيع، نظر، فمَنَعَه العجز؛ هذا يؤاخَذ بإرادته.

وبهذا يُحَلّ الإشكال ويُجمَع بين النصوص جميعها.

فالإرادة الجازمة تقتضي فعل المقدور عليه، ولا يتخلف عنها الفعل إلا للعجز، فإذا تخلّف عنها مع القدرة لم تكن إرادةً جازمة.

لكن تبقى مسألة: مَن أراد المعصية بقلبه إرادةً غير جازمة، بمعنى لم يفعل شيئًا مع القدرة، تركها إذن، هل يثاب أو لا يثاب؟

نقول: إن تركها لله أُثيب. رجلٌ حدّث نفسه بالزنا -والعياذ بالله- ولم يحرّك ساكنًا، وترك هذا الأمر، لكن لماذا تركه؟ قال: أعوذ بالله، لذة لشيءٍ يسير من الزمن تُغضب الله -سبحانه وتعالى- أُقدِم عليها؟! عقابها تنُّور في النار يوم القيامة، أعوذ بالله؛ فتركها؛ هذا يُكتَب له حسنة.

آخر هَمّ، نوى، لكنّه لم يفعل شيئًا ولم يحرّك ساكنًا مع القدرة، وقال: سبحان الله! لذّة ساعة تجلب لي العار عند الناس، يعيبني الناس بالزنا، قد يراني جاري، قد يراني العسكر، قد يراني الناس! فتركها من أجل الناس، هذا لا يُكتَب له ولا عليه.

بل نقول أيضًا يا إخوة، من نوى المعصية إرادةً جازمةً، وفعل ما يمكن، ثم ترك ذلك لله؛ فإنّه يثاب، يثاب على ماذا؟ يثاب على التوبة، هذه توبة. إنسان أراد الزنا -والعياذ بالله- إرادة جازمة -نسأل الله أن يعيذ المسلمين-، فذهب إلى مكان الزنا، مشى، لكن ما وجد امرأة، هذا يستحق العقاب! فلما جاء فما وجد المرأة قال: أعوذ بالله، ماذا سأفعل بنفسي أنا؟ أُغضِب الله بالزنا؟ أعوذ بالله، أتوب إلى الله، أستغفر الله، أرجع إلى الله. يُثاب على توبته.

بل لو أنّ مسلمًا أراد الزنا إرادةً جازمة -والعياذ بالله- وذهب إليه فوقع له حادث في الطريق فأصيب بعجز وأصبح لا يستطيع أن يزني أصلًا؛ فتاب إلى الله ورجع إلى الله وتحققت فيه شروط التوبة، ندم، وبالتالي لا شك أنّه أقلع لأنه لن يفعل، وعزم أنّه لا يرجع ولا يفعل؛ يقبل الله توبته عند أهل السنة والجماعة، وهو ما يسمى بـ: توبة العاجز، كالمجبوب، والمشلول. رجل كان لصًا يسرق بيوت الناس فوقع يومًا من السور فشُلّ؛ أصبح لا يستطيع السرقة، عاجز؛ فتاب توبةً صادقة؛ تُقبل توبته عند أهل السنة والجماعة، قال أهل السنة والجماعة: تُقبل توبة العاجز.

إذن؛ انتبهوا يا إخوة، نعود فنقول:

- من أراد الشر إرادةً جازمة ففعل المقدور؛ كان مستحقًا للعقوبة ولو لم يفعل نفس المعصية.
- ومن لم يُرِد إرادةً جازمة لا يستحق العقوبة.

وبهذا تنحَلّ المسألة وتجتمع الأدلة ويظهر الحق. والحمد لله.

<u>في هذا الحديث من الفقه:</u>

- أنّ من الناس من يخوض في الفتنة بفعله، فيبوء بالإثم.

من الناس من يخوض في الفتنة بفعله؛ يوزّع أشرطة تحث على الفتنة، يزرع الفتنة بين المسلمين، يوزّع أشرطة تفرّق بين قلوب الراعي والرعية، تجعل الناس وقودًا للخوارج، هذا يخوض في الفتنة بالفعل؛ فيبوء بإثمه.

- ومن الناس من يخوض فيها بلسانه؛ فيبوء بإثمه، نعم قد لايفعل ولا يقوم مع أهل الفتنة؛ ولكنه بلسانه خائض؛ فيبوء بالإثم.
- ومنهم من يخوض فيها بنيته؛ فيبوء بالإثم، نعم -والله-، واللهِ إنا نقول: إنّ من المسلمين من يكون في بلد آخر فتقع فتنة في بلد آخر فيبوء بالإثم؛ لأنّه يحب أن يكون مع أهل الفتنة. فالعياذ بالله مثلًا: الذين يسمعون بما يفعله هؤلاء المارقون في هذا البلد المبارك في أي بلدٍ من البلدان؛ فيتمنّون أن لو كانوا معهم وفعلوا مثل أفعالهم؛ يبوؤون بإثم الفتنة.

- والذين يُثنون على أهل الفتنة؛ يبوؤون بالإثم، الذين يقولون: هؤلاء شجعان، مجاهدون، قاموا في وجه الظَّلَمة؛ يبوؤون بإثم الفتنة.
- الذين يجمعون لهم دعمًا ماديًا أو معنويًا؛ يبوؤون بإثم الفتنة.

فالناس في الفتنة درجات كما دلّ عليه هذا الحديث.

[عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا، فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ».

وَعَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا الْمُسْلِمَانِ حَمَلَ أَحَدُهُمَا عَلَى أَخِيهِ السِّلَاحَ فَهُمَا فِي جُرُفِ جَهَنَّمَ، فَإِذَا قَتَلَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ دَخَلَاهَا جَمِيعًا»].

قوله -صلى الله عليه وسلم-: ((على جُرُف جهنم)) أي على حافة جهنم، ومعناه: أنهما اقتربا من جهنم بهذا القتال.

وهذا يا إخواني -كما قلنا- إنّما هو في قتال الفتنة، فيجب أن يُتنبَّه.

أمّا القتال الشرعي الذي يُقاتَل فيه مَن يستحق القتال؛ من أهل الرِّدة، من الخوارج؛ فهذا لا يدخل في الحديث.

كما أنّه لا يدخل في الوعيد: مَن كان متأوِّلًا؛ أي أنّ قتاله كان لله بتأويلٍ له وجه؛ كما حدث من الصحابة، ليس للدنيا وإنما لله، بتأويلٍ له وجهٌ في الشريعة؛ فهذا أيضًا لا يدخل في الحديث.

<u>إذن؛ يخرج عن الحديث أمران:</u>

- <u>**الأمر الأول**</u>: قتال مَن يكون قتالهم شرعيًّا؛ كقتال الخوارج؛ فهذا لا يدخل في الحديث، نقول هذا لأنّ بعض الناس يأتي إلى الجنود الذين يدافعون عن المسلمين ويقومون بالواجب في مثل هذا الأمر فيذكرون لهم هذا الحديث تخذيلًا لهم؛ وهذا باطل، فإنّ هذا لا يدخل في الحديث، بل هو نوعٌ من أنواع الجهاد في سبيل الله الذي هو ذروة سنام الإسلام.

- **والأمر الثاني**: ما يقع من قتالٍ بين المسلمين لله لتأويلٍ له وجه؛ فهذا أيضًا لا يدخل في الحديث.

وعلى هذا إجماع أهل السنة والجماعة.

روى الإمام مسلم -رحمة الله عليه- بإسناده

[عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ -رضي الله عنه-، قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ، وَتَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ وَدَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ»].

هذا الحديث العظيم الذي أورده الإمام مسلم جاء فيه قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان))، هذا الخبر -يا إخوة- من معجزات النبي -صلى الله عليه وسلم-، ومعجزات النبي -صلى الله عليه وسلم- كثيرة؛ منها: إخباره -صلى الله عليه وسلم- عن أمورٍ تقع بعده، وقد وقع بعضها، وسيقع الآخر؛ إن شاء الله عز وجل.

وهذه معجزةٌ للنبي -صلى الله عليه وسلم-؛ لأنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- كان أمّيًّا لم يكن يقرأ ولا يكتب ولم يأخذ عن أهل الكتاب ولم يتلقّ عن أحد؛ ومع ذلك وهو الأمّيُّ أخبر عن أمورٍ غيبيةٍ تقع في المستقبل، ثم جاء الواقع فوقع كثيرٌ ممّا أخبر به -صلى الله عليه وسلم-، وهذا يدل على أنه لا يمكن أن يكون ذلك إلا من نبيٍّ أوحى إليه رب العالمين، فهذه من معجزات محمدٍ -صلى الله عليه وسلم-.

وقوله -صلى الله عليه وسلم-: ((لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان))، فئتان: تثنية فئة؛ وهي الجماعة، ووَصَفَهم النبي -صلى الله عليه وسلم- بالعِظَم؛ أي: بالكثرة؛ يعني تقتتلان فئتان كثيرتا العدد، فهذه الفئة كثيرة وتلك الفئة كثيرة.

والمراد بالفئتَين عند أهل التحقيق: هم من كانوا مع علي -رضي الله عنه-، ومن كان مع معاوية -رضي الله عنه- لمّا تحاربا بصفّين، وذلك في سنة ستٍّ وثلاثين من هجرة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((دعواهما واحدة))، ما المراد بدعواهما واحدة؟ المراد أنّ دينهما واحد ومقصِدهما واحد، فدينهما واحد؛ هو الإسلام، فكلا الطائفتين مسلمة، ومقصدهما واحد؛ هو الحق، فكلٌّ منهما يقصد الحق عن اجتهادٍ منه، ولا يريد باطلًا، ولا يريد الدنيا، فدعواهما واحدة من هذا الباب.

وموقعة صفّين سيأتي الكلام عليها -إن شاء الله-، لكن نورد شيئا مختَصرًا الآن، وهو أنّ عليًّا -رضي الله عنه- بعد مقتل عثمان -رضي الله عنه- كان أفضل الصحابة باتفاق أهل السنة والجماعة، وبايعه جماعة من الصحابة بالخلافة، وهو -رضي الله عنه- أولى الناس بالخلافة إذ ذاك، لكنّ بعض الصحابة لم يبايع تأوُّلًا لأمرٍ يرى أنّه من الدين، فتخلّف معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنهما- عن مبايعته، ودعا الناس إلى طلب قَتَلَة عثمان -رضي الله عنه-، باعتباره وليًّا لدمه، وراسل عليًّا -رضي الله عنه- في ذلك، لكنّ عليًّا -رضي الله عنه وأرضاه- أبى أن يَدفع القَتَلَة إلى معاوية ومن معه إلا بعد قيام دعوى مِن وليِّ الدم وثبوت ذلك على مَن باشره، وهذه من واجبات ولي الأمر؛ ألا يُسلِّم أحدًا إلى أحد حتى تَثْبت الدعوى عليه، فعليّ -رضي الله عنه- كان محقًّا، ومعاوية -رضي الله عنه- كان متأوِّلًا طالبًا لدم عثمان -رضي الله عنه-.

ورحل عليّ -رضي الله عنه- بالعساكر طالبًا الشام داعيًا معاوية -رضي الله عنه- ومن معه إلى الدخول في طاعته، فالتقى معاوية -رضي الله عنه- ومَن معه، وعليّ -رضي الله عنه- ومَن معه بصفّين، وهي بين الشام والعراق، فكانت بينهم المَقتلة العظيمة التي أخبر عنها النبي -صلى الله عليه وسلم-، وقُتل فيها جمعٌ كبير من المسلمين، قال بعض المؤرخين إنه يزيد على سبعين ألفًا.

ولم يكن مقصود الصحابة -رضوان الله عليهم- القتال؛ بل كانوا حريصين على الاجتماع، ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "أكثر الذين كانوا يختارون القتال من الطائفتين لم يكونوا يطيعون عليًّا ولا معاوية"؛ وإنّما كانوا من أهل الأهواء الذين يختارون القتال، أمّا الصحابة -رضوان الله عليهم- ومَن وفّقهم الله للسنة فكانوا يقصدون الحق.

يقول الشيخ -رحمه الله-: "لم يكونوا يطيعون عليًّا ولا معاوية -رضي الله عنهما-، وكان عليٌّ ومعاوية أطلَب لكفِّ الدماء مِن أكثر المقتتلين لكن غُلِبا فيما وقع".

ثم قال شيخ الإسلام كلمة عظيمة -الكلمة هذه ينبغي للمسلمين أن يتنبهوا لها!- قال رحمه الله: "**والفتنة إذا ثارتْ عجَز الحكماء عن إطفاء نارها**"[١].

ولذلك ينبغي أن يوجّه الحكماء جهدهم إلى منع الفتنة قبل أن تثور، ولن يكون ذلك إلا بنشر السنة وتعليم الناس السنّة. أمّا الفتنة إذا ثارت فنسأل الله أن يكفينا شرّها.

قوله -صلى الله عليه وسم-: ((حتى تقتتل فئتان عظيمتان، وتكون بينهما مقتلة عظيمة))، هذا الحديث -يا إخوة- فيه ردٌّ على مَن كفَّر الطائفتين أو كفَّر إحدى الطائفتين، فإنّه جاء في بعض الروايات: ((لن تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان مسلمتان))، وقوله -صلى الله عليه وسلم-: ((دعواهما واحدة) ردٌّ على أولئك القوم.

[عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ- قَالَ: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرُ الْهَرْجُ» . قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الْقَتْلُ الْقَتْلُ»].

هذا الحديث حديثٌ عظيمٌ، يُبيِّن فيه النبي -صلى الله عليه وسلم- كثرة القتل في آخر الزمان، وليس المراد كثرة القتل للكفار؛ وإنّما المراد كثرة القتل بين المسلمين.

قال الحافظ ابن عبد البَّر: "قد ثبت عن النبي عليه السلام من وجوه: أنّ الهرْج لا يزال إلى يوم القيامة، والهرْج بتسكين الراء: القتل، وكذلك الرواية في هذا الحديث وغيره"[٢].

أصل الهرْج -أيها الإخوة- في لغة العرب هو: اختلاف الناس، واختلاطهم، وكونهم بلا رئيس، وإذا اختلط الناس وكَثُروا وليس لهم رئيس اختلفوا ولا بُدّ، وبغا القوي على الضعيف؛ وهذا يقود إلى القتل، ولذلك؛ يقول الحكماء: "ستُّون سنّة بإمامٍ جائر -ظالم- خيرٌ مِن ساعةٍ بلا سلطان".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "والتجربة تُبيّن ذلك"، فالتجربة قديمًا وحديثًا تبيّن ذلك، فالناس بلا رئيس يَتهارَجون، يَختلفون، ويَتقاتلون.

"قال في النهاية: الهرْج: الاختلاط، وقد هَرَج الناس إذا اختلفوا، وأصل الهرْج: الكثرة والاتساع في الشيء"[٣].

---

(٢)التمهيدلابن عبدالبر: (١٩/١٩٩).
(٣)تحفة الأحوذي للمباركفوري.

والهرْج: القتل، بلسان الحبشة.

الهرْج -يا إخوة- يطلق على القتل بلغة العرب، ويطلق على القتل بلغة الحبشة.

بلغة الحبشة.

لكن ما الفرق بين إطلاق الهرج على القتل عند العرب وإطلاق الهرج على القتل عند الحبشة؟

بينهما فرق؛ الفرق: أنّ الهرْج يطلق على القتل في لغة العرب باعتبار المآل، ليس مباشرة، لا يسمّى الهرْج قتلًا مباشرة، وإنّما الهرج يؤول إلى القتال؛ لأن الهرج كما قلنا هو: الاختلاط والاختلاف بلا رئيس، هذا سيؤدّي إلى ماذا؟ سيؤدّي إلى القتل، فهذا يسميه العرب: تسمية الشيء باعتبار ما يؤول إليه.

يقال عن الطفل الذكر أحيانًا: هذا رجل؛ أي باعتبار ما يؤول إليه إن شاء الله، أي أنّه يؤول إلى أن يكون رجلًا، ويُقال عن الطفلة الأنثى الصغيرة: هذه امرأة؛ باعتبار ما تؤول إليه منكونها تكون امرأة.

أما الهرْج بمعنى القتل في لغة الحبشة فهو يطلق مباشرة، فالحبشة يقولون: الهرْج؛ بمعنى القتل.

فالهرج يُطلق على القتل عند العرب لكن باعتبار المآل، ويطلق على القتل عند الحبشة مباشرة. فهو في لسان العرب كذلك، وفي لسان الحبشة كذلك.

وقوله: قال: ((القتل القتل)) هذا صريح في أنّ تفسير القتل من كلام رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فالرسول -صلى الله عليه وسلم- فسّر ذلك.

فإن قال قائل: ما مناسبة الحديثين الأخيرين للفتن؟

المناسبة: بيان أنّ الفتن العظيمة بين المسلمين تكون في باب القتال، ولذلك ينبغي على المسلمين أن يتنبّهوا لموضوع الدماء، فإنّ أكثر الفتن العظيمة بين المسلمين إنما تكون في هذا الباب.

شرح كتاب

الفتن وأشراط الساعة

من صحيح مسلم

فضيلة الشيخ الدكتور

سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

الدرس السادس

قال الإمام النووي -رحمة الله عليه-:

[بَابُ: هَلاَكُ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ]

عَنْ ثَوْبَانَ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ: «إِنَّ اللهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي أَنْ لاَ يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لاَ يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لاَ يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لأُمَّتِكَ أَنْ لاَ أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَنْ لاَ أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا -أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا- حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا».

وعنه -رضي الله عنه- أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ قَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى زَوَى لِيَ الأَرْضَ حَتَّى رَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَأَعْطَانِي الْكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ».

وعن عَامِرِ بْنُ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ أَقْبَلَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ الْعَالِيَةِ حَتَّى إِذَا مَرَّ بِمَسْجِدِ بَنِي مُعَاوِيَةَ دَخَلَ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، وَصَلَّيْنَا مَعَهُ، وَدَعَا رَبَّهُ طَوِيلاً ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْنَا فَقَالَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ-: «سَأَلْتُ رَبِّي ثَلاَثًا فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً؛ سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لاَ يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لاَ يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لاَ يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا».

وَعَنْهُ -رضي الله عنه- أَنَّهُ أَقْبَلَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَمَرَّ بِمَسْجِدِ بَنِي مُعَاوِيَةَ. بِمِثْلِ حَدِيثِ ابْنِ نُمَيْرٍ].

هذا الحديث حديثٌ عظيم، فيه بيان أمور عظيمة أُعطيها النبي -صلى الله عليه وسلم- لأمته.

قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «إنّ الله زوى لي الأرض» أي جمع لي الأرض. يقال: زويتُ الشيء: جمعتُه وقبضتُه، أي أنّ الله -عز وجل- قرّب البعيد منها؛ حتى اطلّع عليه -صلى الله عليه وسلم-.

قال -صلى الله عليه وسلم-: «فرأيتُ مشارقها ومغاربها»، رأى النبي -صلى الله عليه وسلم- المشارق والمغارب؛ أي رأى جميع الأرض.

وقال بعض العلماء: رأى جهة المشرق والمغرب أكثر؛ قالوا: ولذا نرى أنّ الفتوحات الإسلامية تتّسع ناحية المشرق والمغرب أكثر.

وبعض العلماء قال: لا؛ بل رأى جميع الأرض، وأنّ الإسلام سيدخل الأرض كلها.

ولا شك أنّ الإسلام سيدخل كل بيتٍ على وجه الأرض، أخبر بذلك النبي -صلى الله عليه وسلم-.

فالمعنى: أنّ الأرض جُمِعت للنبي -صلى الله عليه وسلم- فرآها، وهي تُفتَح لأمّته جزءًا فجزء؛ حتى يصل ملك أمته إلى أجزائها.

قال -صلى الله عليه وسلم-: «وأُعطيتُ الكنزين الأحمر والأبيض» أي أُعطِيتُ كنز الذهب؛ وهو الأحمر، وكنز الفضة؛ وهو الأبيض.

فالأحمر: هو مُلك الشام، لماذا سمي بالأحمر؟

لأنّ الغالب على أموال أهل الشام الذهب، ولأنّ الغالب على ألوان أهل الشام الحُمرة.

الأبيض: قيل لفارس، ولماذا سمي الكنز الأبيض؟ قالوا: لأنّ الغالب على أموالهم الفضة، ولأنّ الغالب على ألوانهم البياض.

فقيل: للشام الأحمر، ولفارس الأبيض.

قال: «**بسنةٍ عامّة**» أي بقحطٍ عامٍّ يعمُّ أراضي المسلمين.

قال: «**وألا يسلّط عليهم عدوا**» أي ألا يسلّط عليهم الكفار، ولذلك قال: «**مِن سوى أنفسهم**» أي كائنًا من سوى أنفسهم.

«**فيستبيح**» أي يستأصل.

«**بيضتهم**» ما المقصود بالبيضة؟

المقصود بالبيضة: الجماعة ومكان العِزّ.

لماذا قال عن الجماعة ومكان العِزّ "البيضة"؟

قال بعض أهل العلم: لأنّ البيضة إذا أُهلِكَت ذهب كلُّ ما فيها مِن طعمٍ وفَرْخ، إذا كُسرت البيضة واستُؤصِلت البيضة مِن الأصل لا يبقى منها شيء، أمّا إذا لم تذهب من أصلها فقد يبقى بعضها.

وقال بعض أهل العلم: المقصود بالبيضة: الخوذة، فكأنه شبَّه مكان اجتماعهم ببيضة الحديد التي يضعها الفارس على رأسه.

قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**إنّ الله -عز وجل- قال: يا محمد! إني إذا قضيتُ قضاءً فإنه لا يُردّ**» أي إني إذا حكمتُ حُكمًا مبرَمًا فإنه لا يَردُّه شيء؛ بل لابد من وقوعه.

وهنا ننبّه يا إخوة إلى أنّ العلماء -أخذًا من النصوص- قالوا: القضاءُ نوعان:

- **نوعٌ علّقه الله بسبب**، فيدور مع سببه؛ كالبركة في العمر، والبركة في الرزق؛ يُعلّقها الله -عز وجل- بصلة الرَّحم، فمَن وصل رَحِمَه بورك له في عمره، ونسأ الله له في أجله، وبورك له في رزقه، ومَن لم يصل رَحِمَه لا يحصل له هذا.

ومنها أنّ بعض القضاء قد يُربَط بالدعاء، فإن دعا المسلم رُدّ، وإن لم يدعُ وقع، وكلُّه بقدر الله. ولذلك جاء في بعض الآثار: لا يردّ القضاء إلا الدعاء. وجاء في بعض الأحاديث أنّ الدعاء والبلاء يعتلجان، هذا إذا كان الدعاء مربوطًا بالدعاء.

♦ **<u>والنوع الثاني</u>: أن يكون القضاء غير مربوطٍ بشيء**، وهذا لابد أن يقع، ومنه هذا الذي طلبه النبي -صلى الله عليه وسلم- من الله، فإنّ الله-عز وجل- لم يُعطِه هذا؛ لانّ الله -عز وجل- قضا بهذا الأمر.

النبي -صلى الله عليه وسلم- سأل ربه لهذه الأمّة ألا يهلكها بقحطٍ عام، وألا يسلّط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم؛ فأعطاه الله لأمته: ألا يهلكهم بسنةٍ عامّة، فلا يهلكهم بقحط عام.

ولذلك قال العلماء: يؤخذ من هذا: أنّ القحط لا يعمّ ديار أمة محمد -صلى الله عليه وسلم-، إن وقع سيقع في بعض النواحي. والله -عز وجل- أعطى النبي -صلى الله عليه وسلم- ألا يسلِّط عليهم عدوًا كافرًا يستأصلهم.

شرح كتاب

الفتن وأشراط السّاعة

من صحيح مسلم

فضيلة الشيخ الدكتور

سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ الدّراسات العليا بالجامعة الإسلاميّة بالمدينة النبويّة

الدرس السابع

((بَابُ إِخْبَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فِيمَا يَكُونُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ))

قَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ رضي الله عنه: وَاللهِ إِنِّي لأَعْلَمُ النَّاسِ بِكُلِّ فِتْنَةٍ هِيَ كَائِنَةٌ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ السَّاعَةِ، وَمَا بِي إِلاَّ أَنْ يَكُونَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أَسَرَّ إِلَيَّ فِي ذَلِكَ شَيْئًا لَمْ يُحَدِّثْهُ غَيْرِي، وَلَكِنْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قَالَ -وَهُوَ يُحَدِّثُ مَجْلِسًا أَنَا فِيهِ- عَنِ الْفِتَنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وَهُوَ يَعُدُّ الْفِتَنَ: «مِنْهُنَّ ثَلاَثٌ لاَ يَكَدْنَ يَذَرْنَ شَيْئًا، وَمِنْهُنَّ فِتَنٌ كَرِيَاحِ الصَّيْفِ، مِنْهَا صِغَارٌ وَمِنْهَا كِبَارٌ». قَالَ حُذَيْفَةُ: فَذَهَبَ أُولَئِكَ الرَّهْطُ كُلُّهُمْ غَيْرِي)).

الشرح يحتاج إلى تدقيق في نقل التفريغ

في الحديث: بيان كثرة الفتن في أمة محمد -صلى الله عليه وسلم-، وأنها متفاوتة؛ فمنها: فتنٌ عامة، لا تختص بقطر. ومنها: فتنٌ سريعة. ومنها: فتنٌ صغيرة. ومنها: فتنٌ كبيرة.

(..) قال حذيفة رضي الله عنه: النبي -صلى الله عليه وسلم- أسرَّ إليَّ سرًّا بهذه الفتن، بل بيَّنها بيانًا عامًا، لكنّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو يحدِّث مجلسًا أنا فيه عن الفتن، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو يَعدُّ الفتن: «مِنْهُنَّ ثَلاَثٌ لاَ يَكَدْنَ يَذَرْنَ شَيْئًا»، ما معنى هذه الجملة؟

أي لا يكدنَ يتركنَ شيئًا، فهنّ فتنٌ عظيمة تعمُّ الواحدة منهن؛ حتى لا يكاد يسلم منها أحد، فهي فتنٌ عامة، هذه ثلاث فتنٍ كبيرة عامة.

وقوله رضي الله عنه: عن النبي-صلى الله عليه وسلم-: «وَمِنْهُنَّ فِتَنٌ كَرِيَاحِ الصَّيْفِ»؛ أي أنها تأتي سريعة ومتتابعة، فهي دون الثلاث الأُوَل في العموم، لكنها كثيرة السرعة، كثيرة التتابع؛ يتبع بعضها بعضًا.

«مِنْهَا صِغَارٌ وَمِنْهَا كِبَارٌ»؛ أي أنّ الفتن منها: صغار، ومنها كبار.

إذن -يا إخوة-؛ في هذا الحديث: بيان كثرة الفتن في أمة محمد -صلى الله عليه وسلم-، وأنها متفاوتة؛ فمنها:

- فتنٌ عامة، لا تختص بقطر.
- ومنها: فتــنٌ سريعـــــــة.
- ومنها: فتــنٌ صغيــــــرة.
- ومنها: فتــنٌ كبيـــــرة.

وفي هذا معجزة للنبي -صلى الله عليه وسلم-، فإنه وقعت في المسلمين فتنٌ كبيرة، ووقعت فتنٌ صغيرة، ووقعت فتنٌ سريعة، ولازالت تقع -نعوذ بالله من الفتن-، ففي هذا معجزة للنبي - صلى الله عليه وسلم-.

((عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم مَقَامًا مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلاَّ حَدَّثَ بِهِ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ، قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَؤُلاَءِ، وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيتُهُ فَأَرَاهُ فَأَذْكُرُهُ كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ ثُمَّ إِذَا رَآهُ عَرَفَهُ)).

نعم، حذيفة -هنا- رضي الله عنه يقول: ((قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم مَقَامًا مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلاَّ حَدَّثَ بِهِ))، وهذا مشكل! إذ لو كان المقصود أنه بيّن كل شيء يقع إلى قيام الساعة لمَا كفى ذلك المقام!

ولذلك: الصواب أنّ المراد أنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- بيّن الأمور العظيمة ذات الشأن، ومنها أحوال الفتن.

يقول الإمام الذهبي رحمه الله في سير أعلام النبلاء: **"قد كان صلى الله عليه وسلم يُرتِّل كلامه ويفسره"**، ما معنى يرتِّل كلامه ويفسره؟

أي يتكلم كلامًا مترسِّلاً حتى يفهمه الناس، فكان لا يسرد الكلام سردًا. يقول الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللهُ: **"قد كان صلى الله عليه وسلم يُرتِّل كلامه ويفسره، فلعله قال في مجلسه ذلك ما يُكتب في جزءٍ، فذكر أكبر الكوائن، ولو ذكر أكثر ما هو كائن في الوجود لَما تهيّأ أن يقوله في سَنة؛ بل ولا في أعوام".**

إذن؛ مراد حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- أخبر عن الأمور العظيمة التي تقع إلى قيام الساعة، ومنها الفتن.

قال: ((حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ)).

الدِّين محفوظٌ بحفظ الله، ولذلك أجمع العلماء على أنّ ما يقوم به الدين محفوظ؛ لم يُنسَ منه شيء، وإن نسي البعض حفظ البعض الآخر، فالدين بحمد الله محفوظ، لم يُنسَ منه شيء.

وقوله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ((حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ))؛ أي أنّ البعض حفظ شيئًا ونسي شيئًا، والبعض الآخر حفظ شيئًا ونسي شيئًا آخر، وهكذا.

قوله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ((قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَؤُلَاءِ))؛ يعني: الذين دخلوا في الفتنة، قد علموه، لكنهم تأوّلوا أو نَسوا.

وأخبر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن وقوع هذا الأمر؛ يقول: ((وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيتُهُ فَأَرَاهُ فَأَذْكُرُهُ))؛ يعني: كان يقع فيراه كما قاله النبي -صلى الله عليه وسلم- فيتذكر ذلك الشيء.

في الحديث:

❋: أنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- بيّن الأمور العظيمة ذات الشأن، ومنها أحوال الفتن.

❋: أنّ الحفظ علمٌ

❋:قال الإمام الذهبي رحمه الله -تعليقًا على الحديث-: "قد كان صلى الله عليه وسلم يُرتِّل كلامه ويفسره، فلعله قال في مجلسه ذلك ما يُكتب في جزءٍ، فذكر أكبر الكوائن، ولو ذكر أكثر ما هو كائن في الوجود لَما تهيّأ أن يقوله في سَنة؛ بل ولا في أعوام".

((عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، فَمَا مِنْهُ شَيْءٌ إِلاَّ قَدْ سَأَلْتُهُ، إِلاَّ أَنِّي لَمْ أَسْأَلْهُ مَا يُخْرِجُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ مِنَ الْمَدِينَةِ)).

هذا الحديث متّصل المعنى بما قبله، فحذيفة رضي الله عنه يخبر أنّ الرسول –صلى الله عليه وسلم– أخبره بما هو كائنٌ إلى قيام الساعة.

ومعنى ((أَخْبَرَنِي)) أي: مع غيري –كما تقدم في السابق–، وأخبره بالفتن والأمور العظيمة، ليس بكل شيء –كما قدمنا–.

وإخبار النبي–صلى الله عليه وسلم– إخبارٌ عامٌّ، لكنّ حذيفة رضي الله عنه يقول: ((فَمَا مِنْهُ شَيْءٌ إِلاَّ قَدْ سَأَلْتُهُ، إِلاَّ أَنِّي لَمْ أَسْأَلْهُ مَا يُخْرِجُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ مِنَ الْمَدِينَةِ)) وهذا يقتضي أنّ الرسول –صلى الله عليه وسلم– أخبر الناس أنّ أهل المدينة سيخرجون من المدينة، وهذا الخروج المقصود به الخروج العام، ليس المقصود به خروج البعض، نعم؛ خرج بعض الصحابة للجهاد ولنشر العلم ولنشر الحق، وليس هذا هو المراد؛ وإنما المراد ما يُخرِج أهل المدينة إخراجًا عامًّا.

قال الحاكم في المستدرك: **"قد خفي على حذيفة الذي يُخرج أهل المدينة من المدينة وعَلِمه غيره".**

فأهل المدينة يخرجون بأسباب؛

- منها: أنها إذا فُتحت الأمصار جاء أهل الأمصار فرغَّبوا أهل المدينة في تلك الأمصار، قالوا: والهواء عندنا في الشام كذا، والأرزاق عندنا في الشام كذا، والهواء في مصر كذا، والأرزاق في مصر كذا، والهواء في اليمن كذا، فيخرج أقوامٌ معهم. والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون.
- ومنها: أنّ أمراء سيُخرجون أهل المدينة من المدينة؛ كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه. فحذيفة لم يسأل، لكن غيره عَلِم.

♦ وقد روى البخاري ومسلم أنّ أبا هريرة رضي الله عنه قال: "سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يتركون المدينة على خير ما كانت، لا يغشاها إلا العواف» يريد: عوافي السباع والطير"[١] يعني: يترك أهل المدينة المدينة، وجاء في رواية: «تتركون المدينة».

قال العلماء: ليس المراد: الصحابة؛ وإنما من يأتي بعدهم من ذرياتهم، وذريات ذرياتهم.

«يتركون المدينة على خير ما كانت، لا يغشاها إلا العواف»؛ يعني: لا يوجد فيها إلا السباع، يخرجون خروجًا عامًّا لا يبقى فيها أحد. حتى أنه جاء في بعض الروايات أنّ السباع تروح وتجيء في مسجد النبي -صلى الله عليه وسلم-، من خلوِّ المدينة إذ ذاك.

قال النووي رحمه الله: "المختار أنّ هذا الترك يكون في آخر الزمان عند قيام الساعة".

قال الحافظ ابن حجر: قد روي بإسنادٍ صحيح عن عوف بن مالك قال: "دخل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- المسجد ثم نظر إلينا، فقال: «أمَا والله، ليدعُنّها أهلها مذلَّلَةً أربعين عامًا للعوافي» أتدرون ما العوافي؟ الطير والسباع".

قال الحافظ ابن حجر: "قلتُ: وهذا لم يقع قطعًا؛ وإنما سيقع في آخر الزمان، فيدعها أهلها مذللة أربعين عاما". قال النووي: "إنّ ذلك قبل قيام الساعة".

((وَعَنْ عِلْبَاءُ بْنُ أَحْمَرَ، حَدَّثَنِي أَبُو زَيْدٍ -يَعْنِي عَمْرو بْنَ أَخْطَبَ رضي الله عنه-، قَالَ: "صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّم الْفَجْرَ، وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ، فَنَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ؛ فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ، وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا")).

(١)أخرجه مسلم (١٣٨٩)،في كتاب:الحج،باب: في المدينة حين يتركها أهلها. والبخاري -واللفظه- (١٧٧٥)،في كتاب: فضائل المدينة ،باب: من رغب عن المدينة.

هذا الحديث -يا إخوة- يدل على ما قدمناه؛ وهو أنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- أخبر بذلك إخبارًا عامًّا، ويدل على اهتمام النبي -صلى الله عليه وسلم- ببيان الفتن لأمته؛ ليحذروها، وليسلكوا سبيل السلامة عند وقوعها، وليتهيؤوا لها بتعلُّم السّنة.

وهذا الحديث -يا إخوة- يبيِّن جَلَد النبي -صلى الله عليه وسلم- في بيان الحق للناس، فانظروا: صلَّى النبي -صلى الله عليه وسلم- الفجر وخطب حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى الظهر، فصعد فخطب حتى حضرت العصر، فنزل فصلى العصر، ثم صعد المنبر فخطب حتى المغرب!

الواحد منا إذا تكلم ساعة شعر بالإعياء الشديد، وهو -صلى الله عليه وسلم- يقوم بهذا الأمر العظيم؛ من حرصه على أمته -صلى الله عليه وسلم-، فجزاه الله عنا خير ما جزى نبيًّا عن أمته.

وقوله رضي الله عنه: ((فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ، وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ))، قلنا: هذا لا يلزم أنه أخبرهم بكل شيء؛ لكنه يدل على أنّ الرسول -صلى الله عليه وسلم- أخبرهم بأمورٍ عظيمة من الماضي؛ بما كان من خلق آدم عليه السلام، وبعثة الرّسل، وما يقع من أمور عظيمة في المستقبل.

وهنا نلحظ -يا إخوة- أنّ الراوي لم يصرِّح بما ذكره النبي-صلى الله عليه وسلم- في هذا الوقت الطويل.

وقول الراوي: ((فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا)) يعني أنّ الذين استمعوا متفاوتون في الحفظ؛ فأعلمُنا بما أخبر -عليه الصلاة والسلام- عنه في هذا المقام هو أحفظنا.

وقد جرت سنة الله أنّ الناس يتفاوتون عند سماع العلم؛ فمنهم من يسمع ولا يحفظ شيئًا، ومنهم من يسمع ويحفظ أشياء، ومنهم من يحفظ أكثر من غيره.. وهكذا، وهذه كائنة من زمن الصحابة رضي الله عنهم، فالأعلم هو الأحفظ.

وهذا يدل -يا إخوة- على أنّ الحفظ علمٌ. فحفظ السنة، حفظ الأحاديث؛ علم، وليس كما يقول بعض من لا علم عنده: إنّ مَن حفظ زاد نسخة.

(..) حفظ الأحاديث عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فهو من علوم الأمة العظيمة.

والحفظ هو وسيلة الفقه؛ فإن الفقه في هذا الدين ليس فقه آراء؛ وإنما فقه أثر، فلابد من حفظ الآثار حتى يحصل الفقه للأمة.

فالنبي -صلى الله عليه وسلم- خطب الناس وأخبرهم بما كان حتى دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار.

وما قاله النبي -صلى الله عليه وسلم- نُقل إلينا، لكنه لم يُنقل في حديثٍ واحد، لكن رواه الصحابة رواياتٍ متفرقة، من ذلك ما جاء عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في إخباره عن الأمم السابقة وإخباره عن الرسل، والأحاديث في أشراط الساعة، والأحاديث في الفتن، كلها رواها الصحابة ﷺ، فجاءنا هذا عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في روايات متفرقة.

ويفيد هذا الحديث:

- أنّ الرسول -صلى الله عليه وسلم- كان أحرص ما يكون على البلاغ والبيان؛ فإنه -صلى الله عليه وسلم- كان حريصًا على تبليغ ما أنزله إليه ربه، ناصحًا للأمة، صبورًا على هذا.
- وفيه: أنه ينبغي على العلماء وطلاب العلم أن يُبيِّنوا للناس الخير بالخير؛ ليتَّبعه الناس، وأن يُحذِّروا الناس من الشر بالخير؛ ليَحْذره الناس. طالب العلم ينبغى أن يُبيِّن للناس الخير بالخير، يعني يُبيِّن للناس الخير بالسُّنة؛ فلا يُحدِث بِدعًا، يقول: أريد أن أبيِّن للناس فيها الخير، لا وكلا! يُبيِّن للناس الخير بالخير ويُبيِّن للناس الشر بالخير -أيضا-، يعني بالأساليب الشرعية التي شُرعت في هذه الشريعة من أجل أن يكثر الخير في أمة محمد -صلى الله عليه وسلم-، ومن أجل أن يُجتنب الشر.

ومن ذلك أيضا: أنه ينبغي على طلاب العلم أن يحرصوا على تحذير الأمة من الفتن. وكما قلتُ مرارا وتكرارا لا يحصل التحذير من الفتن إلا بأمرين:

- **الأمر الأول**: أن نُبيّن للناس أنّ الفتن قريبة، كثيرة، لنَحذر ويَحذر الناس.
- **الأمر الثاني**: أن نُبيّن للناس السُّنة، وما كان عليه الصحابة

لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان أَمَنة للناس، وتبقى سنته أَمَنة للأمة، ولأن الصحابة رضي الله عنهم -كما سيأتينا إن شاء الله- كانوا أَمَنة للناس من الفتن، وفي آثارهم وفِقْههم أَمَنة للناس اليوم، فينبغي علينا أن نحرص على بيان الفتن للناس، وعلى أن ننشر السنة بين الناس، وعلى أن نحرص على أن نجمع الخَلق على الحق؛ وهذا من مقاصد الشريعة، وباجتماع الخلق على الحق تندفع الفتن والشرور.

نحن ندعو جميع المسلمين من العامة والخاصة إلى أن يتجردوا للحق، وأن يجتمعوا على الحق، والاجتماع على الحق هو: الاجتماع على ما جمع عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- أصحابه؛ على التوحيد، وعلى الكتاب والسنة، فدعوتنا لإخواننا من طلاب العلم ومن العوام أن نجتمع، لكن أن نجتمع اجتماعًا نافعًا؛ كاجتماع النبي -صلى الله عليه وسلم- مع أصحابه؛ اجتماعٌ على الحق، هذا إذا كنا صادقين في أننا نريد أن نجنِّب الأمة الفتن ببذل أسباب اجتنابها. وفضل الله واسع.

ولعلنا نقف هنا الليلة.

(..) انقطاع التسجيل.

شرح كتاب

الفتن وأشراط الساعة

من صحيح مسلم

◈◈◈

الدرس الثامن

باب في الفتنةالتي تموج كموج البحر

((بَابٌ فِي الْفِتْنَةِ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ))

عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: "كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ رضي الله عنه، فَقَالَ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْفِتْنَةِ كَمَا قَالَ؟ قَالَ: فَقُلْتُ: أَنَا، قَالَ: إِنَّكَ لَجَرِيءٌ! وَكَيْفَ قَالَ؟ قَالَ: قُلْتُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ، وَمَالِهِ، وَنَفْسِهِ، وَوَلَدِهِ، وَجَارِهِ، يُكَفِّرُهَا: الصِّيَامُ وَالصَّلاَةُ، وَالصَّدَقَةُ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ». فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ؛ إِنَّمَا أُرِيدُ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ. قَالَ: فَقُلْتُ: مَا لَكَ ولَهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا، قَالَ: أَفَيُكْسَرُ الْبَابُ أَمْ يُفْتَحُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لاَ؛ بَلْ يُكْسَرُ. قَالَ: ذَلِكَ حَرِيٌّ أَنْ لاَ يُغْلَقَ أَبَدًا. قَالَ: فَقُلْنَا لِحُذَيْفَةَ: هَلْ كَانَ عُمَرُ يَعْلَمُ مَنِ الْبَابُ؟ قَالَ: نَعَمْ، كَمَا يَعْلَمُ أَنَّ دُونَ غَدٍ اللَّيْلَةَ، إِنِّي حَدَّثْتُهُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالأَغَالِيطِ. قَالَ: فَهِبْنَا أَنْ نَسْأَلَ حُذَيْفَةَ مَنِ الْبَابُ، فَقُلْنَا لِمَسْرُوقٍ: سَلْهُ، فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: عُمَرُ" رضي الله عنه.

وعَنْه رضي الله عنه قَالَ: قَالَ عُمَرُ: مَنْ يُحَدِّثُنَا عَنِ الْفِتْنَةِ؟ وَاقْتَصَّ الْحَدِيثَ، بِنَحْوِ حَدِيثِهِمْ))

حذيفة **رضي الله عنه** -كما قدّمنا-؛ هو صاحب السِّر، وهو أعلم الصحابة بالفتن- كان في مجلسٍ من مجالس عمر **رضي الله عنه** ، فقال عمر **رضي الله عنه** مخاطبًا الصحابة: أيُّكم يحفظ حديث رسول الله-صلى الله عليه وسلم- في الفتنة؟ ما الدليل أنّ الخطاب للصحابة؟ الدليل: أنهم هم الذين يُخاطَبون بالسؤال عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه جاء في روايةٍ أخرى عن حذيفة: أنه قَدِمَ من عند عمر فقال: سأل عمر بالأمس أصحاب محمد: أيُّكم سمع قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الفتنة؟

قوله **رضي الله عنه** لحذيفة: ((إِنَّكَ لَجَرِيءٌ)) وفي رواية قال له: ((إنك عليه لجريء))؛ هذا أيها الإخوة ليس ذمًّا لحذيفة رضي الله عنه؛ وإنما معنى الجملة: إنكَ لشجاعٌ مِقدامٌ على الأمر لا تَهابُه؛ فهو مدحٌ له؛ لأنّ الجراءة في لغة العرب: هي الشجاعة، والجريء: هو الذي لا يهاب؛ المقدام، فعمر **رضي الله عنه** يمدح حذيفة **رضي الله عنه** قائلًا له: إنك لمِقدامٌ شجاعٌ لا تهاب.

وقول النبي –صلى الله عليه وسلم-: «فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ، وَمَالِهِ، وَنَفْسِهِ، وَوَلَدِهِ، وَجَارِهِ، يُكَفِّرُهَا: الصِّيَامُ، وَالصَّلَاةُ، وَالصَّدَقَةُ، وَالأَمْرُ، بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ»، تقدَّم معنا –أيها الإخوة- الكلام عن الفتن وأنواعها في المحيا والممات، والمراد بالأهل هنا: الزوجات، لأنه ذكر مع الأهل الأولاد. وخُصّ الرجل بالذِّكر هنا –قال: فتنة الرجل- لأنه في الغالب صاحب الحُكم في داره، وإلا فالنساء شقائق الرجال، وحكم المرأة حكم الرجل؛ تُفتَن في زوجها وولدها ومالها وجيرانها، فليس هذا من باب تخصيص الرجال؛ وإنما من باب ذكر الغالب؛ الغالب أنّ الرجل هو الذي يكون حَكمًا في داره.

وفتنة الرجل في أهله، وماله، ونفسه، وولده، وجاره؛ أنواع:

وقد تقدّم معنا –يا إخوة- أنّ الإنسان قد يُفتن بولده، وقد يُفتن في ولده، وقد يُفتن من ولده، فهي أنواع؛ منها: فرط محبته لأولاده واشتغاله بهم عن الخير، فقد يشتغل الإنسان بأولاده ويترك الخير، فكم من طالب علمٍ كان مُكبًّا على طلب العلم تزوج فأنجب فاشتغل بأولاده عن طلب العلم! وكم من عابدٍ كان صوّامًا على السنّة قوَّامًا على السنة تزوج فأنجب فاشتغل بأولاده عن هذا الخير! فهم فتنة من هذا الباب.

وقد روى الترمذي وغيره، واللفظ للترمذي، وصححه الألباني؛ قال: ((كان النبي –صلى الله عليه وسلم- يَخطبنا؛ إذ جاء الحسن والحسين رضي الله عنهما، عليهما قميصان أحمران، يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله –صلى الله عليه وسلم- من المنبر، فحملهما ووضعهما بين يديه؛ وقال: «صدق الله: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [التغابن : ١٥]؛ نظرتُ إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعتُ حديثي ورفعتهما»، ثم أخذ في الخطبة))

النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب خطبة في أصحابه، فجاء ابناه: الحسن والحسين، وهو جدهما صلى الله عليه وسلم ، وهما صغيران يمشيان ويتعثران، انظروا النبي صلى الله عليه وسلم في أمرٍ عظيم؛ يخطب، لكنه رقَّ فنزل وحملهما، وذكر الآية، وفسَّر هذا من الفتنة.

فالولد قد يشغل والده عن الخير؛ لأنّ قلبه يتعلق به، أو لتفريطه بما يلزم من القيام، قد تكون فتنة الولد في تفريط الأب فيما يلزم من القيام بحقوق الأولاد، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كلكم راعٍ، وكلكم مسئولٌ عن رعيته»، وثبت عنه في الصحيحين أنه قال: «ما من عبدٍ يسترعيه الله رعيةً يموت يوم يموت وهو غاشٌّ لرعيته؛ إلا حرم الله عليه الجنة»؛ «ما من عبدٍ يسترعيه الله رعية» وهذا يشمل كل من استرعاه الله رعية ومنهم الوالد، «يموت يوم يموت وهو غاشٌّ لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة» فهو متوعَّدٌ بهذا الوعيد الشديد –والعياذ بالله–، فقد تكون الفتنة من هذا الباب.

وقد تكون فتنة الرجل بولده بأن يعصي الله عز وجل من أجل ولده، فكم من رجلٍ كان حريصًا على الطاعة، فلمّا أنجب فُتن بأولاده، فجاء بأمورٍ محرَّمة كان يرى أنها محرَّمة؛ من أجل أولاده، إمّا من آلات الملاهي المحرَّمة أو أشرطة الغناء أو نحو ذلك من المحرمات، فيكون الولد فتنةً له.

والفتنة بالأهل –أي بالنساء–:

- قد تقع بالميل إليهنّ،
- وقد تقع بالميل عنهنّ،
- قد تقع بالميل إليهن؛ فينشغل الإنسان بهن عن الخيرات،
- وقد تقع بالميل عنهن؛ إذا تزوج الرجل أكثر من امرأة فيميل إلى واحدةٍ ويدع الأخرى، فهذا فُتن بأهله.

والفتنة بالمال:

- قد تقع في طريق كسبه،
- وقد تقع في طريق التصرُّف به؛ بحيث لا يُخرِج حق الله فيه.

والفتنة بالجار:

- قد تقع بالحسد بين جارين،

- وقد تقع بالمزاحمة في الحقوق،
- وقد تقع بإهمال الحقوق، وقد تقع بإهمال الحقوق، وقد تقع بعدم الصبر على أذية الجار.

*وليست الفتنة -أيها الإخوة- محصورةً فيما ذكرنا، ولكنها أمثلة.

ولذلك؛ ذكر أهل العلم ضابطًا عظيمًا؛ قالوا: كل ما يَشغل صاحبه عن الله فهو فتنة، فيدخل في ذلك من ذُكر ومَن لم يُذكر.

طبعا أيها الإخوة؛ فتنة المسلم بالولد والأهل والمال والجار قد توقعه في المعاصي وقد لا توقعه، فقد يقع في المعصية، وهذه المعاصي ذنوبٌ يُرجى تكفيرها بالحسنات، كما قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ [هود: ١١٤].

وأمّا تخصيص الصلاة وما ذُكر معها للتكفير دون سائر العبادات؛ ففيه إشارةٌ إلى تعظيم قدرها، لا من أجل نفي التكفير عن غيرها، بل غيرها يُكفِّر أيضًا؛ لكنها خُصَّت لبيان عظيم قدرها، فذكر النبي صلى الله عليه وسلم من عبادة الأفعال: الصلاة والصيام، وذكر من عبادة المال: الصدقة، وذكر من عبادة الأقوال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهذا يدخل فيه كل عبادة؛ لكن خُصَّت هذه لعظيم قدرها.

طيّب؛ هذا التكفير، بمَ يحصل؟

قال بعض أهل العلم: يحصل بهذه العبادات، فإذا صلى؛ كُفِّرت عنه هذه السيئات، إذا تصدّق؛ كُفّرت عنه هذه السيئات، وهذا الصحيح.

وقال بعض أهل العلم: بالموازنة، ما معنى الموازنة؟ أي أنّ هذه حسنات تَرجِحُ بتلك السيئات؛ مع بقاء تلك السيئات.

فهِمْتم -يا إخوة- الفرق بين القولين؟

- <u>**القول الأول**</u>: معناه أنّ السيئات تُمحى بالصلاة، والصيام، والصدقة.

وقوله رضي الله عنه -أعني عمر رضي الله عنه-: ((أُرِيدُ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ))، والعياذ بالله، أي: تضطرب، ويَدفع بعضها بعضًا، وشبَّهها بموج البحر؛ لشدتها، وكثرتها، وصعوبة النجاة منها، كموج البحر، الإنسان قد يسير في البحر سليمًا لكن يأتيه الموج فيجرفه، ولا يستطيع أن يردّه.

قال: ((فَأَسْكَتَ الْقَوْمَ)) أي صمت القوم؛ لأنهم لم يكونوا يحفظون هذا النوع. تقدم معنا -يا إخوة- أنّ حذيفة رضي الله عنه ذكر أنّ الذين شاركوه في معرفة هذه الفتن قد ماتوا، فسكت القوم لأنه لم يكن منهم مَن يَعلم تلك الفتن.

فقال حذيفة رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه: ((مَا لَكَ وَلَهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا)) فمعنى هذا أنّ حذيفة رضي الله عنه أخبر عمر رضي الله عنه أنَّ الفتن لن تقع في الأمة وعمر رضي الله عنه موجود، فلا يخرج منها شيء في حياة عمر رضي الله عنه، يعني الفتن الكبرى العظمى.

و"الباب" جاء أنه: عمر بن الخطاب رضي الله عنه -كما سيأتي-.

قال: ((أَيُكْسَرُ الْبَابُ أَمْ يُفتَحُ؟))؛ قال بعض أهل العلم: ليَعلم عمر هل هذه الفتن يمكن أن تُغلَق أو لا يمكن؟ لأنه لو قال: يُفتح؛ فهذا يدل على عدم عِظَم الفتنة، ويدل على أنه يمكن أن يُغلق مرة أخرى، لكن إذا قال: "أنه يُكسر"؛ فهذا أولا: يدل على عظم الفتنة وأنها تكون عن مغالَبة، ثم يدل أنها لن تُغلق بعد ذلك أبدًا، فأخبره حذيفة رضي الله عنه أنه يُكسر.

وجاء في بعض الروايات في مسلم في كتاب الإيمان -وقد تقدَّم- قول حذيفة رضي الله عنه: "وحدّثتُه أنّ ذلك الباب: رجلٌ يُقتل أو يموت"، فهو في الكناية صرَّح؛ قال: يُكسر، لكن في التصريح جاء بـ "أو". قال العلماء: قوله: "يُقتل أو يموت"؛

- إمّا حذيفة رضي الله عنه سمع ذلك من الرسول -صلى الله عليه وسلم- بـ "أو"؛ وهذا مرجوح.
- أو أنه لم يُرِد أن يُخبر عمر رضي الله عنه أنه يُقتَل، لأنّ عمر رضي الله عنه كان يعلم أنه الباب، فلم يُرِد أن يقول له: إنكَ ستُقتل.

- وقال بعض أهل العلم: لا، لكن لعل حذيفة رضي الله عنه لم يكن مأذونًا له في الخبر، فقال: "يُقتل أو يموت"؛ لأنّ الرجل إمّا أن يُقتل وإمّا أن يموت، فذكر ما يمكن أن يقال في هذا الباب.

يقول العلماء: الفتن كالدار، والباب: عمر رضي الله عنه، الفتن محبوسة في دار، والباب عمر، فإذا قُتل عمر رضي الله عنه خرجت الفتن.

وقول حذيفة رضي الله عنه: ((حَدِيثًا لَيْسَ بِالأَغَالِيطِ)):

الأغاليط: جمع أُغلوطة، وهي التي يُغالَط بها، فمعناه: حدَّثْتُه حديثًا عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، ليس هو من أحاديث أهل الكتاب وليس من اجتهادي؛ وإنما حديثٌ محقّقٌ عن النبي -صلى الله عليه وسلم.

والحاصل أيها الإخوة؛ أنّ الحائل بين الفتن والمسلمين: كان عمر رضي الله عنه؛ وهو الباب، فما دام حيًّا لا تدخل الفتن العظيمة على المسلمين، فإذا مات دخلت الفتن، وكذا كان، فإنّ أوّل الفتن العظيمة في ديار الإسلام كانت بعد موت عمر رضي الله عنه، وهي الفتنة في خروج أولئك القوم عن طاعة عثمان رضي الله عنه.

وفي الحديث يا إخوة؛ أنّ عمر رضي الله عنه أَمَنَة للمسلمين من الفتنة، وكذلك أصحاب رسول الله صلى الله عله وسلم فإنهم أَمَنَة للناس من الفتنة.

فمَن أراد اليوم الأَمنة من الفتنة: فعليه بمنهج الصحابة رضي الله عنهم؛ فإنّ صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أَمنَة للأُمَّة.

وقد مات الرسول صلى الله عليه وسلم لكن بقيت سُنّته، فمَن أراد الأمَنة فعليه بالسنة، والصحابة رضي الله عنهم كانوا أَمنة للأمة وماتوا؛ لكن بقيت سيرتهم، فمن أراد الأَمنَة فعليه بمنهج الصحابة رضي الله عنهم.

روى مسلمٌ في صحيحه، أنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «النجوم أَمنَةٌ للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعَد، وأنا أَمنَةٌ لأصحابي، فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أَمنَةٌ لأمتي، فإذا ذهب

أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»، فجعل النبي -صلى الله عليه وسلم- نسبة أصحابه إلى الأمة كنسبته لأصحابه، وكنسبة النجوم إلى السماء.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "**ومن المعلوم أنّ هذا التشبيه -وانتبهوا لهذا يا إخوة- يعطي الأمّة من وجوب اهتداء الأمة بهم ما هو نظيرُ اهتدائهم بنبيِّهم -صلى الله عليه سلم-، ونظير اهتداء أهل الأرض بالنجوم، وأيضًا فإنه جعل بقاءهم بين الأمة أَمَنة لهم وحِرزًا من الشرِّ وأسبابه**".

وهذا -يا إخوة- هو الذي يجعل أهل الحق يقولون: إنّ الحق في الأمة هو: بالأخذ بمنهج الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، هذا أحد الأدلة؛ وإلا فالأدلة بحرٌ لا ساحل له.

فإذا أرادَت الأمَّة السلامة والأَمنَة والعزَّة: فعليها أن تتمسك بكتاب الله وسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على فَهم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ فهذا فيه الأَمنَة لهذه الأمة.

والأحاديث المذكورة في هذا الباب من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تتعلّق بإخباره -صلى الله عليه وسلم- عن أمورٍ وقعت بعد وفاته صلى الله عليه وسلم.

((وعن جُنْدُبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جِئْتُ يَوْمَ الْجَرَعَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ، فَقُلْتُ: لَيُهَرَاقَنَّ الْيَوْمَ هَا هُنَا دِمَاءٌ. فَقَالَ ذَاكَ الرَّجُلُ: كَلاَّ وَاللهِ. قُلْتُ: بَلَى وَاللهِ. قال: كَلاَّ وَاللهِ. قُلْتُ: بَلَى وَاللهِ. قَالَ: كَلاَّ وَاللهِ، إِنَّهُ لَحَدِيثُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَنِيهِ. قُلْتُ: بِئْسَ الْجَلِيسُ لِي أَنْتَ، مُنْذُ الْيَوْمِ تَسْمَعُنِي أُخَالِفُكَ وَقَدْ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلاَ تَنْهَانِي؟! ثُمَّ قُلْتُ: مَا هَذَا الْغَضَبُ؟ فَأَقْبَلْتُ عَلَيْهِ وَأَسْأَلُهُ؛ فَإِذَا الرَّجُلُ حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)).

جندب يحكي أمرًا؛ قال: ((جِئْتُ يَوْمَ الْجَرَعَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ -لم يعرفه-، فَقُلْتُ: لَيُهَرَاقَنَّ الْيَوْمَ هَا هُنَا دِمَاءٌ. فَقَالَ ذَاكَ الرَّجُلُ: كَلاَّ وَاللهِ -لا يقع-. قُلْتُ: بَلَى وَاللهِ -سيقع-. قَالَ: كَلاَّ وَاللهِ -لا يقع-. قُلْتُ: بَلَى وَاللهِ)) انتبهوا يا إخوة؛ كان جندب يحلف أنه سيقع، وحذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحلف أنه لن يقع، وكُرِّر ذلك، لكن انظروا ماذا وقع؟! ((قَالَ: كَلاَّ وَاللهِ، إِنَّهُ لَحَدِيثُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَنِيهِ))، هل قال جندب:

بلى والله؟ لا! لأنها السنة، والقوم وقّافون عند السنة، لَمّا كان الأمر إلى الرأي فيما ظهر له والنظر في الأمور كان يُخالِف ويقول: سيقع، لكن لمّا جاءت السنة وقف؛ بل غضب، غضب على هذا الرجل وقال له: ((بِئْسَ الْجَلِيسُ لِي أَنْتَ)) لماذا؟

قال: ((مُنْذُ الْيَوْمِ تَسْمَعُنِي أُخَالِفُكَ- وفي رواية: أحالفك؛ يعني نحلف- وَقَدْ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فَلاَ تَنْهَانِي؟!))، قال: ((ثُمَّ قُلْتُ: مَا هَذَا الْغَضَبُ؟)) يعني قلتُ لنفسي: ما هذا الغضب؟ لأنّ الغضب مذموم، وعند الحاكم في المستدرك: (قال لي: ما لَك وللغضب؟) يعنى حذيفة هو الذي قال: ما لكَ وللغضب؟ لا تغضب، قال: فأقبلتُ عليه أسأله؛ فإذا الرجل حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الجَرَعَة -يا إخوة-: مكانٌ مُشرِف، قريب من الكوفة. ويوم الجرعة وقع في عام أربعٍ وثلاثين من الهجرة، في زمن عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حيث تكاتب المنحرفون عن طاعة عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في الأقطار وثاروا على وُلاتهم في الأقطار، وكان أكثرهم في الكوفة، فثاروا على سعيد بن العاص أمير الكوفة لعثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وأرسلوا إلى عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رُسلًا، نالوا منه ومن أمرائه، وذمّوه، وقدحوا فيه، وذمّوا الأمراء، وطلبوا أن يعزِل عمّاله؛ فثقل الأمر على عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فدعا أمراءه للتشاور، فجاؤوا، منهم: معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وعمرو بن العاص، وسعيد بن العاص.. وغيرهم، فاشْتَوَروا واستقر الرأي على أن يُقر عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أمراءَه في أماكنهم، وأن يتألّف هؤلاء بالمال، وأن يُوجِّههم إلى الجهاد في الأطراف. فرجع سعيد بن العاص إلى الكوفة، فثار أولئك القوم في الكوفة، ولبسوا أسلحتهم، وقالوا: والله لا يدخل هذا الوالي الكوفة، وطلبوا أميرًا غيره، وكان اجتماعهم بمكانٍ يقال له الجَرَعَة؛ فقيل له: "يوم الجرعة". فوقع هذا الحديث، جندب -رضي الله عنه وأرضاه ورحمه- لمّا رأى أنّ هؤلاء القوم لبسوا السلاح وخرجوا وسعيدٌ قادم؛ قال: سيقع قتال وستهراق الدماء، فحذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عنده علمٌ من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: كلا والله، لن يقع!، فقال جندب: بلى والله، سيقع! فقال حذيفة: كلا والله، لن يقع!، ثم بيّن حذيفة أنّ ذلك من خبر رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وقد وقع الأمر كما قال

حذيفة، فأحجم سعيد بن العاص عن قتالهم ورجع إلى المدينة وكسر الفتنة، وأرسل عثمان رضي الله عنه أميرًا غيره، فانطفأت الفتنة في ذلك الوقت، وإلا فأهل الشرِّ استمروا في شرِّهم، لكن فتنة هذا الأمر انطفأت.

قوله: ((بِئْسَ الْجَلِيسُ لِي أَنْتَ، مُنْذُ الْيَوْمِ تَسْمَعُنِي أُخَالِفُكَ؟!))؛ يعني أخالفك في هذا الأمر. وفي رواية: ((أُحَالِفُكَ))؛ أي أُقْسم الأيمان معك، وهذا هو الأقرب؛ لكثرة الحلف فيما بينهما.

وفي هذا الأثر أيها الإخوة؛ بيان أنّ السلف كانوا وقَّافين عند النصوص، فلم يكونوا يقدِّمون العواطف ولا الأهواء ولا الآراء؛ بل كانوا يرجعون عن آرائهم إلى النصوص، وهذا هو طريق السلامة. أمّا إذا أخذتْ الأمة طريقًا آخر فكان تقديم الآراء على النصوص فإنّ ذلك سبب فرقةٍ وذلٍّ. وقد وقع كثيرٌ من المتأخرين في عدم الوقوف عند النصوص؛ ففي الأحكام؛ يسمع المسلم النص الصحيح الصريح ويأبى أن يعمل به؛ يسمع الحنفيُّ -مثلا- أنّ النبي -صلى الله عليه وسلم-: كان يرفع يديه عند الركوع وعند الرفع من الركوع وعند القيام من التشهد الأوسط في أحاديث صحاح مثل الشمس، فيقول: لا.. لا، أنا لا أرفع، بل بعضهم يسيء الأدب؛ حتى قال بعضهم: ماذا يريد بالرفع؟ أيريد أن يطير؟!

ويقول -مثلا- المالكي: أنا لا أقبض وأنا قائم قبل الركوع بل أُرسِل فيسمع الحديث في الصحيحين وفي موطأ الإمام مالك: أن ّالنبي -صلى الله عليه وسلم- كان يقبض؛ يقول: لا.. لا.

ويأتي الشافعي -مثلًا- ويعلم أنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- ما ذبح هديه إلا يوم النحر فيقول: لا، نذبح قبل يوم النحر، مع وضوح النص عنده.

ويأتي الحنبلي -مثلا- ويقول: أنا أقبض على السرة وأنا قائم ويسمع بالنص الصحيح الصريح أنّ النبي -صلى الله عليه وسلم-: كان يضع اليمنى على اليسرى على صدره، ويقول: لا.. لا.

لا شك أنّ هذا ليس من نهج السلف رضي الله عنهم.

وفي العقيدة يسمع الأشعريُّ قول الله عز وجل: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥]، ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦]؛ ويقول: لا، الله في كل مكان، و ﭽ ﮊ ﭼ يعني: استولى! يسمع سؤال النبي -صلى

الله عليه وسلم- للجارية: أين الله؟ فيقول: لا يجوز لأحدٍ أن يسأل: أين الله! كأنه أعلم بالأحكام من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-! وتشير الجارية بأصبعها وتقول: في السماء، فيقول: «من أنا؟» فتقول: أنَت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فيقول: «اِعْتقها؛ فإنها مؤمنة»، يأتي الأشعري ويقول: لا! لو كنتُ عندها لقطعتُ أصبعها؛ كيف تشير؟!

في التعامل بين المسلمين كان أحد من لا يعرف حق ولاة الأمر على الرعية؛ ذكرنا له الأحاديث التي في الصحيحين أو في أحدهما من الأمر بالطاعة، وقول النبي -صلى الله عليه وسلم: «سيكون فيكم أمراء، لا يهتدون بهداي، ولا يستنون بسنتي، يقوم فيهم أناسٌ قلوبهم قلوب شياطين في جثمان إنس»، قال حذيفة ﵁ فما تأمرني يا رسول الله إن أدركتُ ذلك؟! قال: «تسمع وتطيع للأمير، وإن ضُرِب ظهرك وأُخِذ مالك» قال: لا.. لا، هذه الأحاديث أنتم جئتم بها من أجل الحكام، قلنا: هذا في الصحيحين يا أخي! قال: وإن كان، لا كرامة لهم.

هذا خللٌ عظيم؛ المؤمن وقَّافٌ عند النصوص، إذا جاءت العاطفة تخالف النص ذبح العاطفة ذبحًا، وسلَّم زمامه لقال الله قال رسوله صلى الله عليه وسلم، يضيء حياته كلها بالنصوص، لا يقدِّم على قول الله وعلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم قول أحدٍ.

وقد مرّ معنا أنّ الإمام الزُّهريّ والإمام مالك -رحمهما الله- قد قالا: "إنّ السُّنة سفينة نوح، والدنيا طوفان"، فمن قال -يا إخوة-: سآوي إلى جبلٍ يعصمني من الماء دون السنة غرق ولا شك، أمّا من قال: سمعتُ وأطعتُ؛ سلِم ونجا.

ونحن -يا إخوة- في هذا الزمان بالذات نعيش في طوفانٍ عظيم، والمتكلمون في الدنيا كُثر، تَعمَّم الكثير، وتمشيَخ الكثير، وكلٌّ يقول: إليَّ.. إليَّ فالحَقُّ عندي، والنجاة بيَّنها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فإنّ من

يَعِش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعَضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإنّ كل محدَثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة».

فإذا دُعِيتَ أيْ أُخيَّ إلى حُكمٍ أو فكرٍ أو عقيدةٍ فانْظر إلى المتقدّمين، إلى سلف الأمة؛ فإن كان هذا عندهم فأَنعِم به، وإن لم يكن عندهم فاحْذره؛ فلا خير فيه لك، ولا خير فيه لأهلك، ولا خير فيه لأمتك.

فعلينا -أيها الإخوة- أن نتأدب مع الكتاب والسنة بأدب سلفنا الصالح رضي الله عنهم.

ووالله ثم والله لن يجمع الأمة إلا الكتاب والسنة بعد فضل الله -سبحانه وتعالى-.

إذا عرفنا فضل الأئمة الأربعة، ولهم -وربِّ الكعبة- فضلٌ عظيمٌ على الأمة؛ نعرف فضل الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت -رضي الله عنه ورحمه-، ونعرف فضل الإمام مالك بن أنس -رضي الله عنه ورحمه-، ونعرف فضل الإمام محمد بن إدريس الشافعي -رضي الله عنه ورحمه-، ونعرف فضل الإمام أحمد بن حنبل -رضي الله عنه ورحمه-، ونأخذ من أقوالهم وأقوال فقهاء الإسلام ما دلَّ عليه الدليل، هنا سنجتمع، أمّا إذا كان كل واحدٍ يقول: أنا على هذا المذهب لا أتركه أبدًا؛ سيترتَّب على ذلك أمور:

- منها: ترك كثيرٍ من النصوص؛ فإنه لم يوجد إمامٌ من أئمة الإسلام جمع النصوص كلها.
- ومنها: افتراق الأمة؛ حتى يقع ما وقع قبل زمنٍ في المسجد الحرام، في أكبر مساجد المسلمين! أربعةُ محاريب، وليس محرابًا واحدًا، أمام الكعبة التي يتجه إليها المسلمون جميعًا! محرابٌ للأحناف، ومحرابٌ للمالكية، ومحرابٌ للشافعية، ومحرابٌ للحنابلة، حتى في صلاتهم أمام بيت ربهم يتفرقون! مع تباغض القلوب -والعياذ بالله-.
- ويقع أيضًا النيل من بقية الأئمة: إما بالحال وإما بالمقال، مثلًا أنا قلت: أنا حنفيٌّ لا أدع الإمام أبي حنيفة رحمه الله أبدًا، معنى ذلك أنّ الإمام مالكا رحمه الله كان مخطئًا في كل شيء، وأنّ الإمام الشافعي كان مخطئًا في

كل شيء، وأنّ الإمام أحمد كان مخطئًا في كل شيء، وهذا نيلٌ من هؤلاء الأئمة، ثم يقود الأمر إلى النيل بالمقال.

وهذا لا شك -أيها الإخوة- أن فيه تفريقا للأمة.

أما إذا قلنا: نعرف فضل أئمتنا ونحترمهم وإذا رجَّحنا قولًا غير قول أحد الأئمة فإنا نحفظ لذلك الإمام فضله ونعتقد أنه مأجورٌ وليس مأزورًا؛ اجتمعنا واجتمعت كلمتنا وتقاربت قلوبنا وعرفنا حق أئمتنا، ومن قبل ذلك وهو أعظم من كل هذا: عرفنا حق ربنا وحق رسولنا صلى الله عليه وسلم .

وكذا في العقيدة؛ تتَّحدُ كلمتنا وتجتمع على عقيدتنا في ربنا، وعلى عقيدتنا في نبينا صلى الله عليه وسلم، وعلى عقيدتنا في الصحابة ﭫ، وهكذا في كل أمور العقيدة، ولن يكون ذلك إلا بالتسليم للكتاب والسنة، وبه يحصل الحق.

ولذلك يا إخوة؛ من أراد أن يكون داعيةً إلى الحق الذي تنتفع به الأمة وترتفع به الأمة فليتقِّ الله في نفسه، وإيَّاه أن يقول كلمةً واحدةً تُبعِد الأمة عن الكتاب والسنة؛ بل عليه أن يقرِّب الناس من الكتاب والسنة ما استطاع إلى ذلك سبيلًا.

يقول بعض الناس: هؤلاء دعاة فُرقةٍ وتفريقٍ للأمة؛ يقولون: أشاعرة، يقولون: أهل سنة، يفرّقون الأمة، نحن نقول: ما الاجتماع في الأمة؟

أليس الاجتماعُ الاجتماعَ على ما كان عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه؟

وإلا كان فرقة؟

إن قيل: كان فرقة؛ فهذه مصيبة! وإن قيل: إنه كان اجتماعًا؛ قلنا: ونحن نقول: إنّ هذا التفرّق الذي حصل مرضٌ أصاب الأمة ونحن يجب أن نكون أطباء لنحاول جاهدين أن يُشرِّفنا الله بِأن نضع في اجتماع الأمة ولو

لبِنة واحدة، والله لو سقطت الرقاب من أجل أن يكون الإنسان سببًا في عودة الأمة إلى السُّنة، ولو إلى شيءٍ منها، لَمَا كان ذلك عزيزًا.

وأنتم أيها المبارَكون، يا من اجتمعتم في مسجد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؛ ينبغي على كل واحدٍ منا بحسبه وقدرته أن ينشر هذا الأمر بين من حوله، مُحبِّبًا ومُتلطِّفًا ومُبيِّنًا ومُفصِحًا؛ حتى نكون من دعاة الخير.

واللهُ ناصرٌ دينه بنا أو بغيرنا، لكنّ الخوف علينا، نحن لا نخاف على الدين، الله حفِظ دينه، لكنّ الخوف علينا؛ أن نقصِّر فيما نستطيع فنُسأل بين يدي الله؛ فلا جواب، أو أن نكون سببًا لتخذيل الأمة عن الكتاب والسنة؛ فنُسأل عن ذلك بين يدي الله؛ فماذا نقول؟!

فنسأل الله عز وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يجمع أمة محمد صلى الله عليه وسلم على ما اجتمع عليه الصحابة رضي الله عنهم، وأن يعيد الجميع عوْدًا حميدًا إلى الفهم العظيم فَهم الصحابة رضي الله عنهم، وأن يكفي المسلمين شرور أعدائهم من الشياطين؛ من شياطين الإنس والجن، ممن يتكلمون بلغتنا وممن لا يتكلمون بلغتنا.

ولعلنا نقف في هذا الموطن، لنواصل غدا إن شاء الله عز وجل.

شرح كتاب

الفتن وأشراط الساعة

من صحيح مسلم

◈◈◈

الدرس التاسع

باب لا تقوم الساعة

حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب

((بَابٌ لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَحْسِرَ الْفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ))

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ، قَالَ: كُنْتُ وَاقِفًا مَعَ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ فَقَالَ: لاَ يَزَالُ النَّاسُ مُخْتَلِفَةً أَعْنَاقُهُمْ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا. قُلْتُ: أَجَلْ. قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يُوشِكُ الْفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَإِذَا سَمِعَ بِهِ النَّاسُ سَارُوا إِلَيْهِ، فَيَقُولُ مَنْ عِنْدَهُ: لَئِنْ تَرَكْنَا النَّاسَ يَأْخُذُونَ مِنْهُ لَيُذْهَبَنَّ بِهِ كُلِّهِ»، قَالَ: «فَيَقْتَتِلُونَ عَلَيْهِ، فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ». قَالَ أَبُو كَامِلٍ فِي حَدِيثِهِ قَالَ: وَقَفْتُ أَنَا وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ فِي ظِلِّ أُجُمِ حَسَّانَ .)).

(..) وذهب بعض العلماء إلى أنه يقع في زمن عيسى بن مريم عليه السلام ؛ لأنه الزمن الذي يفيض المال بين أيدي المسلمين، قالوا: ومن ذلك ظهور هذا الكنز، ولم يرِد في النصوص –في الحقيقة– ما يدل على التحديد، لكن يبدوا –والله أعلم– أنه قريبٌ من نزول عيسى عليه السلام، وليس بعد نزول عيسى عليه السلام، لأن المؤمنين بعد نزول عيسى عليه السلام مع عيسى عليه السلام وهم في خير، ولا تحصل لهم هذه المقتلة، وإنما ذلك فيما يظهر لي –والله أعلم– قبل نزول عيسى عليه السلام.

وقوله في الحديث: ((لاَ يَزَالُ النَّاسُ أَعْنَاقُهُمْ مُخْتَلِفَةً))، وفي رواية: ((لاَ يَزَالُ النَّاسُ مُخْتَلِفَةً أَعْنَاقُهُمْ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا)) وهو قول أبي بن كعب. قال العلماء: الأعناق هنا المراد بهم: الأمراء، والكُبراء، والأثرياء، لا يزالون يستكثرون من الدنيا مع ما عندهم من الدنيا.

وقال بعض أهل العلم: لا، المراد بالأعناق: أعناق الناس عمومًا، فإنّ الإنسان يحب أن يستكثر من الدنيا.

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ وَسَلَّم: «إِذَا مَنَعَتِ الْعِرَاقُ دِرْهَمَهَا وَقَفِيزَهَا، وَمَنَعَتِ الشَّأْمُ مُدْيَهَا وَدِينَارَهَا، وَمَنَعَتْ مِصْرُ إِرْدَبَّهَا وَدِينَارَهَا، وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ، وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ، وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ». شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ لَحْمُ أَبِي هُرَيْرَةَ وَدَمُهُ)).

الله المستعان. هذا الحديث علامة من علامات قيام الساعة الصغرى. ساق النبي صلى الله عليه وسلم الخبر بصيغة الماضي، وهو إخبارٌ عمَّا يُستقبل لِتَحقُّق الوقوع. ولذلك ماذا قال أبو هريرة ﷺ في آخر الحديث؟

قال: "شهد على ذلك لحم أبي هريرة ودمه"، ونحن نشهد على ذلك، فإنّ النبي صلى الله عليه وسلم أخبر به، وما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون إلا حقًّا.

في هذا الحديث إخبارٌ عن المستقبل، فالنبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك، وهذه البلدان كلها بلاد كفر، لم تُفتح، العراق والشام ومصر، ومع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم يقول: إنها «مَنعت»؛ معنى ذلك أنها أَعطت، ثم مَنعت، وفي هذا إشارة إلى أنها ستُفتح، وقد فُتحت.

قوله: «مَنعت العراق» يعني: أهل العراق، وقيل في معنى هذه الجملة: أنه تكون عليهم الجزية لعدم إسلامهم؛ يعني أنه عند فتح العراق يبقى أقوام من أهل العراق لا يُسلمون، ويرتضون الجزية، فتُفرض عليهم الجزية، فإذا خالطهم المسلمون وعرفوا الإسلام أسلموا، فإذا أسلموا سقطت الجزية، وعلى هذا يكون في ذلك إخبارٌ بإسلام أهل العراق، وأهل الشام، وأهل مصر.

وقيل إنّ منعها ذلك بسبب استيلاء الكفار عليها في آخر الزمان، وفي ذلك نِذارة أنّ هذه الديار سيستولي عليها الكفار، ويأخذها الكفار من أيدي المسلمين، وبالتالي يُمنع الخير الذي كان يأتي منها للمسلمين.

وقد روى مسلم عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: "يوشِك أهل العراق ألّا يُجْبى إليهم قفيز ولا درهم، قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قِبل العجم يمنعون ذاك، ثم قال: يوشك أهل الشام ألا يُجبى إليهم دينار ولا مَدِي، قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قِبَل الروم»[1].

(١) أخرجه مسلم (٢٩١٣) في كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء.

والعجم: قيل إنهم هم الروم، وقيل: إنهم طائفة من الروم، وقيل: قوم غير الروم وغير فارس يتكلمون بغير العربية.

في هذا الحديث جابر رضي الله عنه يُخبر عن شيء، لكن هذا الإخبار له حكم الرفع، لأنه إخبار عن أمرٍ مستقبل، فقال: "يوشك أهل العراق ألا يُجْبى إليهم قفيز ولا درهم، قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قبل العجم يمنعون ذاك" أي: أنّ العجم يستولون على العراق فيمنعون ذلك.

وقال بعض أهل العلم: معناه أنّ الكفار الذين عليهم الجزية تقوى شوكتهم في آخر الزمان، فلا تدفع جزية للمسلمين، وها هو اليوم، لا تُدفع جزية للمسلمين، لأن شوكة الكفار قد قويت، وضعفت شوكة المسلمين.

والقفيز: مكيالٌ معروف لأهل العراق، قال العلماء هو: اثنا عشر صاعا.

وأما **المَدي**، أو المُدُّ على وزن قُفل أو المَدي على وزن فَعل: هو مكيالٌ معروف لأهل الشام، قال العلماء هو: اثنان وعشرون صاعا ونصف.

وأما **الإرْدَب**: فمكيالٌ معروف عند أهل مصر، لا يزال الفلاحون يعرفونه إلى اليوم، قال العلماء: يسع أربعة وعشرين صاعا.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «وعدتم من حيث بدأتم»؛

قال النووي رحمه الله: هو بمعنى الحديث الآخر: «بدأ الإسلام غريبا وسيعود كما بدأ»[1].

قال الحافظ ابن عبد البر -مبيِّنا معنى هذه العودة-: " صار أول هذه الأمة خير القرون؛ لأنهم آمنوا حين كفر الناس وصدقوا النبي صلى الله عليه وسلم حين كذبه الناس، وعزروه، ونصروه ، وآووه بأموالهم وأنفسهم، وقاتلوا الكفار حتى أدخلوهم في الإسلام، فقرنه إنما فضل لأنهم كانوا غرباء في إيمانهم لكثرة الكفار، ولصبرهم على أذى الكفار ، ولتمسكهم بدينهم مع قوة الكفار، وإنّ آخر هذه الأمة إذا أقاموا الدين وتمسكوا

(١) أخرجه مسلم (١٤٥) في كتاب: الإيمان، باب: بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

به وصبروا على طاعة ربهم في حين ظهور الشر، والفسق، والهرج، والمعاصي، والكبائر كانوا عند ذلك أيضا غرباء"[١].

إذن؛ ما معنى «وعدتم من حيث بدأتم»؟

أي: عدتم قلة وسط كثرة، فعاد المسلمون قلة وسط كثرة الكفار، وعدتم ضعفاء مع قوة عدوكم، وعاد المتمسك بدينه قليلا مع كثرة الكفار، وعاد المتمسك بالطاعة قليلا مع كثرة العصاة، فهذا معنى «وعدتم من حيث بدأتم».

قال بعض العلماء: "عدتم في قلة كما كنتم في قلة"؛ يعني عدتم من حيث بدأتم؛ عدتم في قلة وقد بدأتم في قلة.

وقال بعض العلماء: عاد الإسلام محصورا في المدينة كما بدأ في المدينة.، كان الإسلام عند هجرة النبي صلى الله عليه وسلم محصورا في المدينة، ومعنى «عدتم من حيث بدأتم» أي: عاد المسلمون في المدينة، وحُصروا فيها.

وقد جاء في الحديث عند مسلم: «بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبًا كما بدأ،وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية إلى جحرها»[٢] أي: يعودوا بين المسجدين. وفي الرواية الأخرى: «إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها»[٣].

فهذا الحديث فيه بِشارة وفيه نِذارة :

ففيه بشارة بفتح العراق، والشام، ومصر، وأنّ الخير سيخرج منها للمسلمين، وقد خرج الخير منها للمسلمين، فكانت الأرزاق تخرج من العراق، ومن الشام، ومن مصر، إلى جميع بلدان المسلمين.

---

(١) التمهيد لابن عبد البر: (٢٠/ ٢٥١-٢٥٢)

(٢) أخرجه مسلم (١٤٦) في كتاب: الإيمان، باب: بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا وأنه يأرز بين المسجدين. من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري (١٧٧٧) في كتاب: فضائل المدينة، باب: الإيمان يأرز إلى المدينة. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وفيه نذارة بأنّ هذا الخير سيُمنع، والأغلب أنّ هذا الخير يُمنع بسبب استيلاء الكفار على هذه الديار.

وبعض أهل العلم قال: هذا الحديث فيه بيانُ أنّ حقوق المسلمين ستُمنع من غير بيان السبب، بعض العلماء يقول: السبب لم يُعيَّن في الحديث، لكن المتعيِّن أنّ حقوق المسلمين ستُمنع في آخر الزمان، وحقوق المسلمين اليوم تُمنع كثيرا من قِبَل تسلط أعدائهم على خيرات المسلمين.

شرح كتاب

الفتن وأشراط الساعة

من صحيح مسلم

◈◈◈

الدرس العاشر والحادي عشر

باب في فتح القسطنطينية

وخروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام

((بَابٌ: فِي فَتْحِ قُسْطُنْطِينِيَّةَ وَخُرُوجِ الدَّجَّالِ وَنُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَعْ))

رَوَى الإِمَامَ مُسلِمْ رحمة الله عليه بإسناده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ قَالَ: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقَ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، فَإِذَا تَصَافُّوا قَالَتِ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ. فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لاَ وَاللهِ، لاَ نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا. فَيُقَاتِلُونَهُمْ، فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لاَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ؛ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللهِ، وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لاَ يُفْتَنُونَ أَبَدًا، فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطُنْطِينِيَّةَ. فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ؛ إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ. فَيَخْرُجُونَ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ. فَإِذَا جَاءُوا الشَّأْمَ خَرَجَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَأَمَّهُمْ، فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لاَنْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ؛ وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللهُ بِيَدِهِ فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ)).

هذا الباب وما بعده من الأبواب إلى علامات الساعة الكبرى؛ أراد الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ بالأحاديث التي أوردَها أن يُبيِّن أنّ من علامات قرب الساعة: كثرة الروم، وأنّ الروم يكثرون في آخر الزمان، ومع كثرتهم يحصل بينهم وبين المسلمين ملحمة كبرى ينتصر فيها المسلمون، وتُفتح قسطنطينية، فإذا حصل ذلك كان ذلك علامةً على خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام.

ففي هذا الحديث -الذي معنا- يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقَ».

والأعماق: هي بلدٌ قريبٌ من حلبالشام، وهو مَصبُّ مياهٍ كثيرةٍ لا تجف إلا في الصيف، كثير المياه.

وأمّا دابِق، ويقال دابَق -والأوّل أفصح-: فموضعٌ قُرب حلب أيضًا، وهو في الأصل اسم لنهر؛ الأعماق ودابق موضعان قريبان من حلب.

قوله–صلى الله عليه وسلم–: ((قَالَتِ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا))، وفي رواية: «سُبُوا منا»، «خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا»، و«سُبُوا»؛ بمعنى: فعلوا السَّبْي، فسَبَوْا من الروم. وسُبوا: أي سُبُوا من الروم.

فهل بينهما اختلاف؟

الصحيح أنه لا اختلاف بينهم؛ لأنهم سُبوا من الروم، فكانوا من الروم، فكانوا سَبْيًا، فأسلموا فأصبحوا من خيرة المسلمين، فقاتلوا فسَبَوْا من الروم؛ فهؤلاء كأنهم يقولون للمسلمين: خلوا بيننا وبين بني جنسنا نقاتلهم، اخْرُجوا أنتم، فأبى المسلمون.

قوله –صلى الله عليه وسلم–: ((فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لاَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا))؛ أي لا يُلهمهم التوبة، وإلا مَن تاب من ذنبٍ تاب الله عليه ولو كان كفرًا، لكنّ الله لا يوفِّقهم للتوبة؛ لأن الانهزام والفرار من الزحف كبيرةٌ من كبائر الذنوب.

فإذا التقى الصفَّان تَعيَّن الجهاد وأصبح فرض عين، وحَرُمَ على المسلم أن يفرَّ إلا من أجل أن يتحيز لفئة، أو من أجل مكيدة بالعدو، أمَّا أن يَفرَّ مع التقاء الصَّفَّيْن فإنه لا يجوز.

قال العلماء: **"إلا إذا قلَّ عدد المسلمين، وغلب على الظن أنَّهم إن قاتلوا اُستئصلوا، ففرَّ البقية إبقاءً على المسلمين"**، قالوا : **هذا ليس بحرام.**

إذًا الفرار من الزحف عند التقاء الصفين كبيرة من كبائر الذنوب؛ إلا في أحوالٍ ثلاث:

- أن يتحيَّز الإنسان إلى فئة أخرى من الجيش.
- **الحالة الثانية**: أن يُظهر الفرارمكيدةً للكفار.
- **الحالة الثالثة**: أن يُخشى على المسلمين الاستئصال، فيفرَّ البقية من أجل الإبقاء على المسلمين، فهذا لا حرج فيه.

والثالث –في الحقيقة– هو من كونهم يتحيزون إلى فئة، لأنَّهم يتحيزون إلى جماعة المسلمين. أما أن يفر المسلم من العدو خوفًا على نفسه من القتل، من غير هذه الأمور الثلاثة؛ فإنّ ذلك من كبائر الذنوب.

قوله: ((فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطُنْطِينِيَّةَ))، ويَضبطها بعض أهل العلم بقولهم: "قُسْطُنطِينة" بدون ياء أخيرة، يعني: "قُسْطُنطِينيَّة" و"قُسْطُنطِينة" بدون ياء قبل الهاء، وهي مدينة من أعظم مدائن الروم، كان اسمها "بيزنطة" أو "بيزنطية"، فنزلها قُسْطُنْطِين الأكبر؛ من ملوك الروم، وبنى عليها سورًا عظيمًا، وجعلها دار مُلْك الروم؛ يعني جعلها عاصمة الروم.

وقد حاول المسلمون فتح قسطنطينية في زمن معاوية رضي الله عنه؛ حيث قاد معاوية رضي الله عنه جيشًا حتى بلغ المضيق دونها، ولم يصل إليها، لكن ابنه يزيد بن معاوية غزاها بجيشٍ ومعه سادات من كبار الصحابة؛ منهم أبو أيوب رضي الله عنه، ومنهم ابن عمر رضي الله عنهما، ومنهم ابن عباس رضي الله عنهما، ومنهم ابن الزبير رضي الله عنهما، فكان هذا الجيش أول جيشٍ يغزو هذه المدينة.

وقد ثبت في صحيح البخاري أنّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «أَوّل جيشٍ يَغزون مدينة قيصر؛ مغفورٌ لهم»، وهذه هي مدينة قيصر.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنّ جيش يزيد هو أوّل جيش، وكذلك ذكر ذلك ابن كثير رحمه الله.

ولذلك أهل السنة والجماعة يكفّون عن يزيد بن معاوية، يقولون فيهم كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: **"لانحبهم ولانَسبُّهم"**.

انتبهوا لهذه العبارة! لأن بعض الناس يفهمها خطأً! **"لانحبهم ولانَسبُّهم"**؛ أي فيما نُقِل عنهم من أحداث، فما نُقِل عنهم من أحداث، كما نُقل في موقعة الحَرَّة مثلا؛ لا نُحبهم ولا نَسبهم.

وإن كان يزيد فيه من الحسنات ما يُحَب له، وفيه من الأحداث ما وقع مما يُبْغَض من أجله؛ لكن قال العلماء في مثل هذا: يُبغَضُ فعلُه ولا يُسَبُّ به؛ لا سيما أنه كان على رأس الجيش الذي غزى هذه المدينة، وقد ثبت في صحيح البخاري أنه مغفورٌ لهم.

ثم تتابعت محاولات المسلمين لفتحها، لكن ذلك لم يقع إلى زمن السلطان "محمد الثاني بن مراد الثاني" من العثمانيين، وهو مشهور بـ "السلطان محمد خان"، حيث قاد جيشًا لفتحها، وذلك في عام سبعٍ وخمسين وثمانٍ مائة من الهجرة، ففتحها الله على يديه؛ دكّها بالقنابل، ونقل السفن على ألواحِ خشبية،

على مسافة ثلاثة أميال في البر، دهَن الخشب بزيت كثيف، ثم أجرى السفن على هذه الخشب، حتى نقلها من ماء إلى ماء، وبهذه الحيلة تمكَّن من دكِّ الحصون من جهتين: من جهة الماء ومن جهة البر، وقسطنطينية -كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عنها- لها جانبٌ في البر وجانبٌ في البحر، وكان سرُّ قوتها أنّ المسلمين إنما يأتون من جهة البر، فيتقوّى الروم من جهة البر، لكن لمّا فعل السلطان محمد خان هذه الحيلة جاءهم أيضًا من جهة البحر، فدكّهم من جهة البحر، فارتبك الروم، وفتح الله على يديه هذه المدينة، واتخذها العثمانيون عاصمةً للخلافة الإسلامية، وسُميّت بـ "استانبول"، واليوم قسطنطينية هي جزء من اسطنبول، توسّعت.

لكن يظهر -والله أعلم- أنها ستقع في يد الروم مرة أخرى، ويأخذها الروم من أيدي المسلمين؛ لأنّ الأحاديث دلّت على أنَّ فتحها يكون في آخر الزمان قبل نزول عيسى عليه السلام بقليل، فدلَّ ذلك على أنها ستعود إلى أيدي الروم، ثم يفتحها المسلمون.

ومن ذلك -مثلًا- قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**عِمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة**- أي القتال مع الروم -، **وخروج الملحمة فتح قُسطنطينية، وفتح قُسْطنطينية خروج الدجال**»؛ يعني كل واحدة علامة للأخرى؛ فعمران بيت المقدس علامةٌ على خراب يثرب - أي المدينة - ، وخراب يثرب علامة على وقوع الملحمة الكبرى مع الروم، ووقوع الملحمة الكبرى مع الروم علامة على فتح قُسطنطينية، وفتح قُسطنطينية علامة على خروج الدجال. إذًا ذلك يكون في آخر الزمان؛ لأن يثرب –المدينة- لم تُخرَّب ولم تُخْرَب حتى الآن، فلا زال هذا باقيًا.

هذا الحديث رواه أبو داود وسكت عنه، وحسنه الألباني، رحم الله الجميع.

وعن جابر بن سمرة عن نافع بن عتبة، قال: **"كنتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فأتاه قوم من قِبل المغرب عليهم ثياب الصوف فوافقوه عند أكمة، وهم قيام وهو قاعد، فأتيته فقمت بينهم وبينه فحفظت منه أربع كلمات، أعدهن في يدي"**، قال: **((تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله، ثم تغزون فارس**

فيفتحها الله، ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله)). قال نافع: **"يا جابر، لا نرى أن الدجال يخرج حتى تُفتح الروم"**. رواه مسلم.

فظاهر هذا الحديث الذي معنا يدل على أنّ الروم يكثرون في آخر الزمان -كما سيأتينا إن شاء الله في الحديث-، فتكون بينهم وبين المسلمين هدنةٌ وصلح، ويقاتل المسلمون والروم عدُوًّا، فينتصرون عليه، ثم تغدر الروم، وتجمع للمسلمين الجُموع، وتأتي زاحفة على المسلمين بجيشٍ عظيم تحت اثنتي عشرة راية، تحت كل راية ثمانون ألفًا؛ أي أنّ عددهم يبلغ تسعمائة وستين ألف، قريب من المليون، يأتون زاحفين إلى ديار الإسلام، حتى ينزلوا بالأعماق بقرب حلب، فيجمع لهم أهلُالإسلام، ويخرج الجيش من المدينة؛ لأن الإيمان يأرِزُ إليها، فيخرج الجيش من المدينة وهم من خيار أهل الأرض يوم ذاك، حتى إذا تصافَّ الجيشان طلب الروم من المسلمين أن يُخْلُوا بينهم وبين الذين سُبُوا منهم، أي أن يُخْلُوا بينهم وبين الروم المسلمين ليقاتلوهم، فيقول المسلمون: لا نُخلّي بينكم وبين إخواننا، فيقع قتالٌ شديد، فيفرُّ ثلثٌ من جيشٌ المسلمين، ولا يوفقهم الله للتوبة من هذا.

وتشترط جماعةٌ من الفئة الباقية ألا ترجع إلا غالبة، إمَّا أن تُقْتَل أو تَغْلِب، فتحصُل مقتلةٌ شديدة حتى يحجزَ الليل بين الطرفين، وتكون الفئة التي اشترطت قد قُتِلَت.

فتقوم جماعةٌ أخرى في اليوم الثاني، فتشترط ألا ترجع إلا غالبة أو تُقْتَل، فتحصل مقتلةٌ عظيمة حتى يَحجز الليل بين الطرفين، وتكون الطائفة التي اشترطت قد أُبيدت-قُتِلَت -.

وفي اليوم الثالث؛ تشترط جماعة من الفئة الباقية ألا ترجع إلا غالبة، فيقتتل المسلمون مع الروم مقتلةً شديدة، حتى يحجز الليل بينهم، وتكون الجماعة التي قد اشترطت قد قُتلت، وهم من خير الشُهداء.

وفي اليوم الرابع؛ يَنهض البقية من أهل الإسلام إلى عدوهم، فتحصل مقتلةٌ شديدة ويُقتل عددٌ كبير من المسلمين؛ إلا أنّ الله يكتب النصر للمسلمين، وينكسر الروم، فإذا انكسر الروم ولَّوا أدبارهم إلى قُسطنطينية، فتقوم البقية من جيش المسلمين، وهم في سبعين ألف -قيل إنهم من العرب، وقيل إنهم من مُسلمِي الروم-، فيتْبعون الروم إلى قسطنطينية، حتى إذا وصلوا هناك لم يقاتلوا بسلاح، ولم يرموا بسهم؛

وإنَّما قالوا: "لا إله إلا الله والله أكبر"؛ فيسقط الجانب الذي من جهة البحر بلا قتال، ثم يقولوا مرة ثانية: "لا إله إلا الله والله أكبر"؛ فيسقط الجانب الثاني الذي إلى جهة البر، ثم يقولون الثالثة: "لا إله إلا الله والله أكبر"؛ فيُفرَج لهم فيدخلون، وهذا هو الفتح الذي ورد في هذا الحديث.

ويغنم المسلمون مغانم كثيرة جدًا، فبينما هم يقتسمون المغانم، قد علَّقوا أسلحتهم في أشجار الزيتون؛ إذا بالشيطان يتمثّل لهم على هيئة رجل يصرخ فيهم: "إنّ الدجالَ قد خرج في أهليكم"، فيرجعون عن الغنائم -وماذا يريدون بالغنائم وقد خرج الدجال؟!- ويتركون الغنائم، وذلك باطل، كذب -أعني قول الشيطان يكذب عليهم-، ما خرج الدجال، فيرجعون ويبعثون عشرة فوارس طليعةً لهم.

قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «إني لأعرف أسماءهم، وأسماء آبائهم، وألوان خيولهم، هم خير فوارسٍ على ظهر الأرض يومئذٍ» أو «من خير فوارسٍ على ظهر الأرض يومئذٍ».

حتى إذا جاء المسلمون الشام خرج الدجال بعد وصولهم، فيُعِدُّون لقتاله، يستعدون لقتاله لأنهم يعلمون أنه يطوف الأرض، إلا أنه لا يدخل مكة والمدينة، فتحضُر الصلاة، وتقام، فبينما هم يَصفّون الصفوف ينزل عيسى عليه السلام -وسنتكلم عن نزوله قريبًا إن شاء الله-، فإذا نزل عرفوه، فقال أميرهم: "يا روح الله! تقدم فصلِّ"، يقدِّمه ليكون إمام. جاء في الحديث الذي معنا: «فأمَّهُم»؛ معناه: قصَدهم، وليس المراد أنه صلى بهم إمامًا، «فأمَّهم»: أي قصَد جَمْعهم الذي اجتمع للصلاة. فلما وصلهم قال له أميرهم: "تقدّم يا روح الله فصلِّ بنا"، فيقول: "تقدم أنت، فإنما أُقيمت لك"، وإذا نزل عيسى عليه السلام فإمام المسلمين يكون من أمة محمد -صلى الله عليه وسلم-؛ تكرُمةً لأمة محمد -صلى الله عليه وسلم-.

ويلتف المؤمنون حول عيسى عليه السلام، ويكون الدجال عند نزول عيسى عليه السلام متوجِّهًا نحو بيت المقدس، فيلحق به عيسى عليه السلام عند باب لُدٍّ، وباب لُدّ قريب من بيت المقدس، فإذا رآه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء، فيقول له عيسى عليه السلام: "إنّ لي فيكَ ضربةً لن تفوتني"، فيتداركه عيسيفيقتله بحربته، ويُرَى أثر الدم في حربة عيسى عليه السلام، ويَنهزم أتباعه.

بعد هذا سيأتينا -إن شاء الله- أنه سيحصل للمسلمين مَكْرَمَة أخرى، وأنهم ينتصرون على عدوهم الآخر؛ وهم اليهود، فهم أولًا قبل نزول عيسى عليه السلام انتصروا على عدوهم الأوّل وهم الروم، فإذا انهزم أتباع الدجال؛ وأكثرهم من اليهود -كما سيأتينا إن شاء الله-، دجاجلة يتبعون دجَّالًا، إذا انهزموا تبعهم المسلمون؛ فيَقتل المسلمون اليهود، حتى يقول الحجر والشجر: يا مسلم! هذا يهوديٌّ خلفي تعالَ فاقْتله، إلا شجر الغَرْقَد؛ فإنه من شجر اليهود لا يُخبِر عنهم، ولذلك تقول الأخبار إنهم يحاولون أن يُكثروا من زراعته في فلسطين، ولن ينفعهم إن شاء الله؛ فسيقتلهم المسلمون، وينتصر المسلمون على عدوِّهم.

كل هذا الذي ذكرتُه ثبت في الصحيحين أو في أحدهما؛ كل ما ذكرناه ثبت في الأحاديث، إمَّا أنها في الصحيحين أو في البخاري أو في مسلم، ولم نذكر شيئًا خرَج عن هذا، إلا ما ذكرناه من حديث أبي داود ونصصنا عليه، فهي أخبارٌ صحيحة، وقد جمعناها بما يدل على انتظامها.

ونقرأ ما أورده الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ مما يدل على ما ذكرناه.

((بَابٌ: تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ))

قَالَ الْمُسْتَوْرِدُ الْقُرَشِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عِنْدَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ يَقُولُ: ((تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ)). فَقَالَ لَهُ عَمْرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "أَبْصِرْ مَا تَقُولُ"، قَالَ:" أَقُولُ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ"، قَالَ: "لَئِنْ قُلْتَ ذَلِكَ إِنَّ فِيهِمْ لَخِصَالاً أَرْبَعًا: إِنَّهُمْ لأَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ، وَأَسْرَعُهُمْ إِفَاقَةً بَعْدَ مُصِيبَةٍ، وَأَوْشَكُهُمْ كَرَّةً بَعْدَ فَرَّةٍ، وَخَيْرُهُمْ لِمِسْكِينٍ وَيَتِيمٍ وَضَعِيفٍ، وَخَامِسَةٌ حَسَنَةٌ جَمِيلَةٌ: وَأَمْنَعُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الْمُلُوكِ".

وَعَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ يَقُولُ: ((تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ)). قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ عَمْرو بْنَ الْعَاصِ فَقَالَ: "مَا هَذِهِ الأَحَادِيثُ الَّتِي تُذْكَرُ عَنْكَ أَنَّكَ تَقُولُهَا عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ؟". فَقَالَ لَهُ الْمُسْتَوْرِدُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قُلْتُ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْقَالَ. فَقَالَ عَمْرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "لَئِنْ قُلْتَ ذَلِكَ إِنَّهُمْ لأَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ، وَأَجْبَرُ النَّاسِ عِنْدَ مُصِيبَةٍ، وَخَيْرُ النَّاسِ لِمَسَاكِينِهِمْ وَضُعَفَائِهِمْ".

في هذا الحديث –أيها الإخوة– يقول المستورِد القرشي رضي الله عنه وأرضاه: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وعلى وسلميقول: ((تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ))؛ ففي ذلك بيان أنّ من علامات ظهور أمَارات الساعة الكبرى: كثرة الروم، وقد تقدّم معنا ربْط ذلك بالملحمة، وأنّ الروم يكثرون، ثم يصطلح معهم المسلمون، ثم يَغدر الروم.

فبلغ ذلك عمرو بن العاص رضي الله عنه فقال: **"مَا هَذِهِ الأَحَادِيثُ الَّتِي تُذْكَرُ عَنْكَ أَنَّكَ تَقُولُهَا؟"** وفي رواية قال: **"أَبْصِر ما تقول!"**، قال: **"قُلْتُ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ"**. هنا عمرو

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لمّا سمِع الخبر من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- علِمَ أنه حق؛ فبيَّن السبب في كثرتهم، ما الذي يجعلهم يَكثرون؟ فذكر فيهم خصالًا خمسة تقتضي بقاء قوتهم، وبقاء صحتهم، وبقاء نسلِهم.

ما هذه الخصال الخمس؟

- **أنَّهم أسرع الناس إفاقةً بعد مصيبة**؛ فإذا نزلت بهم مصيبة يُسرعون إلى الإفاقة.
- **وأنَّهم أبطأ الناس عند الفتنة**؛ الفتن تُهلِك الناس، والبُطء عند الفتنة سلامة، والروم كانوا على هذا، إذا حلَّت فتنة لا يُسارعون إليها؛ فهم أبطأ الناس عند نزول فتنة.
- **وأوشكهم كرَّةً بعد فرَّة**؛ يعني إذا حصل أن انكسرَ جيْشهم يُسارعون إلى العودة إلى القتال.
- **وأنَّهم من أحسن الناس إحسانًا للضعفاء**؛ من الأيتام وأبناء السبيل والأرامل وغير ذلك، فهم أحسن الناس إحسانًا لضعفائهم، والإحسان إلى الضعفاء بركةٌ على أهله.
- **والخامسة: تحرِّي ملوكهم للعدل**؛ والعدل سببٌ للأمن، والحاكم العادل يُمكَّن له ولو كان كافرًا.

فهذه الخصال الخمسة موجودة فيهم أكثر من غيْرِهم، ولذلك يقِلُّ الناس ويكثرون، الناس تُهلِكهم المصائب والفتن، وظلم بعضهم لبعض، وظلم حُكامهم لهم، وهؤلاء يقلّ ذلك فيهم، فيقلُّ الناس ويَكثر الروم، وكثرتهم -كما قلنا- علامةٌ على قُرب قيام الساعة.

لعلنا نكتفي بهذا في هذا اليوم، وغدًا إن شاء الله عز وجل نُكمل ما أورده الإمام مسلم مما يُبيِّن ما سردْناهُ من وقائع الملحمة التي تقع بين المسلمين والروم بين يدي الساعة.

شرح كتاب

الفتن وأشراط الساعة

من صحيح مسلم

◈◈◈

الدرس الثاني عشر

باب إقبال الروم في كثرة القتل

عند خروج الدجال

بَابٌ: إِقْبَالِ الرُّومِ فِي كَثْرَةِ الْقَتْلِ عِنْدَ خُرُوجِ الدَّجَّالِ

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْعَدَوِيِّ عَنْ يُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ، قَالَ: هَاجَتْ رِيحٌ حَمْرَاءُ بِالْكُوفَةِ، فَجَاءَ رَجُلٌ لَيْسَ لَهُ هِجِّيرَى إِلاَّ: يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ، جَاءَتِ السَّاعَةُ! قَالَ: فَقَعَدَ -وَكَانَ مُتَّكِئًا-، فَقَالَ: إِنَّ السَّاعَةَ لاَ تَقُومُ حَتَّى لاَ يُقْسَمَ مِيرَاثٌ وَلاَ يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ. ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ هَكَذَا-وَنَحَّاهَا نَحْوَ الشَّامِ-، فَقَالَ: عَدُوٌّ يَجْمَعُونَ لأَهْلِ الإِسْلاَمِ وَيَجْمَعُ لَهُمْ أَهْلُ الإِسْلاَمِ، قُلْتُ: الرُّومَ تَعْنِي؟ قَالَ: نَعَمْ، وَتَكُونُ عِنْدَ ذَاكُمُ الْقِتَالِ رَدَّةٌ شَدِيدَةٌ، فَيَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لاَ تَرْجِعُ إِلاَّ غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ، كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لاَ تَرْجِعُ إِلاَّ غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ، كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لاَ تَرْجِعُ إِلاَّ غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يُمْسُوا، فَيَفِيءُ هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ، كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الرَّابِعِ؛ نَهَدَ إِلَيْهِمْ بَقِيَّةُ أَهْلِ الإِسْلاَمِ، فَيَجْعَلُ اللهُ الدَّبْرَةَ عَلَيْهِمْ، فَيَقْتُلُونَ مَقْتَلَةً -إِمَّا قَالَ: لاَ يُرَى مِثْلُهَا، وَإِمَّا قَالَ: لَمْ يُرَ مِثْلُهَا- حَتَّى إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِجَنَبَاتِهِمْ فَمَا يُخَلِّفُهُمْ حَتَّى يَخِرَّ مَيْتًا، فَيَتَعَادُّ بَنُو الأَبِ كَانُوا مِائَةً فَلاَ يَجِدُونَهُ بَقِيَ مِنْهُمْ إِلاَّ الرَّجُلُ الْوَاحِدُ، فَبِأَيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ أَوْ أَيُّ مِيرَاثٍ يُقَاسَمُ؟ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعُوا بِبَأْسٍ هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ فَجَاءَهُمُ الصَّرِيخُ؛ إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَلَفَهُمْ فِي ذَرَارِيهِمْ؛ فَيَرْفِضُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَيُقْبِلُونَ، فَيَبْعَثُونَ عَشَرَةَ فَوَارِسَ طَلِيعَةً. قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنِّي لأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ، هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ»، أَوْ «مِنْ خَيْرِ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ».

وَعَنْهُ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ مَسْعُودٍ فَهَبَّتْ رِيحٌ حَمْرَاءُ. وَسَاقَ الْحَدِيثَ.

وَعَنْهُ قَالَ: كُنْتُ فِي بَيْتِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَالْبَيْتُ مَلآنٌ، قَالَ: فَهَاجَتْ رِيحٌ حَمْرَاءُ بِالْكُوفَةِ. فَذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ ابْنِ عُلَيَّةَ.

هذا الحديث أيها الإخوة، تقدّم معنا مضمونه، وبيّنّا أنه في الملحمة التي تقع بين المسلمين والروم.

قال يسير بن جابر: ((هَاجَتْ رِيحٌ حَمْرَاءُ))، والريح الحمراء من علامات قيام الساعة، وقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنهعن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «لا تقوم الساعة حتى تُبعَث ريحٌ حمراء مِن قِبَل اليمن؛ فَيَكْفِتُ الله بها كلَّ نفسٍ تؤمن بالله واليوم الآخر» رواه ابن حبان وصححه الألباني. أبو هريرةرضي الله عنه يحكي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى تُبعَث ريحٌ حمراء»، من أين؟ «من قِبَل اليمن»، هذه الريح تأخذ روح كلَّ مؤمن فلا يبقى بعدها إلا كافر -وستتكلم عنها إن شاء الله قريبًا-، لكن الشاهد من الرواية هنا هو وصْفها بأنها: ريحٌ حمراء، والقوم كانوا يعلمون أنّ الريح الحمراء من علامات قيام الساعة، فلمّا رآها رجل جاء إلى ابن مسعودرضي الله عنه، وليس له هِجِّيرى؛ أي ليس له ديدن ودأَب وشيئًا يعود إليه إلا أن يقول: يا ابن مسعود جاءت الساعة، يا ابن مسعود جاءت الساعة! يعني يكرِّر، هذا معنى "وليس له إلا هِجِّيرى"؛ يعني أنه يكرر هذا الأمر؛ من خوفه، لمَّا رأى العلامة.

قال: ((فَقَعَدَ)) مَن الذي قعد؟ ابن مسعود، ليس الرجل، وإنما ابن مسعود، كان متكئًا فلمّا سمع هذا الكلام العظيم من هذا الرجل وهو يردده ويعاوده: جاءت الساعة، جاءت الساعة، جاءت الساعة، قعد رضي الله عنه، وكان متكئًا، فقال: إنّ الأمر ليس كما تظن، ولذلك قال له: ((إِنَّ السَّاعَةَ لاَ تَقُومُ حَتَّى لاَ يُقْسَمَ مِيرَاثٌ وَلاَ يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ))؛ إذن هذه ليست هي الريح، لأنّ هذا الأمر لم يقع؛ أنه لا يُقسم الميراث ولا يُفرح بالغنيمة.

((ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ هَكَذَا -وَنَحَّاهَا نَحْوَ الشَّامِ-)) أي أشار إلى جهة الشام، أي أنّ هذا الأمر يقع في جهة الشام، وهو -كما قلنا بالأمس- يقع قريبًا من حلب عند الملحمة الكبرى.

فقال: ((عَدُوٌّ يَجْمَعُونَ لأَهْلِ الإِسْلاَمِ وَيَجْمَعُ لَهُمْ أَهْلُ الإِسْلاَمِ)) وذلك أنّ الروم -كما تقدّم معنا- يصالحون المسلمين فيقاتلون عدُوًّا -أعني المسلمين والروم يقاتِلون عدُوًّا- فينتصرون عليه، فيقول روميٌّ: انتصَر الصليب، ويقول مسلم: نصَرَنا الله، ثم يغدر الروم بالمسلمين ويَنقضون الصُّلح، وهذه من عاداتهم؛ لكنّ هذا لا يَمنع الصلح إذا قام سببه الشرعيُّ وأفتى ولاة الأمر من العلماء بجوازه، واختاره أولياء الأمر من الحكام؛ فإنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- أخبر عن الصُّلح مع الروم وأنهم ينقضون، ولم ينه عن هذا الصلح.

فيجمعون لأهل الإسلام وينطلقون بجيشٍ عظيم تحت اثني عشرة راية، اثنتا عشرة راية يرفعها هؤلاء القوم، تحت كل راية ثمانون ألفا، فيسمع أهل الإسلام بهم فيجمعون لهم، ويخرج لهم جيش من المدينة، والإيمان إذ ذاك يأرِز إلى المدينة، وهم من خيار أهل الأرض، فتقع الملحمة.

قال: ((قُلْتُ الرُّومَ تَعْنِي؟ قَالَ: نَعَمْ، وَتَكُونُ عِنْدَ ذَاكُمُ الْقِتَالِ رَدَّةٌ شَدِيدَةٌ)) ما معنى قوله تكون ردَّة شديدة؟ أي عَطْفَةٌ شديدة بين القوم في القتال، فيقع القتال والقتل في الجانبين، فرَدَّة: يعني عَطْفة، فيَعطف هؤلاء القوم على المسلمين فيُقَتَّل من المسلمين، ويَعطف المسلمون عليهم -أي يكرّ المسلمون عليهم- ويُقتِّلون من الروم.

((فَيَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ)) ما هي الشُّرطة؟ قالوا: الشرطة؛ هي الكتيبة التي تشهد المعركة، سُمُّوا "شُرطة" لأنهم يتقدّمون على الجيش، يعني أول كتيبة من الجيش؛ فهم يُعِدُّون أنفسهم للموت، والشرطة هي إعداد الإنسان نفسه للموت، ومنه سُمِّيت الشرطة اليوم شرطة؛ أنّ رَجل الشرطة يُعِدُّ نفسه للموت في حماية الآمنين؛ لأنه يتعرّض للمجرمين. وقيل: إنّ الشرطة هي العلامة، ومنه سميت الشّرطة "شُرطة"؛ لأنهم يضعون علامةً تميّزهم عن غيرهم.

فالشرطة: هم الكتيبة التي تشهد المعركة، و قيل: هم أول طائفة يشهدون المعركة.

والمقصود أيها الإخوة؛ أنهم قومٌ يُعدُّون أنفسهم للموت في سبيل الله، فيشترطون على أنفسهم شرطًا؛ هو الموت -شهادةً- أو الغَلَبة، فيقاتلون كما قالوا صادقين، فتُقتل هذه الكتيبة جميعا، قال رضي الله عنه: ((فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ)) أي يرجع هؤلاء وهؤلاء ((كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ))، لكنّ الشّرطة قد فَنَتْ، قُتِلت، فتَشترط شُرطة جديدة من المسلمين، على نفس الشَّرط السابق: الغلبة أو الموت، ((فَيَتَقْاتَلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ)) أي يرجع، كلٌّ إلى معسكره، كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، لكن الشرطة تَفنى وتُقتل في سبيل الله، فتقوم شرطة ثالثة يشترطون هذا الشرط ويقتتل القوم في اليوم الثالث قتالًا عظيمًا حتى يحجُز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء، كلٌّ غير غالب، لكنّ الشرطة تفنى، وهؤلاء شهداء، وهم من خير الشهداء، كما تقدم معنا في الحديث بالأمس.

في اليوم الرابع: ينهض بقية أهل الإسلام، والظاهر -والله أعلم- أنّ الجميع يَعزِمون على ما كانت تعزم عليه الشرطة؛ وهي الموت أو الغلبة، بقلب رجلٍ واحد، فينصرهم الله، وينكسر الروم.

قالرضي الله عنه: ((فَيَجْعَلُ اللهُ الدَّبَرَةَ عَلَيْهِمْ))؛ الدَّبَرة في اللغة: يعني الهزيمة، فيجعل الله الهزيمة على الروم؛ فيُدبِرون. وجاء في رواية: "فيجعل الله الدائرة عليهم"، أي تدور عليهم المعركة، وينتصر المسلمون.

قال: ((فَيَقْتُلُونَ مَقْتَلَةً لاَ يُرَى مِثْلُهَا، أو لَمْ يُرَ مِثْلُهَا)) يعني مقتلة شديدة لم تسبق، ويكثر القتل، وتكثر جِيَف الكفار، حتى أنّ الطائر يطير في السماء فإذا مرّ بهم سقط ميّتًا من شدة نتنهم ومن كثرة القتل فيهم، فهذا معنى قولهرضي الله عنه: ((حَتَّى إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِجَنَبَاتِهِمْ فَمَا يُخَلِّفُهُمْ حَتَّى يَخِرَّ مَيْتًا)).

((فَيَتَعَادُّ بَنُو الأَبِ))؛ أي مِن الروم، ((كَانُوا مِائَةً))، قال بعض أهل العلم:

- لا يلزم أن يكون الأبُ الأبَ المباشر؛ فقد يكون الجَد، وقد يكون جد الجد، لأنّ الجد أب، فقد يكون المراد: فيتعادّ أبناء القبيلة، كانوا مائة فلا يبقى منهم إلا واحد.
- وقد يكون المراد: الأب المباشر، لأنّ الروم يكثرون إذ ذاك، فقد يكون للرجل الواحد مئة من الولد، فيتعاد المئة، فلا يبقى منهم إلا رجل واحد.

فإذ ذاك يغنمون غنيمة عظيمةً، متى يا إخوة؟ عندما يذهبون إلى القسطنطينية، لأنهم بعد هذه المعركة يتْبعون الروم إلى قسطنطينية ويحصل الفتح، ويغنمون مغانم كثيرة.

قال: ((فَبِأَيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ أَوْ أَيُّ مِيرَاثٍ يُقَاسَمُ؟)) هنا تلحظون أنه لم يُذكَر السبب في هذا، السبب -كما قلنا بالأمس-: أنهم إذا وصلوا القسطنطينية وغنموا وبدؤوا يتقاسمون الغنائم وهي غنائم عظيمة جدا، يصرخ فيهم الشيطان: أنّ الدجال قد خرج من ورائكم، فيعلمون أنّ الساعة اقتربت؛ فماذا يريدون من الدنيا إذ ذاك؟! ماذا يريدون من الدنيا وقد ظهرت العلامات الكبرى؟! فإذ ذاك لا يُقاسَم ميراث، لا أحد يريد المال، ولا يُفرَح بغنيمة.

وهذا -يا إخوة- وإن كان في آخر الزمان إلا أنه يدلُّنا على حقارة الدنيا وأنه لا ينبغي للمسلم أن يعلّق نفسه بها، لأنّ ساعة كل واحدٍ منا قريبة، وأعمار أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- ما بين السّتين إلى السبعين،

وقلَّ منهم مَن يجوز ذلك، ونحن قد اقتربنا، والله أعلم متى يكن الأجل، قد لا يقوم الواحد منا من مقامه، قد لا يكمل كلمته، قد لا يتم ليلته! كم من رجلٍ نام يظن أنه يستيقظ فما استيقظ من منامه! وكم مِن طفلٍ رُجيت حياته فمات قبل تمامه!

ولذلك؛ جاء عن ميمون بن مهران رحمه الله أنه نظر إلى جلسائه يومًا فقال: "يا معشر الشيوخ، ما يُنتَظَر مِن الزرع إذ ابيَضَّ؟ قالوا: الحصاد، ثم نظر إلى الشباب فقال: يا معشر الشباب، إنّ الزرع قد تُدْركه آفةٌ قبل أن يُستحصَد".

مْ مِنْ صِغَارٍ يُرْتَجَى طُـولُ عمْرهـم ... دْ أُدخِلتْ أَجْسَادُهُمْ ظُلْمَـةَ القَبرِ

مْ مِنْ صَحِيحٍ مَاتَ مِنْ غَيْرِ عِـلَّةٍ ... مْ مِنْ سَقِيمٍ عَاشَ حِينًا مِنَ الدَّهْرِ

فنحن –والله، يا إخوة– ساعتنا قريبة، وقد تكون أقرب مما نظن، فلا ينبغي علينا أن نعلّق قلوبنا بالدنيا، وإنما نجعل تعلّقنا بالآخرة، نعم لا نهجر الدنيا ولم نؤمَر بهجران الدنيا؛ لكنّا لا نتعلق بها حتى تفتننا عن ديننا، بل نجعل الآخرة مقدَّمةً على كل حال، ونسعى جاهدين إلى أن نفوز بفضل الله بكثرة الطاعات، فإنه لن يدخل أحدٌ منا الجنة بعمله، حتى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إلا بفضل الله –سبحانه وتعالى–، والأعمال الصالحة سببُ نيلِ فضل الله –سبحانه وتعالى–، وما من ميتٍ يموت إلا ويندم؛ ولابد، إن كان محسنًا ندم ألا يكون قد ازداد، وإن كان مُسيئًا ندم ألا يكون قد استعتَب.

فالذي ينبغي علينا أن نتنبَّه إلى أنفسنا وأن نرجع إلى ربِّنا، الشيطان يحفر لنا، وأعداؤنا من الجن والإنس يحفرون لنا، يَنصبون لنا الحبائل، يريدون أن نكون من أهل النار، فعلينا أن نتنبه لهذا الأمر الخطير، ونستعيذ بالله من شرور هؤلاء جميعًا، ونلزم الطاعةَ ما استطعنا، فإنّ الأمر جدٌّ قريب، والعاقبة إنّما هي لأهل التقوى.

فهنا أيها الإخوة؛ نرى المسلمين وقد غنموا الذهب الكثير؛ لكنهم لمّا سمعوا بخروج الدجال عافوا كلَّ ذلك، ولو تيقّنا الموت حق اليقين وآمنا بقربه منا إيمانًا صادقًا لَمَا قدَّمنا الدنيا على الآخرة أبدًا؛ بل لَعَاف الواحد منا الدنيا بجانب الآخرة.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: ((فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعُوا بِبَأْسٍ هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ)) أي بأمرٍ هو أكبر من ذلك، ((فَجَاءَهُمُ الصَّرِيخُ))؛ أي الصارخ، وقد فُسِّر هذا في الحديث السابق؛ بأنه الشيطان، يصرخ فيهم بالباطل.

وبالمناسبة يا إخوة؛ الشيطان قد يأتي المسلم بصورة ناصح يريد أن يوقعه فيما يُسخط الله، هذا الشيطان جاء للمسلمين يحذِّرهم الدجال أنه خرج خلفهم في ذراريهم؛ بالباطل، وكذلك نحن؛ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، ولا تحسبنَّ الشيطان يأتي للإنسان ليقوده إلى المعصية مباشرة دائمًا؛ بل هو كما قال ابن القيم رحمه الله:" يَشَام قلب العبد، ينظر في قلب العبد فما يرى أنه أسرع لفتنته أخذ به". فإن رأى من الرجل حب المعاصي دعاه إلى المعاصي مباشرة، إن رأى منه حب الزنا –والعياذ بالله– دعاه إلى الزنا، إن رأى منه حب الغيبة دعاه للغيبة، إن رأى منه حب الكذب دعاه للكذب، وإن لم يرَ منه حب المعاصي احتال عليه وجاءه بصورة ناصح، فقد يأمر إبليس الإنسان بقيام الليل، وقيام الليل هو أفضل الصلاة بعد الفريضة، لكن إبليس لا يريد من المسلم أن يقوم الليل لينال الفضيلة، وإنما إذا علم منه أنه إذا قام الليل نام عن الصلاة المفروضة؛ فيدعوه إلى قيام الليل من أجل أن يفوّت عليه صلاة الفجر؛ وإذا فاتت الفريضة وقع في أمرٍ عظيم.

فالشيطان قد يأتي إلى الإنسان بصورة ناصح، قد يأتي للإنسان فيقول: انتبه، أنت الآن تتوضأ والوضوء مفتاح الصلاة ومن لم يصح وضوؤه لم تصح صلاته؛ فزِد في الوضوء، فيزيد، فيقع في الاعتداء؛ لأنّ النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: «هذا الوضوء، فمن زاد فقد أساء واعتدى وظلم» –أمّا رواية «من نقص» فهي شاذة–، ثم يقوده للوسواس، فإذا خرج من الحمام –أعزكم الله– قال له: انتبه بقي شيء من البول والمسألة مسألة صلاة؛ ارجع، فإذا رجع وقضى ما قضى وخرج؛ قال له: لا حولا ولا قوة إلا بالله، كيف تفرِّط في الطهارة؟! ارجع؛ وينصحه؛ وهو يريد أن يفوّت عليه الجماعة –مثلا–، أو يريد أن يفوّت عليه الوقت، أو يريد أن يثقّل عليه الطاعة.

ولذلك يا إخوة؛ من كثر شكه في الوضوء فلْيعلم أنها من مكائد الشيطان وليست من احتياط أهل الإيمان، ولْيستعذ بالله من الشيطان، ولْينتهِ، فإذا غسل عضو الوضوء ثلاثًا فليكتفِ، وإذا استنجى كما يستنجي الناس فلْيأخذ ماءً ولْيضعه في لباسه، وليخرج ولينتهِ، ولا يتفقّد ولا يفتش؛ فإنّ ذلك من مكائد الشيطان.

الشاهد؛ أنّ الشيطان يصرخ في هؤلاء -أهل الفضل-: أنّ الدجال قد خلفهم في ذراريهم، فيتركون الغنائم ويرجعون، قال: ((فَيَرْفِضُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَيُقْبِلُونَ)) إلى الشام، قال: ((فَيَبْعَثُونَ عَشَرَةَ فَوَارِسَ طَلِيعَةً)) أي مُقدِّمة، ((قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ)) ما فائدة هذه الجملة هنا؟

هي تدل على أنَّ هذا مرفوع من كلام النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنّ ابن مسعود رضي الله عنه في أوّل الكلام ذكر هذا من غير أن يُسنِده إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-، لكن يُعلَم أنه مرفوع؛ لأنّ مثل هذا الكلام لا يقال إلا عن توقيف، لكن جاءت هذه الجملة مبيِّنة؛ قال: ((قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ»؛وهذه الجملة تدل على أنّ القتال سيرجع إلى أن يكون على الخيول، والخيول معقودٌ بنواصيها الخير إلى يوم القيامة.

ويُفهم من الحديث -أيضا-: أنّ هذه الآلات التي نعيشها ونراها هذا الزمان ستزول، ويعود الأمر إلى ما كان، بدون هذه الآلات؛ من هواتف وسيارات ودبابات وغير ذلك، لأنهم عندما بلغهم الخبر ماذا فعلوا؟ رجعوا وأرسلوا طليعة؛ معنى هذا أنه ليس معهم ما يعرفون معه الخبر، وهم على خيولهم؛ معنى هذا أنه ليس معهم هذه الآلات، وهذا أمر ظاهر، فالقتال سيعود على الخيول، ويعود بالسيوف، ويعود بالسهام، ويعود بالرماح، وتزول هذه الآلات.

قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «إِنِّي لَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ، هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ»، أَوْ«مِنْ خَيْرِ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ».

شرح كتاب

الفتن وأشراط الساعة

من صحيح مسلم

◈◈◈

الدرس الثالث عشر

باب مايكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال

[بابٌ: مَا يَكُونُ مِنْ فُتُوحَاتِ الْمُسْلِمِينَ قَبْلَ الدَّجَّالِ]

عَنْ نَافِعِ بْنِ عتبَةَ قَالَ: "كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةٍ، قَالَ: فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ، عَلَيْهِمْ ثِيَابُ الصُّوفِ، فَوَافَقُوهُ عِنْدَ أَكَمَةٍ، فَإِنَّهُمْ لَقِيَامٌ وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاعِدٌ، قَالَ: فَقَالَتْ لِي نَفْسِي: ائْتِهِمْ فَقُمْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ؛ لاَ يَغْتَالُونَهُ، قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ: لَعَلَّهُ نَجِيٌّ مَعَهُمْ. فَأَتَيْتُهُمْ فَقُمْتُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، قَالَ: فَحَفِظْتُ مِنْهُ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ أَعُدُّهُنَّ فِي يَدِي؛ قَالَ:((تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَّالَ فَيَفْتَحُهُ اللهُ». قَالَ: فَقَالَ نَافِعٌ: يَا جَابِرُ، لاَ نَرَى الدَّجَّالَ يَخْرُجُ حَتَّى تُفْتَحَ الرُّومُ)).

هذا الحديث أورده الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليبيّن أنّ هذه الملحمة مع الروم إنَّما تكون قبل خروج الدجال، لأنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- رتّب ذلك.

نافع بن عتبة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يحكي أنهم كانوا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في غزوة، فأتى قوم من قِبَل المغرب عليهم ثياب الصوف، فوافقوه عند أَكَمة؛ أي عند مكانٍ مرتفع، ((فَإِنَّهُمْ لَقِيَامٌ وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَقَاعِدٌ، قَالَ: فَقَالَتْ لِي نَفْسِي: ائْتِهِمْ فَقُمْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ؛ لاَ يَغْتَالُونَهُ)) أي لا يقتلونه غِيلة؛ أي في غفلة منه، النبي -صلى الله عليه وسلم- قاعد وهم قيام، وهو لا يعرف القوم، فخاف على النبي -صلى الله عليه وسلم-، ثم قال: "لَعَلَّهُ نَجِيٌّ مَعَهُمْ"؛ أي لعله يناجيهم ويحدّثهم، قال: "فَحَفِظْتُ مِنْهُ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ أَعُدُّهُنَّ فِي يَدِي"، قَالَ: ((تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللهُ))؛ وقد فتح الله جزيرة العرب، ((ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللهُ))؛ وقد فتح الله فارس،((ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللهُ))، قال بعض العلماء: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ فَارِسَ)) ولم يقل: ثم تغزون فارس؛ قالوا: للدلالة على قرب فتح فارس من فتح جزيرة العرب، وكان الأمر كذلك، فإنّ فارس فُتحت قريبًا من فتح جزيرة العرب، ثم قال: «ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللهُ»، والروم المقصود بها: دار عاصمة الروم؛ قسطنطينية، فيفتحها الله.

وقلنا أنها تفتح للمسلمين مرتين، مرة قد وقعت على يد السلطان محمد الثاني ابن مراد الثاني؛ محمد خان، ولكنها ستعود إلى أيدي الروم. وتُفتح مرة أخرى؛ وذلك قبل خروج الدجال، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ثُمَّ تغزُونَ الدَّجَّالَ فَيَفْتَحُهُ اللهُ»؛ أي يُقتل -وهذا كما ذكرنا بالأمس-، متى؟ بعد رجوعهم من القسطنطينية، إذا وصلوا إلى الشام، وكان الشيطان قد كذب عليهم وقال: إنّ الدجال قد خرج؛ وهو كاذب، إذا بلغوا الشام خرج الدجال، فيستعدُّون لقتاله -كما قلنا بالأمس- ويُصلُّون جماعة، فبينما هم قد أقاموا الصلاة وصفُّوا الصفوف نزل عيسى عليه السلام فقال إمام المسلمين إذ ذاك؛ وهو المهديُّ: محمد بن عبد الله القرشي - سنتكلم عنه قريبا إن شاء الله، إن كتب الله لنا وقتا، وإلا نتكلم عنه في العام القادم إن كتب الله لنا جلوسا وعمْرا- ، يقول لعيسى عليه السلام: تقدم يا روح الله فصلِّ لنا، فيقول: بل تقدم أنت، أئمتكم منكم؛ تَكرُمةً لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، ثم يخرجون إلى الدجال وهو متجه إلى بيت المقدس، فيلحقه المسلمون عند باب لُدّ، وهو - كما قلنا- قريب من بيت المقدس، فإذا رأى الدجال، الذي كان يتعاظم على الناس ويريهم العجائب، إذا رأى عيسى عليه السلام ذاب كما يذوب الملح في الماء، لكنّ عيسى عليه السلام يتداركه فيضربه برُمْحه؛ لأنّ له فيه ضربةً لن تخطئه، وبهذا يُقتل الدجال، وهذا معنى قول النبيصلى الله عليه وسلم: «ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَّالَ فَيَفْتَحُهُ اللهُ».

وكما تلحظون في هذا الحديث معجزة من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم؛ حيث أخبر بأمورٍ ستقع، وقد وقعت، وأخبر بأمورٍ ستقع، وستقع إن شاء الله؛ أخبر بفتح جزيرة العرب وقد فُتحت، أخبر بفتح فارس وقد فُتحت، وأخبر بفتح الروم وستُفتح، وأخبر بقتل الدجال وسيُقتَل.

شرح كتاب
الفتن وأشراط الساعة
من صحيح مسلم

◈◈◈

الدرس الرابع عشر

باب في الآيات التي تكون قبل الساعة

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ:

[بَابٌ: فِي الْآيَاتِ الَّتِي تَكُونُ قَبْلَ السَّاعَةِ]

عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: "اطَّلَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ: «مَا تَذَاكَرُونَ؟» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ. قَالَ: ((إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ»، فَذَكَرَ: الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ-، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ؛ خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ)).

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ فِي غُرْفَةٍ وَنَحْنُ أَسْفَلَ مِنْهُ، فَاطَّلَعَ إِلَيْنَا فَقَالَ: «مَا تَذْكُرُونَ؟» قُلْنَا: السَّاعَةَ. قَالَ: (إِنَّ السَّاعَةَ لاَ تَكُونُ حَتَّى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَالدُّخَانُ، وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الأَرْضِ، وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قُعْرَةِ عَدَنٍ تُرَحِّلُ النَّاسَ)).

هذا الحديث أيها الإخوة؛ بعد أن ذكر الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ العلامة على قرب ظهور العلامات الكبرى؛ ذكر العلامات الكبرى، **ما هي علامة قرب ظهور العلامات الكبرى**؟ كثرة الروم والملحمة، بعد أن ذكر هذه العلامة، ذكر أمارات الساعة الكبرى، وهي ما في هذا الحديث.

قال: "اطَّلَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ: «مَا تَذَاكَرُونَ؟»)) هذا في بعض نسخ مسلم، وفي بعض نسخ مسلم: ((ما تَذْكرون؟)) بدون الألف، قالوا: ((نَذْكُرُ السَّاعَةَ)) أي نذكر أمر قيامها، وأنها يمكن أن تقوم في أي وقت، ولذلك قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَاعَشْرُ آيَاتٍ» وذكرها.

هذا الحديث فيه علامات الساعة الكبرى، وهي كما جاء في الحديث: الدّخان، والدّجّال، والدابة، وَطلوع الشّمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف، والنَّار التي تحشر الناس.

طيب؛ هذه كم يا إخوة؟ هي ثمانية إذا عددناها هكذا، عشر بتفصيل الخسوف، إذا فصّلنا الخسوف فذكرنا الثلاثة تصبح عشرة، كما سيأتي عن شاء الله.

وهذه الآيات لم تُذكَر في الحديث مرتَّبة؛ بدليل أنّ الروايات مختلفة في الذِّكر في التقديم والتأخير. ويحسن قبل أن نشير إلى ما يتعلق برتيبها، أن نشير إلى ما يتعلق بتقسيمها، فإنّ علماء الإسلام -بفقههم- قسموا هذه العلامات الكبرى تقسيماتٍ جميلة.

- فمنهم من قسمها إلى قسمين:

♦ **<u>القسم الأول</u>**: علاماتٌ متعلقةٌ بتغيرأحوال الأرض؛ منها: خروج الدجال، وخروج يأجوج ومأجوج، ونزول عيسى عليه السلام، والخسوف -الذي سنتكلم عنه إن شاء الله-.

♦ **<u>والقسم الثاني</u>**: علاماتٌ متعلقةٌ بتغير أحوال السماء؛ ومنها: طلوع الشمس من مغربها، والدابة التي تكلم الناس، والنار التي تحشر الناس.

- ومن أهل العلم من قسمها إلى قسمين:

♦ **<u>القسم الأوّل</u>**: علاماتٌ متّفقةٌ مع العادة، وإن كانت باهرة؛هي باهرة ، لكنها على وفق العادة، وهي: ظهور الدجال، ونزول عيسى عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج. قلنا هذه العلامات عظيمة؛ كيف يقولون متفقة مع العادة؟!

كيف تقولون أنَّها متفقة مع العادة؟

قالوا: نقول إنها متفقة مع العادة؛ لأنَّ هؤلاء على هيئة بني آدم ومن بني آدم. يأجوج ومأجوج من ذرية آدم وحواء -كما سيأتي إن شاء الله-، وعيسى عليه السلام هو ابن مريم، والدجال سيأتي التفصيل في أصله، وبيان أنه من بني آدم.

- **والقسم الثاني**: علاماتٌ مخالفةٌ للعادة؛ ومنها: طلوع الشمس من المغرب؛ قالوا: هذا خلاف المعتاد؛ لا يألفه الناس، ومنها: ظهور الدابة.

قالوا: وهذا أيضا على نوعين -أي التي ليست مألوفة-:

أ. **علاماتٌ أرضية**: وهي ظهور الدابة.

ب. **وعلاماتٌ سماوية**: وهي طلوع الشمس من مغربها.

وهذا التقسيم قد يُعتَرض عليهمن جهة أنّ الآيات كلها لو تدبرناها لوجدناها مخالفة للعادة؛ فالدجال معه أمور تُخالف العادة، ونزول عيسى عليه السلام كذلك، وخروج يأجوج ومأجوج كذلك.

- ومن العلماء من قسمها تقسيمًا دقيقا، فقال: هذه العلامات على قسمين:

- **القسم الأوّل**: علاماتٌ دالةٌ على قُرب قيام الساعة؛ وهي: الدجال، ونزول عيسى عليه السلام، وظهور يأجوج ومأجوج، والخسوفات؛ هذه علامات على ماذا؟ على قرب قيام الساعة.

- **والقسم الثاني**: علاماتٌ دالة على وقوع الساعة؛ وهي: الدخان، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، والنار التي تحشر الناس، قالوا: هذه علامات على حصول الساعة؛ إذا وقعت هذه العلامات حصلت الساعة، وهي قريبة جدًا من وقتها.

وقد جاءت النصوص فيها بيانُ أوّل هذه العلامات، لكن وقع بينها تعارضٌ في الظاهر، وسأذكر لكم النصوص، ثم أذكر لكم كيف أنّ علماءنا -رحمهم الله- حلُّوا هذا الإشكال.

- فقد جاء في صحيح البخاري عن أنس قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((أوّل أشراط الساعة: نارٌ تحشر الناس من المشرق إلى المغرب))، إذًا؛ **ما هي أول اشراط الساعة؟** النار.

- وجاء في صحيح مسلم عن عبد الله بن عَمرو رضي الله عنهما قال: "**حفظتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول**:((أوّل الآيات خروجًا: طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيّتهما ما كانت قبل صاحبتها،فالأخرى على إثرها قَرِيبًا))، إذًا؛ على هذا الحديث ما هي أوّل الآيات؟ طلوع الشمس من مغربها.

- وجاء في بعض الأحاديث ما يُشعر بأن أوّل الآيات الدجال.

طيب؛ جاء في حديث: أوّل الآيات: النار، وجاء في حديث أوّل الآيات: طلوع الشمس من مغربها، وجاء في بعض الأحاديث ما يُشعر أنّ أوّل الآيات: الدجال! فكيف نجمع؟

جمع العلماء بين هذه الأحاديث جمعًا بديعًا:

- فقالوا: إنّ النار هي أوّل علامات حصول الساعة ونهاية الدنيا، فليس بعدها من الدنيا شيء؛ يعني أوّل علامات حصول الساعة: هي النار، فإذا ظهرت النار انتهت الدنيا فلم يبقَ من الدنيا شيء، وحصلت الساعة؛ فهذه أوّليّتها.
- وقالوا: إنَّ خروج الدجال هو أوَّل العلامات المُؤذِنة بتغيُّر الأحوال العامة في الأرض.
- قالوا: وإنَّ أوّل الآيات المؤذِنة بتغيُّر العالم العلوي -يعني في السماء-: هو طلوع الشمس من المغرب، والدابة قريبةٌ منها؛ لأنَّه إذا طلعت الشمس من المغرب، ماذا سيحصل؟ سيُغلق باب التوبة؛ فالمؤمن مؤمن، والكافر كافر، لن يتوب الكافر من كفره، فتظهر الدابة تَسِمُ الناس، فتظهر العلامة؛ علامة المؤمن وعلامة الكافر؛ فهذا هو الجمع.

- **أوَّل علامات حصول الساعة ونهاية الدنيا حيث لا يكون بعدها شيء**: هي النار.
- **وأوَّل علامات التغيُّر العام في الأرض**: هو خروج الدجال.
- **وأوَّل علامات التغير في السماء**: **هو** طلوع الشمس من المغرب.

لكن هنا أيضًا إشكال -لعلكم انتبهتم له-: النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الذي معنا ماذا قال؟

قال: ((وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ)).

ماذا قال؟((وَآخِرُ ذَلِكَ))، وقال في حديث أنس الذي في صحيح البخاري: ((وأول أشراط الساعة: نارٌ تحشر الناس من المشرق إلى المغرب))؛ لاحظتم يا إخوة؟

وَصَفَها في حديث مسلم الذي معنا أنها آخِر، ووَصَفَها في حديث البخاري في حديث أنس أنها أوَّل، فكيف يُجمَع؟!

قال أهل العلم: يُجمع بينهما بأنها آخر الآيات المذكورة في الحديث، وهي أوَّل حصول الساعة، وآخر علامات الساعة الكبرى، فمن هنا تكون أوّل وتكون آخر؛ آخر باعتبار العلامات الأخرى التي ذُكرت معها، وأوَّل باعتبار أنها أوَّل حصول الساعة فليس بعدها من الدنيا شيء -كما سيأتي إن شاء الله عز وجل-.

إذا عرفنا هذا؛ فإنه هنالك آيات وردت النصوص بترتيبها؛ وهي:

- **خروج الدجال.**
- **ثم ينزل عيسى** عَلَيْهِ السَّلَامُ.
- **ثم يخرج يأجوج ومأجوج.**

فهذه الآيات الثلاث مرتّبة هكذا.

وأمّا بقية الآيات لم يرِد في ترتيبها نص، طبعا نحن ذكرنا الأوّليّة انتهينا منها، لكن من جهة ترتيب الآيات لم يرد نص في الترتيب إلا في خروج الدجال، ثم بعد ذلك ينزل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم يخرج يأجوج ومأجوج. لكن العلماء اجتهدوا في الترتيب. وأدقُّ ما قيل في ذلك، وإن كان لا يُجزَم به، لكنه اجتهادٌ حسنٌ في الباب:

١) **أن أوّل الآيات خروجا: الدجال.**

٢) **ثم ينزل عيسى** عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٣) **ثم يخرج يأجوج ومأجوج، ويكون المهديّ في ذلك الزمان مع هذه العلامات**، وهو عند أهل السنة والجماعة من العلامات الكبرى -كما سنذكره إن شاء الله عز وجل-.

٤) **ثم الخسوفات، تقع الخسوفات الثلاث.**

٥) **ثم تظهر العلامات الدالة على حصول الساعة**؛ فيأتي الدخان.

٦) **ثم تطلع الشمس من مغربها.**

٧) **ثم تظهر الدابة.**

٨) **ثم تخرج النار.**

وبهذا تتم العلامات.

وهذا الترتيب ترتيبٌ حسن، وإن كان لا يُجزم به؛ لأنه لا يُجزم في الغيب إلا بنص، لكنّ هذا الترتيب ترتيبٌ متناسب.

وهذه الآيات أيها الإخوة إذا ظهرت واحدةٌ منها تتابَعت، فهي متتابعة؛ كالخرز المنظوم في السلك، إذا قُطِع السلك سقطت الخرزات سريعة متتابعة، وكذلك في هذه الآيات؛ فقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عنالنبي صلى الله عليه وسلمقال: ((خروج الآيات بعضها على إثر بعض، يتتابعن كما تتابع الخرز في النظام)) رواه الطبراني وصححه الألباني.

فهذا يدل على أنها تتتابع. وجاء عند الإمام أحمد ما يدل على ذلك أيضًا.

سنشرع -إن شاء الله عز وجل- من يوم الغد في الكلام عن هذه العلامات بشيء من الاختصار غير المُخلّ -إن شاء الله عز وجل- بما يتناسب مع ما بقي من الوقت، لأنا نريد أن نجعل -إن شاء الله- آخر درس في علامات الفتن وأسباب السلامة منها -إن شاء الله عز وجل-.

شرح كتاب
الفتن وأشراط الساعة
من صحيح مسلم

◈◈◈

الدرس الخامس عشر

باب في الآيات التي تكون قبل الساعة:

الدخان

لا زلنا في درسنا مع ما أورده الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ في أشراط الساعة، حيث اطَّلع النبي صلى الله عليه وسلم على قومٍ من أصحابه يتذاكرون؛ فقال: «ما تَذكرون؟»، وفي رواية: «ما تَذاكرون؟» قالوا: نذكر الساعة، قال صلى الله عليه وسلم: «إنها لن تقوم حتى تَرَون قبلها عشر آيات؛ فذكر: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن تَطرُد الناس إلى محشرهم».

وقد تكلمنا عن مقدِّمات هذا الحديث في مجلس الأمس. واليوم -إن شاء الله عز وجل- نتكلم عمايتيسّر من الآيات التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم.

فأوّل آية ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث: الدخان.

والدخان: دخانٌ واضحٌ يَعُمُّ الناس جميعًا، فيراه الناس جميعًا، دخانًا يغشاهم، وهوكما في قول الله -تعالى-: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ*يَغْشَى النَّاسَ هَـٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[الدخان: ١٠ - ١١].

وقد اختلف علماؤنا من السلف والخلف في الدخان الذي يعمّ الناس؛ هل سبق ووقع ومضى أم أنه لا زال وسيقع في آخر الزمان؟

فذهب ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وتبعه بعض العلماء واختاره ابن جرير الطبري شيخ المفسرين إلى أنّ الدخان قد وقع وسبق ومضى؛ وذلك في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، فعن مسروق قال: "دخلنا على عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: "يا أيها الناسمن علم شيئًا فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم"؛ وهذه قاعدة أهل السنة والجماعة أنّ المسلم يقول بما علم، ويمسك عما لم يعلم، فلا يتخرَّص ولا يذكر شيئًا من عنده، فعندما قال الله عز وجل: ﴿الرَّحْمَـٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[طه: ٥]، قال أهل السنة والجماعة: الرحمن على العرش استوى كما نفهم من كلمة استوى؛ علا -سبحانه- واستقر وارتفعمن غير تكييفٍ ولا تشبيهٍ، ولكنهم قالوا لِما لا يعلمون: "الله أعلم"، فقالوا: "الكيف مجهول"، الله لم يُعلِمنا كيف استوى؛ فنكِلُ العلم إلى الله.

كذلك في أشراط الساعة؛ لا يَتخرَّص المسلم فيقول: إنّ الساعة ستقوم في السنة الفلانية، يا أمة محمد! النداء الأخير! فهذا من التخرُّص، وإنَّما يقول المسلم في أشراط الساعة ما عَلِمَ؛ فيَعُدّ الأشراط، ويُبيِّن الأحوال، أمّا ما لم نُعْلَم به لا في الكتاب ولا في السنة فلا يجوز أن نتخرَّص به، ولا يجوز أن ننزِّل الأشراط على الوقائع إلا بدليل، وإلا قلنا: الله أعلم.

فهذه قاعدة شريفة مُنيفة يضعها ابن مسعود -رحمه الله ورضي عنه- في أوّل كلامه؛ حيث قال: "مَن علم شيئًا فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإنّ من العلم أن يقول لِما لا يعلم: الله أعلم"، قال الله عز وجل لنبيِّه: ﴿قُلْمَاأَسْأَلُكُمْعَلَيْهِمِنْأَجْرٍوَمَاأَنَامِنَالْمُتَكَلِّفِينَ﴾[ص: ٨٦]، والقول بلا علم من التكلُّف.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: "وسأحدّثكم عن الدخان، إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا قريشًا إلى الإسلام؛ فأبطؤوا عليه ولم يجيبوه، فقال: ((اللهم أعنِّي عليهم بسبعٍ كسبع يوسف))؛ -أي يصيبهم القحط سبع سنين-، "فأخذتهم سنة-أي قحط-، "فَحَصَتْ كلَّ شيء- أي أكلت كلّ شيء- حتى أكلوا الميتة والجلود، حتى جعل الرجل يرى بينه وبين السماء دخانًا من الجوع"، من شدة الجوع أصبح الرجل إذا نظر يرى دخانًا؛ فهذا هو الدخان،فقال الله عز وجل: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ*يَغْشَى النَّاسَ هَـٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾،قال رضي الله عنه:"فدعَوْا:﴿رَّبَّنَااكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ* أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْجَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ*ثُمَّ تَوَلَّوْاعَنْهُ وَقَالُوامُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ*إِنَّاكَاشِفُوالْعَذَابِ قَلِيلًاإِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾[الدخان: ١٢ - ١٥]؛ قال ابن مسعود رضي الله عنه: "أفيُكشَف العذاب يوم القيامة؟! قال: فكُشِف ثم عادوا في كفرهم؛ فأخذهم الله يوم بدر﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَالْكُبْرَىٰ إِنَّامُنتَقِمُونَ﴾[الدخان: ١٦]"؛ يعني يوم بدر.

وعند البخاري ومسلم أيضًا عن مسروق بيّن سبب كلام ابن مسعود رضي الله عنه، قال: "كنا عند عبد الله جلوسًا، وهو مضطجعٌ بيننا، فأتاه رجلٌ فقال: يا أبا عبد الرحمن، إنّ قاصًّا عند أبواب كِندة يَقصُّ ويزعم أنّ آية الدخان تجيء فتأخذ بأنفاس الكفار، ويأخذ المؤمنين منه كهيئة الزكام، فقال عبد الله -وجلس وهو غضبان-: "يا أيها الناس،

اتقوا الله! من علم منكم شيئًا فليقل، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم"، ثم ذكر ما ورد سابقًا؛ إذًا ابن مسعود رضي الله عنه يرى أنّ آية الدخان قد مضتْ في هذا الزمن.

وذهب بعض العلماء ومنهم ابن عباس رضي الله عنهما فيما صح عنه وبعض العلماء من السلف والخلف إلى أنّ آية الدخان لم تقع، وأنها ستقع في آخر الزمان.

ولا شك أيها الإخوة؛ أنّ آية الدخان العظمى التي هي علامة قيام الساعة لم تقع، وإنَّما ستقع بين يدي الساعة؛ بدليل هذا الحديث الذي معنا؛ فإنّ النبي صلى الله عليه وسلم ذكرها بين يدي الساعة.

وجاء في حديث حذيفة أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: **((إنّ من أشراط الساعة دخانًا؛ يملأ ما بين المشرق والمغرب، يمكث في الأرض أربعين يومًا، فأمّا المؤمن فيصيب منه شِبْهَ الزكام، وأمّا الكافر فيكون بمنزلة السكران، يَخرج الدخان من أنفه وعينيه وأُذنَيه ودُبُره))**.

قال ابن حجر رحمه الله: **"روى الطبري عن حذيفة -مرفوعًا- في خروج الآيات والدخان؛ قال حذيفة: "يا رسول الله، وما الدخان"؟**فتلا هذه الآية، قال: **((أمّا المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكام، وأمّا الكافر فيخرج من مِنْخَرَيه وأذنَيه ودُبره))**، قال الحافظ ابن حجر: **"إسناده ضعيف"**.

وضعّف الحافظ ابن حجر كلَّ الأحاديث التي وردت في هذا المعنى، لكن قال عَقِبَ ذلك: **"لكنَّ تظافر هذه الأحاديث يدلّ على أنّ لذلك أصلًا"**.

فنقول أيها الإخوة: إنّ الدخان ثابت، وإنه سيخرج في آخر الزمان، وأمّا هيئته ما رُوي من أحاديث مُشعِر بهذا لكن لا يُجزَم به؛ لأنّ الأحاديث لم تَثبُت بأسانيد صالحة حتى يُجزَم بالهيئة.

قال بعض العلماء -واختاره القرطبي-: **"الذي يقتضيه النظر الصحيح؛ حَمْل ذلك على قضيَّتين مختلفتَين: فالذي ذكره ابن مسعود وقع وهو دخان خاصُّبقريش، والآية التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم ستقع بين يدي الساعة"**.

طيِّب؛ ابن مسعود قال: إنهم دعوا بأن يُكشَف عنهم العذاب، ويوم القيامة لا يُدعى ولا يُكشَف!

والجواب: أنّ هذا ليس في يوم القيامة؛ وإنما من مقدمات يوم القيامة -في أشراط الساعة-، فلا يَبْعُد أن يدعوا الناس إذ ذاك؛ فيكشف الله عنهم العذاب، لكنهم لا يَفون بعهدهم.

- وقول ابن مسعود رضي الله عنه -كما تلحظون- من قوله، لم يُسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

شرح كتاب
الفتن وأشراط الساعة
من صحيح مسلم

◈◈◈

الدرس السادس عشر

باب في الآيات التي تكون قبل الساعة: الدجال

وأمَّا الآية الثانية التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم فهي: الدجال -نعوذ بالله من فتنته-.

وقد تواترت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في خروج الدجال،فمما يَقطع به المؤمن: أنّ الدجال سيَخرج بين يدي الساعة.

واسم الدجال: المسيح الدجال ، قيل: سُمِّي بالمسيح:

- لأنَّه يسيح في الأرض -أي يطوف في الأرض-، إلا مكة والمدينة؛ وعليه يكون المسيح: بمعنى ماسح، يقول العلماء: فعيل بمعنى فاعل، أي أنه يمسح الأرض؛ فهو ماسح الأرض.

والعلماء قالوا: المسيح اثنان:

- مسيح مِحنة.
- ومسيح مِنحة ورحمة.

أمَّا الدجال: فمسيح مِحنة، وأما مسيح الرحمة: فهو عيسى عليه السلام.

- وقيل سمي مسيحًا لأنه ممسوح العين -كما سيأتي في وصفه إن شاء الله-، فهو فعيل بمعنى مفعول.
- وقال بعض العلماء: إنَّ الدجال مِسِّيح، لا يقال له المسيح وإنَّما يقال له المِسِّيح، لماذا؟ أرادوا التفرقة بينه وبين عيسى عليه السلام، فقالوا: عيسى عليه السلام يقال له المسيح، والدجال يقال له المِسِّيح.
- ومن أهل العلم من قال: المَسِيخ؛والمَسِيخ في لغة العرب هو الأعور، وقيل إنَّ المَسيخ هو الذي خُلِقَ على هيئة قبيحة.

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"والمسيح ابن مريم عليه السلام والمسيح الدجال لفظهما واحدٌ عند أهل العلم وأهل اللغة، وقد كان بعض رُوَّاة الحديث يقول في الدجال: المِسِيح، بكسر الميم والسين، ومنهم من قال ذلك بالخاء، وذلك كلُّه عند أهل العلم خطأ".**

إذًا المحققون من أهل العلم يقولون: هو المَسِيح، وهو الذي وردت به النصوص، وأمّا بقية الأسماء فهي عند أهل العلم خطأ.

وسُمِّي بالدجال، والدجال هو الكذّاب، وهو كذّاب؛ لأنه يدَّعي أنه إله، فهو أفجر الكذَّابين، كبير الدجاجلة - كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ-، فسمي بالدجال لأنه كذاب.

- وقال بعض أهل العلم: سُمِّي بالدجال؛ لأنه يُغطِّي، ماذا يُغطِّي؟ قالوا: يُغطِّي الأرض؛ إلا مكة والمدينة.
- وقال بعض أهل العلم: يُغطِّي الحق بالباطل، فيُظهِر علامات تجعل الباطل كأنه حق -كما سيأتي إن شاء الله-.
- وقيل: سُمِّي دجّالًا؛ من الدَّجْلِ؛ وهو طَلْي البعير بالقَطِران، إذا أصيب البعير بالداء والجرب يُطلى بمادة القَطِران ويقال إنه دَجْل؛ فسُمِّي بذلك؛ لأنه يَطلي الباطل؛ فلا تَظهر صورة الباطل. و"فعّال" من أبنية المبالغة؛ أي كثير الكذب، كثير التغطية.

وجاء في القاموس المحيط: "**دَجَلَ البعير: طلاه أو عمّ جسمه بالقَطِران؛ ومنه الدجال المَسيح؛ لأنه يعم الأرض، أو مِن دَجَلَ: أي كَذَبَ، أو من دُجِلَ تدجيلًا: غُطِّيَ وطُلي بالذهب؛ لتمويهه بالباطل، أو من الدَّجَال؛ بمعنى الذهب والفضة، فسمي بذلك**".

لماذا؟ لأنه -والعياذ بالله- تتبعه كنوز الأرض من الذهب والفضة، تسير وراءه -كما سيأتينا إن شاء الله-.

ولفظة الدجال -يا إخوة- عند المسلمين أصبحت إذا أطلقت إنما يُعنى بها هذا الكذّاب، مع أنَّ الدجاجلة كثير، لكنها أصبحت عَلَمًا على الدجال الأكبر، على صاحب الفتنة، عياذًا بالله من فتنته.

وأمَّا صفته، فنبينا صلى الله عليه وسلم الرحيم بنا وَصَفَ لنا الدجال، لا لأن نتسلى بوصفه؛ وإنَّما لنحذره ولنعرفه إذا خرج -عياذًا بالله من فتنته-.

ففي البخاري ومسلم، قال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "**قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال**؛ فقال: ((**إني لأنذركموه، وما من نبيٍّ إلا وأنذره قومه، لقد أنذر نوحٌ قومه، ولكني أقول**

لكم فيه قولًا لم يَقُلْهُ نبيٌّ لقومه، تعلمون أنه أعور وأنّ الله ليس بأعور))؛ فالدجال أعور، وأنّ الله ليس بأعور، وفي هذا إثبات العين على وجه الكمال.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أحدِّثكم حديثًا عن الدجال ما حدَّث به نبيٌّ قومه: إنه أعور».
- ولمسلمٍ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يومًا بين ظهراني الناس المسيح الدجال، فقال: «إنّ الله ليس بأعور، ألا إنَّ المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأنّ عينه عنبةٌ طافية».
- ولمسلم عنه مرفوعًا؛ أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وأراني الله عند الكعبة في المنام» فذكر صفة عيسى عليه السلام -وسنذكرها إن شاء الله عز وجل-، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ثم رأيتُ وراءه رجلًا، جَعدًا، قَطَطًا، أعور العين اليمنى، كأشْبَهَ من رأيتُ بابن قَطَن، واضعًا يديه على منكبي رَجُل، يطوف بالبيت، فقلتُ من هذا؟ قالوا: المسيح الدجال». ورواه البخاري.
- وجاء فيه: «فإذا رجل أحمر، جسيم، جَعْدُ الرأس، أعورُ عينِه اليُمنى، كأنّ عينه عنبة طافية، قلتُ من هذا؟ قالوا: الدجال، وأقرب الناس به شَبَهًا: ابن قَطَن» قال الزهري:"رجل من خزاعة، هلك في الجاهلية، يقال له: عبد العزّى بن قَطَن".

قولُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «**إنه جَعِدٌ قَطَط**»؛ القَطَط: هو المتكسِّر الشعر، الذي يلتوي شعره ولا يَسترسل أبدًا، والقَطَط: هو شديد جُعُودة الشَّعر. إذا كان الشّعر شديد الجُعُودة يقال لصاحبه: إنه قَطَط.

وأمّا قوله: «**كأنها عنبة طافية**» فإنه يعني أنها ظاهرة منتفخة، طَفَتْ على وجهه كما يطفو الشيء على الماء، كأنها عنبة بارزة على وجهه.

ففي هذه الأحاديث -أيها الإخوة-: أنّه أعور العين اليمنى، وعينه ظاهرةٌ بارزةٌ منتفخة.

♦ وفي مسلم: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الدجال ممسوح العين)).

♦ وفيه عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الدجال أعور العين اليسرى)).

♦وفيه أيضا -أي في صحيح مسلم- عن حذيفة رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((وإنَّ الدجال ممسوح العين عليها طَفَرَةٌ غليظة))؛ **ماهي الطَفَرَة؟**

الطفرة: هي اللحمة التي تكون في مقدَّمة العين، وقد تمتد إلى السواد؛ لحمة حمراء تكون من داخل العين في المقدِّمة، وقد تمتد إلى السواد.

هنا سنلحظ يا إخوة؛ أنّ في الحديث المتفق عليه وُصِفَت عين الدجال اليمنى بالعَوَر وأنها طافية، وفي الحديث الذي في مسلم وُصِفَت بأنها ممسوحة، وأنّ العين اليسرى هي العوراء!

الوصف الأول في الصحيحين، والوصف الثاني في صحيح مسلم، كلاهما صحيح! وقد وقف العلماء من هذه الروايات موقفين:

- فمِن العلماء مَن ذهب إلى الترجيح؛ فقال: رواية الصحيحين مقدَّمة على رواية مسلم، وذهب إلى هذا الحافظ ابن حجر؛ يعني أنه رجَّح أنّ العين اليمنى هي العوراء، وهذا منهج من مناهج أهل العلم.
- وذهب بعض أهل العلم إلى الجمع بين الروايات، وهذا أَولى.

يا إخوة! العلماء يقولون: الجمع أولى من الترجيح؛ **لماذا؟**

لأنك إذا جَمَعتَ أَخذتَ بكلِّ الأدلة، أمّا إذا رَجَّحتَ تركتَ بعض الأدلة.

فمِن أهل العلم من جمع بين الروايات وقال: إنَّ الروايات كلها صحيحة، فالدجال مَعِيبُ العينين، أمّا عينه اليمنى فعوراء قد انطفأ ضوؤها وبرزتْ وانتفختْ، وأمّا عينه اليسرى فممسوحة، يظهر فيها العيب، عليها لحمة، لكنّ ضوءها لم ينطفئ، فهو مَعيبٌ في عينَيه.

وما دام أنَّ الحَمْلَ على هذا المعنى ممكن فإنه يُصار إليه؛ لأنّ الجمع مقدَّمٌ على الترجيح.

ومن أهل العلم من قال: إنّ العين اليمنى ممسوحة، لكنّ الأَوْفَق القول إنّ العين اليمنى هي عوراء قد ذهب ضوؤها وهي منتفخة ظاهرة بارزة كالعنبة، وأمّا العين اليسرى فممسوحة، وفيها لحمة ظاهرة، ولكنّ ضوءها لم ينطفئ.

وجاء في حديث النواس عند مسلم -وسنذكره إن شاء الله- قول النبي صلى الله عليه وسلم عن الدجال: ((إنَّه شاب)).

وجاء عند أبي داود بإسنادٍ صحَّحه الألباني -رحم الله جميع علماء الإسلام- في حديث عبادة بن الصامت أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إنّ المسيح الدجال رجلٌ قصير أَفْحَج))؛ **ما هو الأفحج؟** هو متباعدُ ما بين الساقين وما بين الفخذَين؛ فهذا وصفه.

وفي صحيح مسلم أنّ بعض أصحاب رسول الله صلى الله عيه وسلم قال: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم حذَّر الناس الدجال: ((إنه مكتوبٌ بين عينَيه كافر، يقرؤه من كَرِهَ عمله، أو يقرؤه كلُّ مؤمن)).

وفيه: عن أنس بن مالك أنّ نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: ((الدَّجَّالُ مَكْتُوبٌ بيْنَ عَيْنَيْهِ كفرأي))؛ أي كافر.

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الدَّجَّالُ مَمْسُوحُ العَيْنِ مَكْتُوبٌ بيْنَ عَيْنَيْهِ كافِرٌ،ثُمَّ تَهَجَّاهاكفريَقْرَؤُهُ كُلُّ مُسْلِمٍ)).

وفي مسلم -أيضًا- عن حذيفة ﵁ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَأَنا أَعْلَمُ بما مع الدجال منه، معه نهران يجريان؛ أحدهما رأيَ العين ماءٌ أبيض، والآخر رأيَ العين نارٌ تأجّج، فإما أَدرَكَنّ أحدًا فليأتِ النهر الذي يراه نارًا، وليُغمِض، ثم ليُطأطِئ رأسه فيَشربَ منه فإنه ماءٌ بارد، وإنّ الدجال ممسوح العين عليها ظَفَرَة غليظة، مكتوبٌ بين عينيه: كافر، يقرؤه كلُّ مؤمن كاتبٌ وغير كاتب» ويَصِحُّ أن يقال: «**كاتبٍ وغير كاتب**».

إذًا؛ في هذا الحديث أنّ الدجال من صفته أنه مكتوب بين عينيه: "كافر"، وهذه الكتابة حقيقيةٌ ظاهرةٌ؛ لكن لا يقرؤها إلا المؤمن.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: **"وفي الحديث الصحيح: «إنّ الدجال مكتوبٌ بين عينيه: كافر، يقرؤه كلُّ مؤمن قارئ وغير قارئ» فدلّ على أنّ المؤمن**-انتبهوا لهذه الفائدة يا أخوة!- يَتبيّن له ما لا يَتبيّن لغيره ولا سيما

في الفتن، ويَنكشف له حال الكَذِبِ على الله ورسوله، فإنَّ الدجال أَكذَبُ خَلْقِ الله، مع أنّ الله يُجرِي على يديه أمورًا هائلة، ومَخاريق مُزلزِلة، حتى أنّ مَن رآه افتتَن به، فيكشفها الله للمؤمن، حتى يَعتقد بطلانها".

انتبهوا لهذه الفائدة! فائدة نفيسة؛ الإيمان -أيها الإخوة- عصمة لصاحبه بفضل الله، فالمؤمن يُبصِرُ الحقّ ولا سيما عند الفتن، فإنَّ الله يرزقه بصيرة يَعْلَمُ بها الفتن، ومِن بصيرته أنه يَعْلَمُ السُّنة، ومَن عَلِمَ السُّنة كانت له جُنَّة بفضل الله -سبحانه وتعالى-.

فالمؤمن -أيها الإخوة- يقرأ بين عيني الدجال: كافر، مع أنّ الدجال من أكثر الناس قدرة على الكذب ومعه مخاريق هائله -سنذكرها إن شاء الله عز وجل-.

إذًا؛ نقول: إنّ الدجال من بني آدم، وهو شاب، أحمر، جسيم -يعني كبير الخلقة-، متباعدُ ما بين الساقينوالفخذَين،منكسِر الشَّعر، شديد تَجعُد الشعر، مَعيب العينَين؛ فعينه اليمنى عوراء قد ذهب ضوؤها، وعينه اليسرى ممسوحة لم يذهب ضوؤها، مكتوبٌ بين عينيه: كافر؛ فهذه أوصافه التي بيّنها النبي صلى الله عليه وسلم.

◈ وأمّا فتنته -عياذًا بالله منها- فهو أعظم الدجاجلةِ فتنة، فإنه ما خلق الله مِن لَدُن آدم إلى قيام الساعة أعظم من فتنته، وسنذكر الأحاديث المبيِّنة لفتنته ونشرح بعض كلماتها.

ففي صحيح مسلم، عن النواس بن سمعان قال: "ذَكَرَرسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ الدَّجَّالَ ذَاتَ الغداةَ،فخَفض َفيهِ ورفعَ".

ما معنى "فخفض فيه ورفع"؟ أي بالغ في تقريبه، ولذلك قال: **"حَتَّى ظننَّا أنَّهُ في طائفةِالنَّخلِ"**؛ يعني: حتى ظنناه خرج وهو في طائفة النخل، **"فلمّا رُحْنَا إليه عَرَفَ ذَلِك فِي وجُوهَنَا"**.

يا إخوة! النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك في الغداة أي في الصباح، **"فلمّا رحنا"**؛ أي جئنا في المساء، والأصل في الرَّوْحَة أن تطلَق على المجيء في المساء؛ لكنّ ذلك ليس بلازم؛ لأنّها قد تُطلَق أيضًا على الصباح؛

ألا تعرفون الحديث: ((مَن راح في الساعة الأولى فكأنما قرّب بَدَنة))؟ وهذا قبل المساء، لكنّ الأصل في لغة العرب أنّ الرَّوحة تطلَق على المجيء مساءً، قال النواس: "فلمّا رحنا إليه"؛ أي جئناه مساءً، "عَرَفَ ذَلِكَ فِي وجُوهَنَا -أي تغيَّرت وجوههم من الخوف من الدجال- قَالَ: ((ماشأنُكُم؟- ما حالكم؟-، قُلنا: يارسول الله ذَكَرتَ الدَّجَّال الغداةَ، فخفَضتَ فيهِ ثمّ رفعتَ، حتَّى ظننَّا أنَّهُ في طائفةِ النَّخلِ، قالَ: ((غيرُ الدَّجَّال أخوَفُني عليكُم))"، قال: ((غيرُ الدجال أَخوَفُني عليكم))، وفي رواية -هي عند الترمذي بإسنادٍ صحيح-: ((أَخوف لي عليكم))، هذا الخطاب للصحابة.

((غيرُ الدجال أَخْوَفُني عليكم))؛ أي أني لا أخاف عليكم إلا الدجال، ثم ذَكَرَ سبب هذا؛ فقال: ((إن يخرُج و أَنافيكُم فأَناحجيجُهُ دونكُم»، إن يخرج فيكم معاشر الصحابة؛ فأنا حجيجه دونكم؛ أي مدافِعُه ومُبطِلٌ أمره فلا يضركم، ((وإن يخرُجْ و لستُفيكم، فامرؤٌ حجيجُ نفسِهِ، واللهُ خَليفتي على كلِّ مسلم، إنَّه شابٌّ قطَطٌ، عينُه طَافِيَةٌ، كأنِّي أشبِّهُهُ بعبدِالعزَّى بنِ قَطَنٍ، مَن أَدْرَكَهُ مِنكُم، فليقرَأْ عليَهِ فواتحَ سورةِالكَهْفِ، إنَّهُ خارجٌ مِن خلَّةٍ بينَ الشَّامِ، والعراقِ))؛ ما معنى خَلَّة؟ يعني في طريق، أي خارج من طريق بين الشام والعراق، ((فعاثَ يمينًا، وعاثَ شَمالًا))؛ يعني إذ خَرَجَ عاث يمينًا وعاث شمالًا؛ أي أفسد فسادًا شديدًا في الأرض، ((ياعبادَاللهِ اثبُتوا))، ((**يا عباد الله اثبتوا**))، ((**يا عباد الله اثبتوا**))؛ أَمْرٌ بالثبات، وفي ذلك إشارةٌ إلى أنّ ممَّا يَقي المسلم من فتنة الدجال: أن يَثبُت على الإسلام.

وكيف يَثبت على الإسلام؟

يثبت على الإسلام بالعلم والعمل، فيتعلَّم ويَعمل، ويسأل الله أن يثبته على دينه؛ فإنّ القلوب بين أصبعَين من أصابع الرحمن يقلِّبها كيف يشاء، فلا يَغتر بعلمه، ولا يَغتر بعمله، وإنَّما يلجأ إلى ربه أيضًا: ((يا مقلب القلوب والأبصار، ثبِّت قلبي على دينك)).

قال النواس ﵁: "**قُلْنَا: يارَسُولَ اللهِ ومالبثُهُ في الأرضِ؟** – كم بقاؤه في الأرض؟–،**قَالَ**:((**أربعونَ يومًا،يومٌ كَسنةٍ، ويومٌ كَشَهْرٍ،ويومٌ كَجُمعةٍ،وسائرُأيَّامِهِ كأيَّامِكُم**))"، أربعون يومًا، يومٌ منها كسَنَة مِن أيامِنا على الحقيقة، ويومٌ كشهر –يمتد اليوم بطول الشهر وهو يوم–، ويومٌ كجمعة؛ يمتد اليوم بطول الأسبوع، وسائر أيامه كأيامكم.

انظروا يا إخوة؛ الكلام في أمرٍ مَهول عظيم؛ ماذا قال الصحابة؟ قال ﵁: "**قُلنا: يارسولَ اللهِ فذلِكَ اليومُ الَّذي كَسَنةٍ،أتَكْفينافيهِ صلاةُ يومٍ؟**" لا إله إلا الله! انظروا اهتمامهم بالصلاة، يخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم عن حال الدجال المهول فما ألهاهم عن الصلاة؛ قالوا: ذلك اليوم الذي كسَنَة أتكفينا فيه صلاة يوم؟! يعني نصلي خمس صلوات؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((**فاقدُروا لَهُ قدرَهُ**)) قال: لا، لا تكفيكم: **((فاقدُرواِلَهُقدرَهُ))ما معنى هذا؟**

يعني اُقدُروا الأيام– قدِّروها– أنّ هذا المقدار ليوم؛ فصلوا فيه خمس صلوات، ثم المقدار الثاني لليوم الثاني فصلوا فيه، حتى تنتهي السنة.

وأخذ الفقهاء من هذا فائدة: وهي أنّ المسلمين في البلدان التي لا تطلُع عليهم الشمس في بعض أيام السنة كبعض بلدان أوروبا؛ يقدِرون قَدْرَ اليوم؛ يعني لو فرضنا جاء رمضان ولا نهار، لا شمس، لا يَرون الشمس؛ **ماذا يفعلون؟** يَقدُرون اليوم.

كيف يَقدُرونه؟

قال الفقهاء: ينظرون إلى أقرب بلد لهم فيه نهار؛ فيُحسَب الوقت هكذا، هذا في الصيام وفي الصلاة كذلك في معرفة الأوقات.

"**قال**:((**اقدُروا لَهُ قدرَهُ**))،**قال:قُلنا يا رَسُولَ الله: فَمَاإسراعُهُ في الأرضِ؟**" هو سيمكث أربعين يوما وصَفْتها لنا؛ فما إسراعه في الأرض؟ الأرض كبيرة، فما إسراعه في الأرض؟ فقال صلى الله عليه وسلم: ((**كالغَيثِ استَدبرتهُ الرِّيح**))؛ يمضي سريعًا، ألا تنظرون إلى السُّحب إذا هاجت الريح كيف تمضي مسرعة؟ فكذلك هو.

قال صلى الله عليه وسلم: ((كالغَيْثِ استَدبرتهُ الرِّيح، فيأتي القومَ فيدعوهُم فيؤمنونَ بِهِ ويَستَجيبونَ لَهُ،فَيأمرُالسَّماءَ فتُمْطِرَ،ويأمرُالأرض فَتُنْبِتَ،فَتَروحُ عَليهم سَارِحتُهُم))، ما سارحتهم؟ أي ماشيتهم من الإبل والغنم والبقر،((أطولَ ماكَانتْ ذُرًى))سبحان الله!تأتي في المساء أطول ما كانت ذرًى؛ أي سنام، أي الإبل؛ في يوم واحد، ((وأسبغَهُ ضُروعًا))؛أي أطوله ضروعًا؛ لكثرة اللبن فيهافي يوم واحد، ((وأمدَّهُ خواصرَ))؛ أي يظهر عليها السِمَن في يوم واحد، انظروا الفتنة نعوذ بالله منها!

((ثمَّ يأتي القومَ فيدعوهم فيردُّونَ علَيهِ))؛ لا يؤمنون به، «فَيردُّونَ علَيهِ قولَهُ،فينصرِفُ عنهم فيُصبح ونَمُمحِلينَ- أي مُجدِبين-، ليس بِأيديهم شيءٌمن أموالهم)) تموت مواشيهم في يوم، نعوذ بالله من الفتنة! «يَمرَّبالخَربَةِ))؛ أي بالأرض الخراب وبالبيوت الخراب،((وَيمرَّبالخَربَةِفَيقولُ لَها: أخرِجي كُنوزَكِ-يأمرها- فتتبعُهُ كُنوزُها كيَعاسيبِ النَّحلِ-يعني كجماعة النحل-،ثُمّ يَدعورجلًا ممتلئًا شَبابًا، فيضربُهُ بالسَّيفِ فيقطعُهُ جزلتينِ-أي قِطعتَين، شِقّين-رَميةَالغَرضِ))؛ أي أنه يجعل جَزْلَةً في جهة وجَزْلَةً في جهة أخرى، وتكون المسافة بينهما مسافة الرمي -رمي السهم- بعد أن يقطعه، والعياذ بالله، ((ثُمَّ يَدعوهُ،فيقبلُ وَيتَهَلَّل وجهُهُ))؛ نعوذ بالله من الفتنة، نعوذ بالله من الفتنة، يقطعه نصفين ويجعل كلَّ نصف في شقٍّ بعيد فيَدعوه فيأتي يُقبِل يَتهلَّل وجهه «وَيَضحكُ،فبينَماهُوكذلِكَ،إذ بعثَ اللهُ عيسى ابنَ مريمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ،فينزلُ عندَالمَنارةِالبيضاءِ))، وسنتكلم عن هذا -إن شاء الله عز وجل- عند كلامنا على نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

♦وجاء في فتنته -أيضًا- عند مسلم عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فَيَتَوَجَّهُ قِبَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَتَلْقَاهُ الْمَسالِحُ، مَسالِحُ الدَّجَّالِ))؛ المسالح: هم الرِّجال الذين يَحمِلون السلاح، يرتِّبون الناس للدجال، ويَجمعون الناس للدجال، رجال الدجال -والعياذ بالله-، ((فيَقولونَ له: أيْنَ تَذْهَبُ؟ فيَقولُ: أعْمِدُ إلى هذا-أو أَعمُد إلى هذا- الذي خَرَجَ، قالَ:فيَقولونَ له: أوَ ما تُؤْمِنُ برَبِّنا؟))؛ قال هذا، وهم يقولون ربنا! **قالوا: أوَ ما تؤمن بربنا؟** ((فيَقولُ: ما برَبِّنا خَفاءٌ، فيَقولونَ: اقْتُلُوهُ-يرونه كافرًااقتلوه-،فيَقولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أليسقدْنَهاكُمْرَبُّكُمْ-أي الدجال-أنْ تَقْتُلُوا أحَدًا دُونَهُ، قالَ: فَيَنْطَلِقُونَ به إلى

الدَّجَّالِ، فإذا رَآهُ المُؤْمِنُ، قالَ: يا أَيُّها النَّاسُ هذا الدَّجَّالُ الذي ذَكَرَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، قالَ: فَيَأْمُرُ الدَّجَّالُ به فيُشَبَّحُ- أي يُمَدّ على بطنه، يأمر به فيُمَدّ على بطنه- فيَقولُ: خُذُوهُوشُجُّوهُ- أي: اجرَحوه في رأسه ووجهه- فيُوسَعُ ظَهْرُهُ وبَطْنُهُ ضَرْبًا- أي أنه يُمَدّ فيُضرَب ضربًا شديدًا- قالَ: فيَقولُ: أَوَماتُؤْمِنُبي؟ -بعد أن ضربه - قالَ: فيَقولُ: أَنْتَ المَسِيحُ الكَذّابُ،قالَ: فيُؤْمَرُ به فيُؤْشَرُ بالمِئْشارِمن مَفْرِقِهِ حتَّى يُفَرَّقَ بيْنَ رِجْلَيْهِ))؛ ولا بسكين ولا بآلة قاطعة وإنَّما بالمنشار، وأنتم تعلمون حال المنشارمن أعلى رأسه حتى يخرج المنشار من بين رجليه، ((قَالَ: ثُمّ يَمْشِي الدَّجَّالُ بيْنَ القِطْعَتَيْنِ ثُمَّ يقولُ له: قُمْ،فَيَسْتَوِي قائِمًا،قالَ: ثُمّ يَقولُ له: أَتُؤْمِنُبي؟فيَقولُ: مازْدَدْتُ فِيكَ إلَّا بَصِيرَةً -لا إله إلا الله!- قالَ: ثُمَّ يقولُ: ياأَيُّهاالنَّاسُ إنَّه لايَفْعَلُ بَعْدِي بأَحَدٍ))؛ يعني يقول: أيها الناس لا تخافوا منه؛ فإن الله لن يمكّنه من أحد بعدي أن يَفعَل به هذا، أمرٌ عظيم يا إخوة! فتنة عظيمة! يُنشَر بالمنشار، هذا العذاب الأليم، حتى يُفرق فلقتين، ثم يمشي الدجال بينهما، ثم يأمره أن يقوم فيقوم حيًّا! لا إله إلا الله! ولكنه الإيمان، ثبّتَه الله عز وجل، لكنه يُطمئِن مَن بعده من الناس: لا تخافوا فإنه لا يتمكَّن مِن فِعْل هذا، ((قالَ: فَيَأْخُذُهُ الدَّجَّالُ لِيَذْبَحَهُ -يريد الآن أن يذبحه- فيُجْعَلَ ما بيْنَ رَقَبَتِهِ إلى تَرْقُوَتِهِ نُحاسًا))؛يجعل الله -عز وجل- ما بين رقبته إلى ترقوته نحاسًا، فلا يستطيع أن يذبحه، يُصَدّ عن ذبحه، قال صلى الله عليه وسلم: ((فلا يَسْتَطِيعُ إلَيْهِ سَبِيلًا، قالَ: فَيَأْخُذُ بيَدَيْهِ ورِجْلَيْهِ فَيَقْذِفُ به، فَيَحْسِبُ النَّاسُ أنَّما قَذَفَهُ إلى النَّارِ، وإنَّما أُلْقِيَ في الجَنَّةِ فَقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: هذا أَعْظَمُ النَّاسِ شَهادَةً عِنْدَ رَبِّ العالَمِينَ)) ؛ هذه بعض الأحاديث في فتنته.

وغدًا -إن شاء الله- سنذكر بعض فتنته للأعراب، فإنه يفتن الأعراب، وسنذكر -إن شاء الله- كيف يَفتن الأعراب.

وسنذكر -إن شاء الله- الأحاديث المبيِّنة لحاله وما يقي منه -إن شاء الله- في أول درس غدٍ -إن شاء الله عز وجل-.

شرح كتاب
الفتن وأشراط الساعة
من صحيح مسلم

الدرس السابع عشر

أيها الإخوة؛ نحن -بحمد ربنا- نجتمع في هذا المكان المبارك على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ من كتاب الفتن من هذا الصحيح.

ونحن لا زلنا على عهدنا مع قول النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة: ((إنها لن تقوم حتى ترَون عشر آيات؛ فذكر: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام، ويأجوج ومأجوج، وخسوفات ثلاث: خسف بالمغرب، وخسف بالمشرق، وخسف بجزيرة العرب))، ثم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أنّ ((آخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن تَطرُد الناس إلى محشرهم)).

وكنا نتكلّم في المجلس الماضي عن علامة كبرى، ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم؛ وهي: خروج الدجال، ووقف بنا الكلام في الكلام عن فتنته، فذكرنا شيئًا من عظيم فتنته -عياذًا بالله منها- ونواصل اليوم الكلام عن هذا الأمر.

فعن فاطمة بنت قيس رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: "نادى مُنَادِي رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وسلم يُنَادِي:الصّلاَةَجَامِعَةً، فَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَصَلّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وسلم،فَكُنْتُ في صَفّ النّسَاءِ الّتِي تَلِي ظُهُورَالْقَوْمِ"؛ ومقصودها مِن ذِكْرِ هذا أن تبيِّن أنها سمعتْ ذلك تحقيقًا؛ لأنها كانت في أوّل صفِّ النساء، فكانت قريبة من مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قالت رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: "فَلَمّا قَضَى رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم صَلاَتَهُ ،جَلَسَ عَلَى الْمِنبَرِ وَهُوَيَضْحَكُ. فَقَالَ:((لِيَلْزَمْ كُلّ إِنْسَانٍ مُصَلاّهُ))، ثُمّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ؟» قَالُوا: اللّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ:((إِنّي وَاللّهِ مَاجَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلاَلِرَهْبَةٍ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ؛ لأَنّ تَمِيمًا الدّارِيّ كَانَ رَجُلاًنَصْرَانِيًّا ، فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ، وَحَدّثَنِي حَدِيثاًوَافَقَ الّذِي كُنْتُ أُحَدّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدّجّالِ.

حَدّثَنِي أَنّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيّةٍ مَعَ ثَلاَثِينَ رَجُلاً مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ -من قبيلتين- فَلَعِبَ بِهِمُ الْمَوْجُ شَهْراًفِي الْبَحْرِ،ثُمّ أَرْفَؤُواإِلَى جَزِيرَةٍفِي الْبَحْرِحَتّى مَغْرِبِ الشّمْسِ،فَجَلَسُوافِي أَقْرُبِ السّفِينَةِ. فَدَخَلُواالْجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْهُمْ دَابّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُالشّعَرِ» أهلب: يعني كثيرة الشعر، وقولهم: كثير الشعر؛ هذا تفسير ((لاَيَدْرُونَ مَاقُبُلُهُ مِنْ

دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِالشّعَرِ. فَقَالُوا: وَيْلَكِ مَاأَنْتِ؟فَقَالَتْ: أَنَاالْجَسّاسَةُ))؛ وسُميت بالجسَّاسة؛ لأنها تتجسس الأخبار للدجال، فهي تتجسس الأخبار للدجال؛ لأنّ الدجال -كما سيأتي- موثَق، فهي تَخرج وتتجسس الأخبار له؛ فسمِّيتْ بالجساسة.

((قَالُوا: وَمَاالْجَسّاسَةُ؟قَالَتْ: أَيّهَاالْقَوْمُ!انْطَلِقُواإِلَى هَذَاالرّجُلِ فِي الدّيْرِ))؛ والدَّيْر هنا المراد به: القصر؛ أي أنه في قصر.

((فَإِنّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالأَشْوَاقِ))؛ ومعنى هذا أنَّه أخبرها عن أنَّها ستصادف قومًا؛ ويكون قد علم هذا، أو أنه أمرها أنها إذا رأت أحدًا من البشر توصلهم إليه.

((قَالُوا: وَمَاالْجَسّاسَةُ؟قَالَتْ: أَيّهَاالْقَوْمُ!انْطَلِقُواإِلَى هَذَاالرّجُلِ فِي الدّيْرِ؛ فَإِنّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالأَشْوَاقِ، قَالَ: لَمّاسَمّتْ لَنَارَجُلاًفَرِقْنَامِنْهَا -خفنا- أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً.

قَالَ: فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا حَتّى دَخَلْنَا الدّيْرَ؛فَإِذَافِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطّ خَلْقًا -كما قلنا في المجلس الماضي: جسيم،كبيرالخِلقة-وَأَشَدّهُ وِثَاقًا، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ ، مَابَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ، قُلْنَا: وَيْلَكَ مَاأَنْتَ؟قَالَ: قَدْقَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِي))؛ أنا الآن بين أيديكم موثَق وستعرفون الخبر، ((فأخبروني ما أنتم؟ قالوا: نحن أناس من العرب رَكِبنا في سفينةٍ بحرية فصادفْنا البحر حين اغتلَم))؛ أي كانت هنالك أمواج شديدة، ((فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا، ثُمّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ، فَجَلَسْنَا فِي أَقْرُبِهَا، فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ،فَلَقِيَتْنَادَابّةٌأَهْلَبُ كَثِيرُ الشّعَرِ، لاَيُدْرَى مَاقُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِالشّعَرِ. فَقُلْنَا: وَيْلَكِ مَاأَنْتِ؟فَقَالَتْ: أَنَاالْجَسّاسَةُ. قُلْنَا: وَمَاالْجَسّاسَةُ؟قَالَتِ: اعْمِدُواإِلَى هَذَاالرّجُلِ فِي الدّيْرِ. فَإِنّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالأَشْوَاقِ. فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا. وَفَزِعْنَامِنْهَا،وَلَمْ نَأْمَنْأَنْ تَكُونَشَيْطَانَةً))؛ فأخبروه بكل ما وقع.

((فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ))؛ وبيسان قرية في الشام فيها نخل، ((فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ، قُلْنَا: عَنْ أَيّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا، هَلْ يُثْمِرُ؟ قُلْنَالَهُ: نَعَمْ. قَالَ: أَمَا إِنّهُ يُوشِكُ أَنْ لاَتُثْمِرَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطّبَرِيّةِ، قُلْنَا: عَنْ أَيّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ : هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟ قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ. قَالَ: أَمَا إِنّ

مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ. قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ))؛بلدة في الشام قليلة بالنسبة للشام، الشام معروف كثير النبات؛ لكنّ هذه البلدة قليلة النبات، فيها نبات، لكنها بالنسبة للشام قليلة النبات.((قَالُوا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِر؟ قَالَ: هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ؟ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِالْعَيْنِ؟ قُلْنَالَهُ: نَعَمْ. هِيَ كَثِيرَةُالْمَاءِ،وَأَهْلُهَايَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا. قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ مَافَعَلَ؟))؛ هو يقصد محمدًا صلى الله عليه وسلم؛ لأنّ أمة محمد صلى الله عليه وسلم أمّة أميَّة.

ومعنى كون أمة محمد صلى الله عليه وسلم أمَّة أميَّة أنها تأخذ بالظاهري، بالعلامات الظاهرة التي يشترك فيها الناس، فلا تأخذ بالحساب الفلكي الذي لا يَعرفه إلا المختصون، ولا تأخذ بعلوم أبَا جاد والأرقام واستخراج الأخبار منها، ولذلك يا إخوة! ليس هناك مناقضة بين كون أمة محمد صلى الله عليه وسلم أميّة وبين الحث على العلم في أمة محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأنه ليس المقصود بالأميّة بالنسبة للأمة عدم العلم، ولا عدم القراءة والكتابة؛ وإنَّما المقصود كما جاء تفسيره في الحديث: ((لا نَحسِب ولا نكتب))؛ لا نحسِب حساب الفلكيين، ولا نكتب كتابة أبا جاد، وإنَّما نأخذ بالظاهر، فيدخل الشهر بالهلال، فإن لم يكن فبالإكمال.

((قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ مَافَعَلَ؟قَالُوا: قَدْخَرَجَ مِنْ مَكَّةَوَنَزَلَ يَثْرِبَ. قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟قَالَ: فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْظَهَرَعَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ. قَالَ لَهُمْ: قَدْكَانَ ذَلِكَ؟قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: أَمَا إِنَّذَاكَ خَيْرٌلَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ. وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي: أَنَاالْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ. فَأَخْرُجُ فَأَسِيرُ فِي الْأَرْضِ، فَلاَأَدَعُ قَرْيَةً إِلاَّهَبَطْتُهَافِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً. غَيْرَمَكَّةَوَطَيْبَةَ. فَهُمَامُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَاأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً، أَوْ وَاحِدًامِنْهُمَا، اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًايَصُدُّنِي عَنْهَا. وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَامَلاَئِكَةً يَحْرُسُونَهَا)).

قَالَتْرَضِيَ اللهُ عَنْهَا: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم –وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِي الْمِنْبَرِ- :((هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ،هَذِهِ طَيْبَةُ))؛ أي ما أنتم فيه هذه المدينة هي طيبة التي لن يدخلها الدجال.

وقد مرّ معنا أنْ ذكرنا وجه هذه التسمية، وأنَّها من الطِّيب الذي هو الرائحة، أو من طِيب العَيش، أو من الطُّهر -يعني المدينة-، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((أَلاَ هَلْ كُنْتُ حَدّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟))، فَقَالَ النّاسُ: نَعَمْ".

انتبهوا -يا إخوة- هنا فائدة!:

أولا: النبي صلى الله عليه وسلم أقرّ تميمًا على ما حكى، وإقرار النبي صلى الله عليه وسلم حُجة؛ لأنّ بعض الناس يقول: هذا الخبر من خبر تميم، وليس من خبر الرسول صلى الله عليه وسلم، فأولًا نقول: النبي صلى الله عليه وسلم أقرّ تميما وحكى ما قاله، ولو كان ما قاله منكرًا لَمَا قاله النبي صلى الله عليه وسلم.

ثانيا: نقول: أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال في آخر الكلام: ((أَلاَ هَلْ كُنْتُ حَدّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟)) وهذا يرجع إلى الجميع، "قَالَ النّاسُ: نَعَمْ"، إذًا النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يأتي تميم ذَكَرَ لهم هذا الكلام، فحدَّثهم عنه، وفي هذا رَدٌّ على من يَرُدّ هذا الحديث، ويقول أنه ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم.

قال: ((فَإِنّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ أَنّهُ وَافَقَ الّذِي كُنْتُ أُحَدّثُكُمْ عَنْهُ وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكّةَ. أَلاَ إِنّهُ فِي بَحْرِ الشّامِ أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ))؛ يعني الدجال في بحر الشام أو بحر اليمن.

طيِّب؛ هنا **"أو"** للشك؛ يعني يمكن أن يكون في بحر الشام، ويمكن أن يكون في بحر اليمن.

قال بعض أهل العلم:

- إمّا أنّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يوحَ إليه بمكانه عينًا عند ذلك الكلام، وإنَّما أوحي له أنه إمَّا في بحر الشام أو بحر اليمن.
- أو بقصد الإبهام على السامع، يعني أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يَعلَم لكن قَصَدَ الإبهام على السامع؛ لكي يَلتفتَ إليه السامع.

قال صلى الله عليه وسلم: ((أَلاَ إِنّهُ فِي بَحْرِ الشّامِ أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ، بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ)) إذًا؛ أَضْرَب عن التخيير وحدَّد ((بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ)).

- فإمّا -على الرأي الأوّل- أنه أوحيَ إليه في مقامه تحديد المكان، وأنه من جهة المشرق.

◆ وإما أنه بعد أن أَبْهَم بيّن لفائدة في مقامه.

قال: ((مَاهُوَمِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ،مَاهُومِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ))، الذين لا يفهمون أسرار العربية يَقِفون عند هذه الجملة وَقفةَ حَيرة؛ لأنه صلى الله عليه وسلم قال: ((بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ))جزَم! **ثم ماذا قال؟**((مَاهُوَمِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ،مَاهُومِنْ قِبَلِ الْمَشْرِق))؛ فيظنون أنه أَثْبَت ثم نفى! وليس الأمر كذلك؛ بل هذه **"الميم"** عند العرب زائدة لتأكيد الإثبات، وليست نافية، لم يَنفِ النبي صلى الله عليه وسلم، وإنَّما الميم هذه **(ما)** زائدة، **لماذا؟**

ليتأكد الإثبات ((مَاهُوَمِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ،مَاهُومِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ))؛ أي: هو مِن قِبَل المشرق، هو من قِبَل المشرق.

"وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ"،قَالَتْ: "فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم".

وبه نعلم أنّ الله أعطاه خوارق يَفتن بها الناس، فإنه أخبر عن أشياء تقع، لم تقع عندما تكلموا معه لكنه أخبر أنها ستقع.

وتعظم فتنته -والعياذ بالله- **للنساء**؛ فإنّ النساء أسرع تأثرًا بالخوارق، ولذلك أكثر من يصدِّق الدجالين النساء، فإنّ المرأة إذا ذهبتْ للدجال -مثلًا- فقال لها: أنتِ أمُّك فلانة، لو جئتَها -إلا أن يشاء الله- بالقرآن يبيِّن أنّ هذا دجال ما تُصدِّق! وهذا هو السر في التفريق بين زيارة النساء والرجال في زيارة القبور؛ أنّ المرأة سريعة الفتنة؛ فقد تُفتن بالقبر، وقد تُفتن عند القبر، وقد تُفتن برؤية القبر.

◆ **فقد تُفتن بالقبر**: فتتعلَّق بالقبر وتُعلِّق أمورها بالقبر.

◆ **وقد تُفتن عند القبر**: بأن تجد صاحب فتنة؛ فتقع سريعًا في حبائله.

◆ **وقد تُفتن بما في القبر**: أي أنها يتجدَّد حزنها؛ فقد تعود إلى النياحة والندب ونحو ذلك؛ كما هو مشاهد في مقابر المسلمين، فإنك تجد أنّ المرأة مثلًا فيما يسمى بالأسبوع

؛إذا ذهبوا إلى القبر ومعهم النساء بدأ النساء يلطمن، وفي الأربعين تجد أنّ الرجال قد يتحدثون حديثًا معتادًا، وأمّا النساء تجد الواحدة تلطم وتشق وتحثو التراب، وكذلك في الحولية، فالمرأة سريعة التأثر بالفتنة.

وقد جاء عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((يَنْزِلُ الدَّجَّالُ فِي هَذِهِ السَّبَخَةِ))؛ أي في الجُرْف؛ خلف أحد، قال: ((فَيَكُونُ أَكْثَرَ مَنْ يَخْرُجُ إِلَيْهِ النِّسَاءُ)) من المدينة؛ لأنه هو لا يدخل المدينة، لكن يَخرج إليه بعض مَن في المدينة، وأكثر من يخرج هم من النساء، قال: ((حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ يَرْجِعُ إِلَى حَمِيمِهِ وَإِلَى أُمِّهِ وَابْنَتِهِ وَأُخْتِهِ وَعَمَّتِهِ فَيُوثِقُهَا مَخَافَةَ أَنْ تَخْرُجَ إِلَيْهِ))؛ يعني حتى أنّ الرجل يرجع إلى بيته فيَربط زوجته رباطًا وثيقًا، ويربط أمه رباطًا وثيقًا، ويربط أخواته رباطًا وثيقًا، ويربط عمته، وخالته.. وهكذا سائر نسائه؛ **لماذا؟** مخافة أن يَخرجن إليه. رواه الإمام أحمد في المسند، وصححه الشيخ أحمد شاكر.

ويَفتن الأعراب أيضًا؛ فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إنّ من فتنته أن يقول للأعرابي: أرأيت إن بعثتُ لكَ أباك وأمك أتشهد أني ربك؟))، يقول له: أرأيتَ لو بعثتُ لك أباك وأمك من القبر؛ أتشهد أني ربك؟ ((فيقول: نعم))، إن أخرجتَ أبي من القبر أشهد لك بهذا، قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((فيتمثَّل له شيطانان في صورة أبيه وأمه فيقولان: يا بني اتْبَعه فإنَّه ربك))، رواه ابن ماجه وصححه الألباني، فالدجال معه أعوان من شياطين الإنس والجن.

◈ **ويتبعه اليهود**؛ لأنّ اليهود عبّاد المال، وهو صاحب أموال تتبعه الكنوز؛ كالنحل -كما تقدَّم معنا-، فعند مسلم عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((يتْبَع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفًا))؛ هذا بعض ما ورد في فتنته.

بقي معنا: **ما الذي يقي من فتنته -بإذن الله عز وجل-؟**

دلت الأدلة على أمورٍ تقي -بإذن الله- من فتنته:

١- الأمر الأوّل: التمسك بالإسلام والثبات على الإسلام.

والثبات على الإسلام -كما قدمنا سابقًا- يكون: بالعلم، والعمل، وبسؤال الله -من قبل ومن بعد- التثبيت، وأن يطابق الباطن الظاهر.

وهذه قضية مهمة ينبغي أن يراعيها العبد؛ أن يكون باطنه مطابقًا لظاهره، فإنّ هذا معنى الثبات. ولذلك جاء في سوء الخاتمة: ((وإنّ الرجل ليَعمل بعمل أهل الجنة -فيما يظهر للناس- حتى إذا لم يبقَ بينه وبينها إلا ذراع؛ سبق عليه الكتاب فعمل بعمل أهل النار)).

لاحظوا يا إخوة!((**فيما يظهر للناس**))؛ فالباطن لا يوافق الظاهر، فمن الثبات على الدين: أن يحرص المسلم دائمًا على أن يكون باطنه موافقا لظاهره.

إذًا عندنا أربعة أمور:

- الحرص على موافقة الباطن الظاهر.
- العلم.
- العمل.
- سؤال الله -عز وجل- التثبيت.

ودليل هذا الأمر أنه يقي من الفتنة: النبي صلى الله عليه وسلم عندما ذكر فتنة الدجال ماذا قال؟ قال: ((أيُها النَّاس أُثبتُوا))، كما مرّ معنا بالأمس في المجلس السابق.

٢- والأمر الثاني: حفظ عشر آيات من سورة الكهف.

فعن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من حفظ عشر آيات من أوّل سورة الكهف عُصِمَ من الدجال)) رواه مسلم.

وعن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عُصِمَ من فتنة الدجال)) رواه مسلم.

قال بعض أهل العلم: معنى هذا: أن يجمع بينها؛ فيحفظ العشر الأُوَل ويحفظ العشر الأُخَر.

وقال بعضهم: معنى هذا: أنّ الحفظ حاصلٌ بواحدة منهما، فمَن حَفِظَ العشر الأُوَل تحقَّق له الوعد -إن شاء الله-، ومَن حَفِظَ العشر الأُخَر تحقَّق له الوعد إن شاء الله. وهذا قولٌ وَجِيه.

٣- الأمر الثالث:اللُّجوء إلى المدينة، والحرص على سكنى المدينة.

فعن أنس بن مالك ﵁ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ، إِلَّامَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ))، لكن تُخَصُّ المدينة؛ لأنه ثبت أنّ الإيمان يأرِز إليها في آخر الزمان، وأنّ فيها خيار خلق الله، مع ما تقدَّم، لا يكفي اللجوء إلى المدينة مع الفساد، الذي في المدينة ولا يصلي لا خير له في البقاء في المدينة، بل لا يجوز -على ما نختاره- أن يبقى في المدينة، أعني الحرم، وإن كانت المدينة الآن أوسع من الحرم.

والمبتدع ليس من أهل الحق في المدينة؛ لأنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من أَحدَث فيها حَدَثًا أو آوى فيها محدِثًا؛ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً)).

ويدل على ذلك ما جاء أيضًا عن أنس بن مالك قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((يجيء الدجال، حتى ينزل في ناحية المدينة -يعني خلف أُحد- ثم تَرجُف المدينة ثلاث رَجَفات؛ فيَخرج إليه كلُّ كافر ومنافق))، هو في المدينة لكن ما نفعه، فيخرج إليه كل كافر ومنافق.

٤- الأمر الرابع: البُعد عنه.

وهذا أصل في الفتن يا إخوة قررناه سابقًا؛ وهو: أنّ السلامة من الفتنة يكون بالبعد عنها، وأنّ الإنسان كلما اقترب من الفتنة كان معرَّضًا لأن تحرقه نارها ولو ظَنّ أنه بعيد، بعض الناس يظن أنه بعيد عن الفتنة، ليس من

أهلها، فيتساهل، فيسمع لأهل الفتنة؛ فيقع في الفتنة. بعض الناس يظن أنه بعيد عن الفتنة بعلمه؛ فلا يحذر؛ فيقع في الفتنة.

وقد سبق أن ذكرنا أنّ الأحاديث تدلُّ على أنّ الناس في الفتنة أقسام:

- **منهم المُستبين**؛ الذي تظهر له الفتنة فيكون بعيدا عنها، تظهر له في إقبالها وليس في إدبارها؛ لأنَّها في إدبارها تظهر لكثير من الناس، أمّا في إقبالها فإنَّما تظهر لأهل البصيرة، فهذا المستبين يبتعد عن الفتنة بعدًا كاملًا.
- وأمّا غيره فيقترب منها؛ فيكون عُرضة لأن يقع فيها، ولذلك جاء في الحديث: «النائم فيها خيرٌ من اليقظان -وفي رواية: ((خير من المضطجع))- والمضطجع خيرٌ من القاعد، والقاعد خيرٌ من القائم، والقائم خيرٌ من الماشي، والماشي خيرٌ من الساعي)).

وسبق أن ذكرنا -يا إخوة- أنّ النائم لا يدري عن الفتنة؛ لكنها في قلبه، في قلبه بواعث الفتنة، لم يسلم القلب، فهذا نائم.

والنائم خير من المضطجع، والمضطجع: هو الذي في قلبه شيء من أثر الفتنة، ولكنه مضطجع فيسمع، تصله الأقوال. والقاعد مع السماع يرى؛ فيكون عُرضة لأن يسقط في الفتنة.

والقائم مع السماع يرى أكثر؛ فيكون عُرضة لأن يقع في الفتنة.

وكما قلنا مرارًا: الفتنة سُميت فتنة لأنها تتزين عند إقبالها، فهي مثل الشيطان يُقبِل متزينًا ويُدبر متبرئًا، إذا جاء للإنسان ليغويه أقبل إليه متزينًا إليه ومزيِّنًا له؛ فإذا وقع أدبر، وقد يُندِّم الإنسان لا مِن أجل أن يتوب، ولكن من أجل أن يطفئ بمصيبة أعظم!

فالشاهد؛ أنّ القائم أقرب، والقائم خيرٌ من الماشي، سبق قلنا أنّ الماشي هو الذي يمشي إلى الفتنة مترددًا، وبعض أهل العلم يقول: الماشي إلى الفتنة المقصود به مَن يمشي في الفتنة لغير الفتنة؛ تجارة، يبيع أشرطة، هو

ليس من أهل الفتنة، لكن الأشرطة تمشي، تأتي بأرباح؛ فيمشي فيها لهذا الأمر؛ فيكون عُرضة للوقوع، والماشي خير من الساعي الذي يمشي إليها مسرعًا.

المقصود -أيها الإخوة- أنّ العلماء قالوا: أنّ النبي صلى الله عليه وسلم يُحذِّر من كلِّ هذه الأقسام إلا المستبين؛ لم يرِد في الحديث؛ **لماذا؟** لأنّ الإنسان إذا اقترب من الفتنة بأيّ أنواع الاقتراب كان عُرضة لأن يقع فيها.

ففتنة الدجال مما يقي منها -بإذن الله-: أن يبتعد الإنسان عنها؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَن سَمِعَ بالدجال فلينأ عنه، فوالله إنّ الرجل ليأتيه وهو يَحسِب أنه مؤمن فيتَّبعه؛ مما بُعِثَ به من الشبهات)).

((من سمع بالدجال فلينأ عنه -يعني فليُبعِد عنه- فوالله إنّ الرجل ليأتيه وهو يحسِب أنه مؤمن فيتَّبعه؛ مما بُعِث به من الشبهات)) رواه أبو داود والإمام أحمد، وصححه الألباني.

٥- من الأمور التي تقي من فتنته -بحول الله-:الاستعاذة الصادقة من الفتنة.

الاستعاذة الصادقة من الفتن سببٌ للسلامة، لكنها ليست استعاذة الكذابِين؛ الذي يقول أعوذ بالله من الفتنة ويغمس نفسه فيها؛ بعض الناس من جهله قد يقول: أعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن؛ وهو يَغمِس نفسه في الفتنة غمسًا؛ هذا لا تنفعه الاستعاذة؛ هذه استعاذة الكذَّابين، هي كتوبة الكذَّابِين، وكاستغفار الكذَّابِين.

تجد بعض الناس يَمصُّ السيجارة -مثلًا-، فتقول له: يا أخي، اتق الله هذا يُغضِب الله، فيقول: أستغفر الله؛ فيمص الثانية! هذا مثال لِما يذكره شيخ الإسلام ابن القيم رَحِمَهُ الله من أنها توبة الكذَّابِين.

فاستعاذة الكذَّابين لا تنفع، وإنما الذي ينفع -بفضل الله- الاستعاذة الصادقة؛ أن يعلم الله منك أنك تُبغِض الفتنة، وتَحذَر الفتنة، وتسال من قلبٍ صادق أن يُسلِّمك الله من الفتنة، وأن يصدِّق ذلك العمل، فهذه الاستعاذة.

وهذا أصل –يا إخوة– في الدعاء، لابد أن يكون الدعاء من القلب صادقًا، أمّا إذا لم يكن من القلب؛ فهذا ليس بنافع، دعاء اللسان لا ينفع، الذي يأتي يقول: اللهم اهدنا، اللهم اهدانا، اللهم اهدنا، ولم يستشعر في قلبه هذا السؤال العظيم؛ ما ينفعه، ولابد أن يكون الدعاء عن تحقيق، يقين، أمّا الذي يدعو يُجرِّب؛ ما ينفعه.

ولذلك؛ الداعي الصادق يصبر، لا يعجل، يَستمر، لا يقول: دعوتُ دعوتُ لم يُستجَب لي!

فالشاهد؛ أنّ الاستعاذة لابد أن تكون من صِدْق.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إذا تشهّد أحدكم فليَستعِذ بالله من أربع؛ يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال)) رواه مسلم. وكان النبي صلى الله عليه وسلميستعيذ بالله من هذه الأربع، كما ثبت في الصحيحين.

شرح كتاب

الفتن وأشراط الساعة

من صحيح مسلم

◈◈◈

الدرس الثامن عشر

باب في الآيات التي تكون قبل الساعة: الدابة

وأمّا العلامة الثالثة التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم فهي: الدابة، وما أدراك ما الدابة؟

الدابة المذكورة في هذا الحديث؛ هي الدابة المذكورة في قول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾[النمل: ٨٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "**هذه الدابة تخرج في آخر الزمان، عند فساد الناس، وتركهم أوامر الله، وتبديلهم الدين الحق، يُخرج الله لهم دابة من الأرض، قيل من مكة وقيل من غيرها**".

وقوله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾.

﴿وَقَعَ﴾:بمعنى وَجَب.

و﴿الْقَوْلُ﴾:

- **قال بعض أهل العلم**: هوالعذاب؛ يعني إذا وَجَبَ عليهم العذاب؛ استحقوا العذاب.
- **وقال بعض العلماء**: هو الغضب؛ فاستحقوا الغضب من الله.
- **وقال بعض العلماء**: هو الحُجّة المستبينة، ومِن هذه الحُجج: ما يَسبق الدابة من علامات الساعة؛ كخروج الدجال، ونزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ومتى يكون ذلك؟ متى يستحقون الغضب أو العذاب؟

- **قال بعض أهل العلم**:"**إذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**"؛ هذا قاله ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وجاء ما يؤيِّده في حديث: ((**أنه يكون في آخر الزمان أَمْثَلُ الناس مَن إذا رأى الرجل وَقع على امرأة في الطريق قال: لو واراها خلف الجدار**)) نعوذ بالله، كما سيأتينا -إن شاء الله- أنه في آخر الزمان يتهارَج الناس كما تتهارج الحُمُر؛ يعني يجامع الرجل المرأة في قارعة الطريق كالحمير، وإذ ذاك يكون أَمْثَلُ الناس -أحسنهم- الذي يقول: لو واراها خلف الحائط، لا ينكر هذا المنكر العظيم؛ لكن فقط أنَّها في الشارع! والعياذ بالله، فإذ ذاك يستحقون الغضب.

♦**وقال بعض أهل العلم**: إذا لم يُرجَ صلاحهم؛ يعني استبانتْ لهم الآيات فلم يؤمنوا ولم يَظهر فيهم الخير.

والدابة تَخرج ضحىً، في وقت الضحى؛ كما ثبت في حديث البخاري، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

وأخرج الإمام أحمد عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((**تخرج الدابة فتَسِمُ على خراطيمهم** - أي تَسِم الكفار على خراطيمهم- **ثم يُعمَّرون فيكم** -يعني لا يموتون مباشرة- **حتى يشتري الرجل الدابة فيُقال: ممَّن اشتريتها؟ فيقول: من الرجل المخَّطم**)) تُصبح علامة؛ حتى يشتري الرجل الدابة فيقال له: اشتريتها ممن؟ يقول: من الرجل المخطَّم. هذا الحديث رواه الإمام أحمد، وصححه الألباني.

وروى ابن ماجه والترمذي والإمام أحمد عن أبي هريرة أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((**تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان ، وعصا موسى بن عمران عليهما السلام، فتَجلو وجه المؤمن بالعصا، وتَخطِم أنف الكافر بالخاتم، حتى أنّ اهل الخُوان لَيَجتَمِعون، فيقول هذا: يا مؤمن، ويقول هذا: يا كافر**))، صحّحه الشيخ أحمد شاكر، وضعّفه الشيخ ناصر الألباني.

وقوله في الحديث: ((**فتَجلو وجه المؤمن**))؛ أي تُبيِّض وجه المؤمن.

و((**أهل الخُوان**)): أي ما يوضَع عليه الطعام عند الأكل.

((**يجتمعون**)) يعني على الطعام، وهذا مخطوم وهذا مجلّى، فيقول المخطوم للمجلى: يا مؤمن، ويقول ذاك له: يا كافر.

أمّا مكان خروجها؛ من أين تخرج؟

♦فقد روى ابن ماجه عن بريدة قال: ذهب بي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى موضعٍ بالبادية، قريب من مكة، فإذا أرضٌ يابسة حولها رمل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**تخرج الدابة من هذا الموضع**»،

إذًا على هذا؛ أنها تخرج من مكان بقرب مكة. قال الإمام البخاري: "**فيه نظر**" -يعني الحديث-، وقال الإمام الألباني: "**ضعيف جدا**"؛ فلا يصح أن يُستَند إليه.

♦وروى ابن جرير عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "**تخرج الدابة من صَدْعٍ في الصفا، كجَرْيِ الفَرَسِ ثلاثة أيام وما خرج ثلثها**".

"**صَدْعٍ**"؛ أي شق في جبل الصفا.

"**كجري الفرس**" أي مسرعة، ثلاثة أيام وهي تخرج مسرعة.

قال: "**وما خرج ثلثها**": وعلى هذا فهي عظيمة جدًا؛ لكنّ الأثر ضعيف.

وروى ابن جرير -أيضًا- عن حذيفة في قوله: ﴿ **أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ**﴾؛ قال: "**للدابة ثلاثة خَرَجات: خَرْجَةٍ في بعض البوادي؛ ثم تَكْمُن، وخرجةٍ في بعض القرى حين يُهرِيق الأمراء الدماء؛ ثم تكمن، فبينما الناس عند أشرف المساجد وأعظمها وأفضلها -الذي هو المسجد الحرام- إذ ارتفعتْ بهم الأرض؛ فانطلق الناس هِرابًا، وتبقى طائفة من المؤمنين ويقولون: إنه لا يُنجِينا من الله شيء، فتَخرج عليهم الدابة تجلو وجوههم مثل الكوكب الدريّ، ثم تنطلق، فلا يدركها طالب، ولا ينجو منها هارب**"، وهذا أيضًا ضعيف.

ورى ابن جرير -أيضًا- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: "**أنها تخرج في عَقِبِ رَكْبٍ من الحاج**"؛ يعني خلف مجموعة من الحجاج، وهذا ضعيف.

ورُوِيَ مرفوعًا: ((تخرج الدابة من أجياد)) أجياد تعرفونه؛ مكان في مكة «تخرج الدابة من أجياد، فيبلغ صدرها الركن اليمانيّ، ولمّا يخرج ذنبها بَعْد، وهي دابة ذات وبر وقوائم» قال الألباني: ضعيف.

إذًا؛ لم يصح في تحديد مكانها أثرٌ يُعتمَد عليه، وما يُذكَر من تحديد مكان خروجها في كتب التفسير أو في كتب شروح الأحاديث لا يُركَن إليه.

نحن نؤمن أنها ستَخرج، وأمّا مكان خروجها فلم يُخبِرنا الله عز وجل به، فنكِلُ ذلك الأمر إلى الله. وأوردتُ ما ذكروه من أجل أن نَتبيَّن هذا.

إذا كان ذلك كذلك؛ **فما عمل الدابة؟ ما الذي تعمله الدابة؟**

اختلف القرَّاء في قراءة الآية في قوله:﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾

◈فقرأ عامة القراء: "تُكلِّمُهم" أي تُخبرهم و تحدّثهم.

◈وقرأ أبو زرعة بن عمرو: "تَكْلَمُهم" أي تَسِمُهم وتُعَلِّمُهم؛ تضع عليهم علامة.

♦قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "**فتكلَّم الناس في ذلك**".

♦قال ابن عباس والحسن وقتادة -ورُوي عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: "**تُكلِّمهم كلامًا؛ أي تخاطبهم مخاطبة**".

♦وقال ابن عباس -في رواية-: "**تَجْرَحُهم**"؛ يعني لا تُكلِّمهم مخاطبةً؛ وإنما تجرحهم.

♦وجاء عنه في رواية قال: "**كلّا تَفعل**"؛ أي تُكلِّمهم وتَسِمُهم.

♦قال ابن كثير: "**وهو قول حسن، ولا منافاة**"، ما دام أنها قراءتان، ويمكن العمل بالمعنيَين؛ فلا منافاة، فهي تكلِّمهم وتخاطبهم وأيضًا تَسِمُهم.

وفيمَ تكلمهم؟ ماذا تقول لهم؟

♦**قال بعض العلماء**: تقول لهم: ﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾؛ ومن آيات الله: خروج الدابة؛ أنهم كانوا لا يصدّقون بها.

وبهذا -يا إخوة-: بيان خطورة رَدِّ الأحاديث التي جاءت في علامات الساعة.

♦**وقال بعض أهل العلم**: تكلمهم ببطلان الأديان سوى الإسلام؛ فتقول: كلُّ دين باطل سوى الإسلام.

♦**وقال بعض أهل العلم**: تكلِّمهم بما يَسوؤهم؛ ومعنى هذا أنها تكلِّم الكفار؛ تكلِّمهم بما يسوؤهم.

◈**وللمفسرين -يا إخوة- كلام كثير في الدابة:**

- فقيل: إن طولها ستون ذراعًا.
- ورُوي أنّ رأسها يبلغ السحاب

- وقيل: إنّ ما بين قرنَيها فرسخ للراكب.
- قيل: لها أربع قوائم، وزغب وريش وجناحان -وهذا غريب-، وليس هذا في العادة.
- وقيل: لها ريش وزغب وحافر وما لها ذنب؛ بل لها لحية.
- قيل: -وهذا من أعجب ما قيل-، ذكره ابن جريج عن أبي الزبير-: إنّ رأسها رأس ثور، وعينها عين خنزير، وأذنها أذن فيل، وقرنها قرن أيِّل،وعنقها عنق نعامة، وصدرها صدر أسد، ولونها لون نمر، وخاصرتها خاصرة هرّ، وذنبها ذنب كبش، وقوائمها قوائم بعير، بين كلِّ مفصلَين اثنى عشر ذراعًا، تخرج معها عصا موسى وخاتم سليمان.

قال في تحفة الأحوذي: **"واعلم؛ أنه لا دلالة في الكتاب على شيءٍ من هذا، فإن صح الخبر فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قُبِل وإلا لم يُلتفَت إليه"**، قلتُ: لم يصح في وصف الدابة خَبَرٌ ولا أَثَرٌ.

وعليه؛ فيا قارئ، يا طالب العلم، لا تلتفتْ لِمَا ذكره المفسرون وشُرَّاح الحديث -على مختلف طبقاتهم- في مسألة وصف الدابة، فإنه أمرٌ غيبي لا يجوز القول فيه إلا بنقل، ولم يثبت في ذلك نقلٌ.

خلاصة الباب: أنَّا نؤمن بالدابة، وأنها ستخرج، وأنها تكلِّم الناس، وأنها تَسِم الناس، وأنها قريبة من طلوع الشمس من مغربها، وبالتالي هي علامة على قُرْبِ إغلاق باب التوبة.

شرح كتاب
الفتن وأشراط الساعة
من صحيح مسلم

◈◈◈

الدرس التاسع عشر

باب في الآيات التي تكون قبل الساعة:

طلوع الشمس من مغربها

إذن؛ ذكرنا: الدخان، والدجال، والدابة.

أمّا الآية الرابعة؛ فهي: طلوع الشمس من مغربها، قال الله -عز وجل-: (هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ)[الأنعام: ١٥٨]، قال ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ: "يقول -تعالى ذكره-: يوم يأتي بعض آيات ربك ؛ لا ينفع من كان قبل ذلك مشركًا بالله أن يؤمن بعد مجيء تلك الآية".

- وقيل إنّ تلك الآية التي أخبر الله -عز وجل- عنها: هي طلوع الشمس من مغربها؛ وعليه الأكثر من العلماء.

١. وقيل: إنها واحدة من ثلاث: الدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها.

أمّا الدابة وطلوع الشمس من مغربها؛ فالأمر فيها قريب؛ لأنهما قريبتان جدًا، لكنّ الدجال مشكِل؛ لأنّ الدجال يَخرج قبل غَلْق باب التوبة ويُسلِم بعض الناس، وقد ورد في حديث صحيح أنّ هذه الآيات الثلاث إذا خرجتْ لم ينفع الإيمان، لكنّ الدجال ذُكر في بعض الروايات، وذُكر في الروايات الأخرى الدخان، ولذلك بعض أهل العلم يقول: (إن ذكر الدجال في هذا الحديث -وإن كان صحيح الإسناد- لا يثبت؛ من جهة أنه تارة يُذكَر الدجال وتارة يُذكَر الدخان، والدخان من حيث المعنى أقرب في إغلاق باب التوبة).

٢. وقيل -قول ثالث-: وهي أنّ هذه الآية المذكورة هي أُولى الآيات الكبرى؛ فأوّل آية من الآيات الكبرى يُغلَق معها باب التوبة.

ثلاثة أقوال لأهل العلم.

لكن ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ قال: "وأولى الأقوال بالصواب في ذلك: ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ذلك حين تطلع الشمس من مغربها».

روى البخاري ومسلم في تفسير هذه الآية، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن مَن عليها، فذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل))؛ وهذا نص صريح في التفسير في الصحيحين.

وروى البخاري عن أبي ذر رضي الله عنه قال: "قال النبي صلى الله عليه وسلم لي حين غربت الشمس: ((تدري أين تذهب؟)) قلت: الله ورسوله أعلم". والشمس تذهب، وربِّ الكعبة تذهب، قال: ((فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذَن لها، ويوشك أن تسجد فلا يُقبَل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، يقال لها: ارجعي من حيث جئتِ؛ فتطلع من مغربها؛ فذلك قول الله -عز وجل-:﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾))وهذا عند البخاري في الصحيح.

وروى مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال يومًا: ((أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟))هذا خطاب للصحابة ويتبعهم المؤمنون؛ ((أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟)) قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ((إنّ هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتخِرَّ ساجدة، فلا تزال كذلك حتى يقال لها: ارجعي حيث جئتِ، فترجع، فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري حتى تنتهي لمستقرها تحت العرش، فتخرِّ ساجدة، ولا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي ارجعي من حيث جئتِ، فترجع، فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري؛ لا يَستنكر الناس منها شيئًا، حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش فيقال لها: ارتفعي، أصبحي طالعةً من مغربك، فتصبح طالعة من مغربه))فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أتدرون متى ذاكم؟ ذاك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قَبل)).

وروى البخاري ومسلم أنّ أبا هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن مَن عليها، فذاك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قَبل)).

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة -رفعه-: ((من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها؛ تاب الله عليه))، وهذا نص؛ أنه من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها قُبِلت توبتُه».

ولأبي داود والنسائي من حديث معاوية -رفعه-: ((لا تزال تُقبَل التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها))، قال الحافظ: وسنده جيد.

وساق الحافظ عددا من الآثار؛ ثم قال: "فهذه الآثار يشد بعضها بعضًا متّفقةٌ على أنّ الشمس إذا طلعت من المغرب أُغلق باب التوبة ولم يُفتَح بعد ذلك، وأنّ ذلك لا يختص بيوم الطلوع بل يمتد إلى يوم القيامة". فإذا طلعت الشمس من مغربها أُغلق باب التوبة.

وروى الإمام أحمد أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إنّ الهجرة خَصلتان))-واسمعوا يا إخوة- قال: ((إنّ الهجرة خَصلتان: تَهجُر السيئات))هذه هجرة ((والأخرى: تهاجِر إلى الله ورسوله، ولا تنقطع ما تُقبِّلت التوبة، ولا تزال التوبة تُقبَل حتى تطلع الشمس من مغربها))، قال ابن كثير : "هذا الحديث حسن الإسناد، ولم يُخرِّجه أحدٌ من أصحاب الكتب الستة".

قال العلماء: لماذا يغلق باب التوبة عند طلوع الشمس من مغربها؟

قالوا: "لأنه إذا طلعت الشمس من مغربها انقطعت الآمال، وماتت الشهوات، وسقطت الرغبات، فأصبح الأمر كمعاينة الممات، ولا يُقبل التوبة عند معاينة الممات".

كأن العلماء يقولون: معاينة الممات تكون بأحد أمرين: خاصة وعامة.

١. **أما الخاصة**: فهي بغرغرة الإنسان؛ لأنّ الإنسان لا يزال يرجو الحياة ما لم يغرغر؛ فإذا غرغر عَلِمَ أنّ الأمر انتهى؛ فإذ ذاك لا تُقبل التوبة.

٢. **والعام**: إذا طلعت الشمس من المغرب، فإذا طلعت الشمس من المغرب عَلِمَ الإنسان أنه لم يبقَ في الدنيا شيء؛ فيكون عايَن الممات؛ فلا تُقبل منه التوبة.

وهي كما قلنا: تخرج قريبًا من خروج الدابة، كما روى مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إنّ أوّل الآيات خروجًا: طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة ضحى، فأيتهما كانت قبل صاحبتها؛ فالأخرى على إثرها))يعني هما متقاربتان. وطبعًا -أنا أذكِّر الإخوة- أنّا شرحنا الأَولوية فيما مضى من الدروس وبيّنا الترتيب بالنسبة لكلمة «الأولى».

قال العلماء: الحكمة في اقتران طلوع الشمس من المغرب وظهور الدابة: أنّ الشمس إذا طلعت من المغرب لم يبقَ بابٌ للإيمان ولا للتوبة؛ أُنسُدّ الباب، فتأتي الدابة لِتُعلِّم الناس؛ هذا مؤمن وهذا كافر؛ فناسَب اقترانهما.

طلوع الشمس ينسدُّ به باب التوبة؛ فتأتي الدابة فتُعلِّم الناس بحسب أحوالهم؛ تَسِمُ الناس بحسب أحوالهم.

هذا أهمُّ ما يورده العلماء في مسألة الدابة.

شرح كتاب

الفتن وأشراط الساعة

من صحيح مسلم

◈◈◈

الدرس العشرون

باب في الآيات التي تكون قبل الساعة:

نزول عيسى بن مريم عليه السلام

ونحن بحمد الله نقرأ من صحيح الإمام مسلم -رحمه الله عز وجل رحمةً واسعة وأعلى درجته في الجنة، ورحم سائر علماء المسلمين- من كتاب الفتن من هذا الصحيح. وكنا في المجلس السابق نتكلم عن الحديث الذي أورده الإمام مسلم في بيان أشراط الساعة، حيث أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه لن تقوم الساعة حتى نرى عشر آيات؛ فذكر منها: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج يأجوج ومأجوج، ونزول عيسى بن مريم -صلى الله عليه وسلم-، وثلاث خسوفاتٍ: خسف بالمغرب، وخسف بالمشرق، وخسف بجزيرة العرب، ونارٌ تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم.

وكنا بحمد الله قد تكلمنا عن آية الدخان، وعن آية ظهور الدجال، وعن آية الدابة، وعن آية طلوع الشمس من مغربها.

واليوم-إن شاء الله عز وجل- نتكلم عن نزول عيسى بن مريم عليه السلام، وعن يأجوج ومأجوج، وعن الخسوفات.

ثم في الغد-إن شاء الله عز وجل- نختم دروسنا في هذا المكان بالكلام عن آخر الآيات؛ وهي النار ، ثم نختم بضوابط تُهِمُّ كل مسلمٍ ومسلمة؛ تتعلق بأسباب الوقوع في الفتن، وأسباب السلامة منها، وسنذكر الضوابط من كلام أهل العلم، إن شاء الله عزوجل.

أما نزول عيسى بن مريم فقد تواترت الأخبار عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- أنّ عيسى بن مريم عليه السلام ينزل في آخر الزمان، فمِن الأمور القطعيَّة في ديننا أنّ عيسى بن مريم عليه السلام سينزل في آخر الزمان، وأنه يَقتل الدجال، وأنه يموت، وأنه يُصلي عليه المسلمون ويُدفَن، وهذه مَكرَمةٌ لعيسى عليه السلام اختُصَّ بها من دون سائر الأنبياء عليهم السلام، وسنتحدث عنها، إن شاء الله عز وجل.

أمّا **إسمه** عليه السلام: فاسمه المسيح عيسى بن مريم، قال الله عز وجل: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥].

والمسيح لقبٌ لعيسى عليه السلام، فاسمه: عيسى، ولقبه: المسيح. والمسيح: معناه الصدِّيق، فهو- عليه السلام صدِّيق.

واختُلف في المسيح بن مريم مِن ماذا أُخذ؟

- فقيل: إنه أُخذ من مسح الأرض؛ لأنه يمسح الأرض: أي لا يستقر في مكان. وقال بعض أهل العلم:" **إنه لايستقر في مكان لأنه ابتُلي ببني إسرائيل، كما هو مفصّلٌ في التفسير**".
- وقيل: سُميَ بالمسيح؛ لأنه كان لا يمسح على مريضٍ إلا شُفي بإذن الله، فكان لا يمسح على مريضٍ إلا بَرِئ.
- وقيل: إنه سُميَ بالمسيح؛ لأنه ممسوحٌ بدهن البَركة، وهو دُهنٌ طيِّب الرائحة.
- وقيل: لأنه كان ممسوح الأَخمَصين، يعني أنّ قدمه مستوية، تَمَسُّ الأرض جميعها، والأخمص: هو المكان المرتفع في باطن القدم.
- وقيل: سُمي المسيح؛ لأن الجمال مَسَحه وأصابه، فهو جميل عليه السلام. ولازالت الناس تقول هذا؛ فتقول -مثلا-: فلان فيه مَسْحةٌ من جمال، أي مَسَحه الجمال.
- وقيل: إنما سُميَ بالمسيح؛ لأنه مُسِح من الذنوب، أي طُهِّر من الذنوب. ولذلك يا إخوة؛ في حديث الشفاعة في بيان المقام المحمود لحبيبنا ونبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- عندما يعتذر الأنبياء عن الشفاعة، كلٌّ يذكر ذنبًا يراه؛ إلا عيسى عليه السلام؛ فإنه لا يذكر ذنبًا، لكنه يعتذر عن الشفاعة؛ لأنها لنبينا -صلى الله عليه وسلم-، فقال بعض أهل العلم: هو مسيح؛ أي أنه مطهَّر من الذنوب.
- وقال بعض أهل العلم: هو مسيح لأنه خُلِق خَلقًا حسنًا عليه السلام.

وصفة عيسى عليه السلام وردت بها الأحاديث، والإيمان بصفة عيسى عليه السلام من الإيمان بالأنبياء، فإنّ الإيمان بالأنبياء ركنٌ من أركان الإيمان.

والإيمان بالأنبياء منه ما هو مفصَّل ومنه ما هو مجمل.

- أمّا **المجمَل**: فنؤمن أنّ الله -عزوجل- بعث إلى كلِّ أمةٍ رسولًا؛ يأمرهم بالتوحيد وينهاهم عن الشرك.

فهذا إيمانٌ مجمَل بالأنبياء.

♦ وأمّا **المفصَّل**: فمعناه أن نؤمن بمن عَلِمناه من الأنبياء تفصيلًا، على ما ورد عنهم؛ من أسمائهم، وقصصهم، وصفاتهم، كلّ ما ثبت عن نبيٍّ نؤمن به على سبيل التفصيل.

وعيسى عليه السلام جاء وصفه في الأحاديث الصحيحة؛ ففي مسلم جاء أنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((وأراني الليلة في المنام عند الكعبة، فإذا رجلٌ آدم، كأحسن ما ترى من أُدْم الرجال، تَضْرِبُ لِمَّتُه بين مَنْكبيه، رَجِل الشَّعر، يَقطر رأسه ماءً، واضعًا يديه على منكبيْ رَجُلَين، وهو يطوف بالبيت، فقلتُ: من هذا ؟ فقالوا: المسيح ابن مريم)).

وروى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "لا والله، ما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- لعيسى أحمر؛ ولكن قال: ((بينما أنا نائمٌ أطوف بالكعبة، فإذا رَجلٌ آدم، سَبْطُ الشَّعر، يَتهادى بين رَجُلَين، يَنطُف رأسه ماءً))أو ((يُهَرَاقُ رأسه ماءً)).

وروى الإمام مالك رحمه الله في الموطأ بالسند الذهبي؛ عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما أنّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: ((رأيتُ رجلًا آدم كأحسن ما أنتَ راءٍ من آدم الرجال، له لِمَّةٌ كأحسن ما أنتَ راءٍ من اللِّمَم، قد رَجَّلها؛ فهي تقطر ماءً، متكئًا على رَجلَين أو على عواتق رَجلين يطوف بالبيت، وسألتُ من هذا؟ فقيل: هذا المسيح ابن مريم)).

فعيسى عليه السلام رجل آدم، وما المقصود بالآدم؟ الآدم: هو الأسمر، الذي فيه سمرة. والأُدْمَة -كما قال العلماء-: هي لون العرب؛ وهو لون التراب.

واللُّمَّة: هي الشَّعر الذي يَضرب إلى المنكبَين، فعيسى عليه السلام له شعر يَضرب إلى منكبيه، يَعتني به؛ فهو يُرجِّله ويُسرِّحه.

وهو رَجِلُ الشَّعر: أي أنه مسترسل الشَّعر، فشعره مسترسل وليس مجعَّدًا.

يَقْطُر رأسه ماء؛ يعني:

١. قال بعض أهل العلم: أنه صاحب عرق صافٍ، فعرقه صافٍ يُرى ظاهرًا.

٢. وقال بعض أهل العلم: المراد بيان جماله ونضرته، فهو نَضِرٌ، كأنه يَقطر ماء من شدة نضارته عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وروى مجاهد عن ابن عمر -مرفوعا- في صفة المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أنه أحمر جَعِد».

وذكر البخاري عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((رأيتُ عيسى وموسى وإبراهيم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ فأما عيسى فأحمرُ جَعْدٌ عريض الصدر)).

طيِّب؛ إذن في هذا الحديث وَصَفَه بأنه أحمر، مَن الراوي؟ ابن عمر، وفي الحديث الآخر -الذي مرّ معنا قبل قليل- قال ابن عمر -وهذا أيضًا في البخاري-: "لا والله، ما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- في عيسى أحمر"، إذن هنا إشكال!

قال بعض أهل العلم: يُجمَع بين نفي ابن عمر وإثبات أنه أحمر؛ بأنّ ابن عمر حكى ما يعلم، وغيره حكى ما يعلم، لكنّ هذا لا يستقيم؛ لأنّ ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا روى أيضًا أنه أحمر، فما الجمع؟

الذي ظهر لي -والله أعلم- في التأمل في المسألة: أنّ نفي ابن عمر هو نفيٌ لحديث الرؤية، أنه في حديث الرؤية عند الكعبة ما قال: أحمر، وإثباته في الأحاديث الأخرى، فمراد ابن عمر «ما قال عن عيسى إنه أحمر» في هذا الحديث، وليس نفيا مطلقًا، وهذا متعيِّن في هذا الباب.

طيب؛ قال: "أحمر جَعْد"؛ والجَعْد -كما مرّ معنا في صفة الدجال، أعاذنا الله من فتنته-: هو الذي لا يسترسل شعره، شعره مجعَّد لا يسترسل.

طيِّب؛ مرّ معنا قبل قليل أنّ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ "رَجِلُ الشعر" أي مسترسل، وهنا جَعْد، فاستشكل بعض العلماء ذلك!

ولا إشكال؛ لأنّ جعدًا هنا لم تُضَف إلى الشَّعر؛ وإنما قيل: "جعد" والجعودة قد تكون في الشعر وقد تكون في الجسم، وهي هنا في الجسم؛ بدليل الأحاديث الأخرى، أي أنه ممتلئ الجسم، عَلَيْهِ السَّلَامُ، والعرب تقول لممتلئ الجسم إنه "جعد"؛ أي: مكتنز؛ ممتلئ الجسم.

«عريض الصدر»؛ فهو عَلَيْهِ السَّلَامُ عريض الصدر لأنه ممتلئ الجسم.

وفي حديث عبد الرحمن بن آدم، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:((إنّ روح الله عيسى بن مريم نازل فيكم فإذا رأيتموه فاعرفوه؛ رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان مُمَصَّران، كأنّ رأسه يقطر، وإن لم يصبه بلل)).

طيِّب؛ هنا يوجد إشكال، في الأحاديث السابقة وُصِفَ عيسى عليه السلام بأنه آدم، وقلنا الآدم: هو الأسمر، وفي الأحاديث الأخرى وُصِفَ بأنه أحمر، فكيف يُجمَع؟

قال العلماء: إن أُدْمَته صافية، والأُدْمَة الصافية تَضرِبُ إلى الحمرة.

وبعض أهل العلم قال: إنّ لونه فيه سمرة وتَحمَرُّ وجنتاه، وهذا من صفات الحُسن والجمال؛ أن تكون الوَجنة مُحمَرَّة.

فقال بعض أهل العلم: وَصْفُ الحُمْرة هو للوجنة، ولونه هو لون الأُدْمَة؛ فهو آدم من الرجال.

قال: ((**عليه ثوبان مُمصَّران**))؛ ممصَّران -قال أهل اللغة- أي: فيهما صُفرة خفيفة، فثيابه صفراء صفرة خفيفة.

((**كأن رأسه يقطر، وإن لم يصبه بلل**))؛ هذا من شدة الجمال، يُخيَّل لمن ينظر إليه عليه السلام أنّ رأسه يقطر؛ وليس به بلل؛ وإنما هذا من شدة نضارتهغ.

وفي حديث النواس بن سمعان، الذي في مسلم، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتَين))؛ والمهرودتان: هما الممصَّران، أي ثوبان صُبِغَا بالعُصْفُر والزعفران، ((واضعًا كفيه على أجنحة ملَكين، إذا طأطأ رأسه قطَر))قطر عليه السلام من العرق ((وإذا رفعه تَحدَّر منه مثل جمان اللؤلؤ))؛ أي من عرقه، عرقه صافٍ كجمان اللؤلؤ.

ولمسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((ليلة أُسري بي لقيتُ موسى عليه السلام، فنعَتُّه، فإذا رجل، أحسبه قال: مضطربٌ رَجِل الرأس، كأنه من رجال شنوءة، قال: ولقيت عيسى، فنَعَتَه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: رُبْعَة أحمر، كأنما خَرَج مِن دِيماس))يعني من الحمام، قال: ((ورأيتُ إبراهيم، وأنا أشبه ولده به)).

فعيسى وصفه النبي -صلى الله عليه وسلم- بأنه رُبْعة، ما هو الرَّبعة؟ أو من هو الرُّبعة؟ هو الرجل الذي ليس بطويل جدًا ولا بقصيرٍ جدًّا، مَرْبُوع، ولازالت العرب تستعمل هذه الكلمة؛ فيقولون: فلان مَربوع؛ أي أنه متوسِّط، معتدل.

((كأنما خرج من دِيماس))؛ يعني كأنما خرج من حمَّام؛ أي أنه صافي اللون؛ تحمَّر وجنتاه. المعلوم أنّ الحمام: وهو المكان الذي يُغتَسل فيه بالماء الحار، ليس الحمام كما نقول اليوم هو مكان قضاء الحاجة عندنا هنا، وإنما الحمّام: هو المكان الذي يُغتَسل فيه بالماء الحار. والمعلوم أنّ من دخل الحمَّام واغتسَل فيه وخرج يكون نَضِرَ اللون، يضرب وجهه إلى الحمرة، فكذلك وَصْف عيسى عليه السلام.

إذن؛ عيسى عليه السلام رجلٌ مَربوعٌ؛ متوسّط لا بالطويل ولا بالقصير، أسمر سمرة صافية تضرب إلى الحمرة، محمرَّةٌ وجنتاه عليه السلام، شعره يضرب إلى منكبيه مسترسل يُرجّله، جَعْدُ الجسم؛ فهو مجتمع الجسم مكتنز الجسم ممتلئ عليه السلام، شديد النضارة وصفاء اللون عليه السلام.

ما الذي يعمله عيسى عليه السلام عند نزوله؟ هل يَنسَخ دين محمد عليه الصلاة والسلام ويأتي بدين؟

الجواب: لا، فإنّ عيسى عليه السلام لا يَنزل نبيًّا، هو نبي لكنّه لا ينزل نبيًّا، وإنما ينزل آية، مع بقاء صفة النبوَّة له؛ لكنّه لا ينزل نبيًّا للناس عند نزوله؛ لأنه لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة، فهو عليه السلام يحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((والذي نفسي بيده، ليوشكنّ أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدْلًا، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويَفيض المال حتى لا يَقبلها أحد، وحتى تكون السجدة خيرًا له من الدنيا وما فيها))، فعيسى عليه السلام ينزل في مَن؟ في هذه الأمة؛ قال: ((ينزل فيكم))، ينزل في هذه الأمة؛ والمقصود: بعض الأمة؛ لأنه ينزل في آخر الأمة، ((ينزل فيكم حَكَمًا))أي حاكِمًا، فنزوله نزول حاكم، يَحكم بين المسلمين، وليس أميرًا عليهم، بل أمراؤهم منهم، وإنما

ينزل حكما عدْلًا، ((مقسطًا، فيكسر الصليب)) أي يهدم الصليب، ومعنى أنه يهدم الصليب: أي أنه يُبطِل هذه النصرانية المحرَّفة التي يعبد أهلُها الصليب.

والصليب: خشبة مثلّثة، تختلف هيأتها من كنيسة إلى كنيسة، ولكنها تتَّفق على هيأة واحدة؛ وهي أنها خشبة مثلثة، طولها من أسفل أطول من أعلى، وطولها أطول من عرضها.

وليس كلُّ مثلَّثٍ صليبًا، بعض الناس كلّما رأى خطَّين قد تقاطعا قال: صليب. بعض الناس يصلي على هذه السجادة ثم يأتي يقول: هذه السجادة مليئة بالصُّلبان!

ومرة قيل للشيخ ابن العثيمين هذا، فقال: الإنسان لو مدّ يديه لكان كما قلتُم -الإنسان لو مدّ يديه هكذا لكان على هيأةٍ مثلّثة- وإنما الصليب على الهيأة المعلومة التي يفعلها النصارى للتعبُّد، فليس كلّما رأينا خطّين قد تقاطعا قلنا هذا صليب.

وبعض الناس عندهم مغالاة، يعني رأينا بعض الناس يَحكي عن أحذية تَقدُم مثلًا من بلدان النصارى أوغيرها فيتخيّلون أنّ لفظ الجلالة مكتوب أسفل ويخطّون خطوطًا ويرسمونها ويرسلونها، وهي قد تكون هكذا وقد لا تكون؛ لأنها توصَل وصلًا من قِبَل الناس، ونحن نعلم أنّ النصارى مع كفرهم وتحريفهم يؤمنون بالله، فهم يؤمنون بالله إيمانًا محرَّفًا؛ فمن البعيد أن يضعوا اسم الله تحت الحذاء، لكنّ بعض الناس عنده مغالاة في الأمور، والإنسان ينبغي أن يكون متّزنًا؛ أولًا: لا يتطلَّب غير الواضحات. بعض الناس يأتي إلى المسجد وينظر في الزخرفة: هذه نجمة سداسية، وهذا صليب، وهذا كذا! يتطلَّب الشيء حتى يُقنِع نفسه به، ثم يفتن نفسه وغيره بهذا! وهذا ليس مطلوبًا ولا ينبغي، وإذا أشكل شيءٌ على الإنسان فلْيسأل العلماء ولا ينشر شيئًا.

بعض الناس يكتب حتى في الشبكة العنكبوتية: المسجد النبوي فيه كذا وفيه كذا، وإذا نظرتَ وجدتَ أنّ هذا كلَّه إمّا مكذوب؛ لأنّ بعض الناس يَحقدون على هذه الدولة المباركة دولة التوحيد، إمّا ممن لا يحبون التوحيد أصلًا، وإمّا من خوارج هذا الزمان، وخوارج هذا الزمان أسوأ من الخوارج المتقدّمين، لأنّ الخوارج المتقدِّمين لا يكذبون ويرَون أنّ من يكذب كافر، وخوارج هذا الزمان مع خروجهم يتقرّبون إلى الله بالكذب.

وقد قال بعض مشايخنا: "إنّ خوارج هذا الزمان قد أَخذوا مِن كلِّ طائفةٍ منحرفة تَنتسِب إلى الإسلام أسوأ ما فيها، فكانوا عبارة عن مجموعة سَوءات الطوائف المنحرفة"، وهذا له باب آخر.

الشاهد؛ أنّ الصليب: هو خشبة مثلّثة يعظّمها النصارى، ويزعمون أنّ عيسى عليه السلام قد صُلِبَ عليها، وما صُلِبَ عليه السلام ولكن شُبِّه لهم.

فعيسى عليه السلام يكسر الصليب: أي يُبطِلُ هذه النصرانية المحرَّفة ويحكم بالإسلام.

((ويقتل الخِنزير)) أي يحرِّم اقتناءه وأكله، ويُبيح قتله.

((ويضع الجزية)) قال بعض أهل العلم:" معنى ذلك: أنه يُبطِل الجزية"، كيف يُبطِل الجزية؟ قال بعض أهل العلم:" يُبطِل الجزية بأن يُسلِمَ كلُّ من في الأرض في زمنه، فلا يوجَد من تُوضَع عليه الجزية".

وقال بعض أهل العلم:" يُبطل الجزية؛ معنى ذلك: أنه يرفع الجزية؛ لأنّ الجزية في دين محمد صلى الله عليه وسلم مؤقتةٌ بظهور المسيح، فإذا ظهر المسيح عليه السلام ارتفعتْ".

وقال بعض أهل العلم: "معنى يضع الجزية: أنه يفرِض الجزية، فيعيد الجزية مرة أخرى، بعد أن يكون الكفار قد تقوَّوا فمنعوها -كما مرّ معنا- فيعود عيسى عليه السلام ويضعها عليهم مرّة أخرى"، وهذا معنىً آخر.

وبعض أهل العلم قال: "يضع الجزية يعني يُبطِل الجزية؛ لأنه لا يوجد من يأخذها، لانّ المال كثير فلا يوجد من يأخذها".

((ويفيض المال)) يعني يزيد؛ وذلك بكثرة الخيرات.

وعيسى عليه السلام سيحجّ بعد نزوله ويعتمر، ويمرُّ بطريق مكة الذي يسمى بطريق مكة القديم، ليس طريق مكة الذي يسلكه الحجاج اليوم، وإنما الطريق القديم الذي سلكه النبي صلى الله عليه وسلم، فهو يمرّ بفجّ الرَّوحاء، والرَّوحاء مرّت بنا في الحج، قرية في طريق مكة، قرية تبعد عن المدينة بنيِّفٍ وسبعين كيلًا، حوالي خمسة وسبعين كيلو متر.

جاء في مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لَيُهلّن عيسى بن مريم بفجِّ الرَّوجاء بالحج أو بالعمرة أو ليُثَنِّيَنَّهُمَا)).

وتكون الإمامة -كما قلنا- عند نزوله للمسلمين، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «كيف بكم إذا نزل فيكم المسيح ابن مريم وإمامكم منكم» متفق عليه. ومرّ معنا -يا إخوة- شيء من هذا، وسيأتي إن شاء الله.

وقد مرّ معنا -أيها الإخوة- في حديث الفتن؛ أنّ عيسى عليه السلام ينزل على المسلمين وهم يَستعدّون للدجال وقد سَوَّوا صفوفهم وأقاموا الصلاة؛ فيقصدهم، يؤمهم عيسى: أي يقصدهم عيسى عليه السلام، فيقول له أميرهم: "تقدَّم يا روح الله فصلِّ لنا -صلِّ بنا-" فيقول: ((لا، تقدّم أنت إنما أقيمَت لك، إمامكم منكمغ)).

وفي حديث النواس بن سمعان الذي في مسلم؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إذ بعث الله المسيح ابن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقِيِّ دمشق بين مهرودتين))كما قلنا؛ أي أنه لابِسٌ ثوبَين أصفرَين صُفْرةً خفيفة ((واضعًا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قَطَر، وإذا رفعه تحدَّر منه جمان اللؤلؤ، ولا يَحِلُّ لكافر يَجد ريح نَفَسِه إلا مات، ونَفَسُه ينتهي حيث ينتهي طَرْفه، فيطلبه حتى يُدرِكه بباب لُدٍّ)) أي يطلب الدجال حتى يُدرِكه بباب لُدٍّ، وقد قلنا إنها قريبة من القدس، ((ثم يأتي عيسى عليه السلام قومًا قد عَصَمَهم الله منه»))أي من الدجال ((فيمسح عن وجوههم، ويحدّثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله -عز وجل- إلى عيسى: إني قد أخرجتُ عبادًا لي لا يَدانِ لأحدٍ بقتالهم))وهؤلاء هم يأجوج ومأجوج، كما سيأتي إن شاء الله، ((فحرِّز عبادي إلى الطّور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدبٍ ينسلون))، وهذا سيأتي -إن شاء الله عز وجل- بيانه.

عيسى عليه السلام سيبقى في الأرض ثم يموت. وقد جاء في حديث صحيح: ((أنّ عيسى عليه السلام يمكث في الأرض بعد نزوله أربعين سنة)) وهذا الحديث رواه أبو داود، والحاكم وصححه، وابن حبان وصححه، وصححه الحافظ ابن حجر، رحم الله الجميع.

وجاء في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عند مسلم؛ أنه يمكث سبع سنين؛ طيّب وهذا إشكال! في حديث صحيح أنه يمكث أربعين سنة، وفي حديث آخر أنه يمكث سبع سنين!

قال العلماء: لا إشكال، ففي الحديث الأول أنه يمكث أربعين سنة أي بمجموع عمره عليه السلام؛ فإنه رُفِع إلى السماء وله ثلاثة وثلاثون عامًا -على أصحِّ الأقوال-، ويمكث بعد نزوله سبع سنين؛ فهذه أربعون.

فالحديث الأول: في مدّة بقائه في الأرض، والحديث الثاني: في مدّة بقائه بعد نزوله.

وهو سيموت عليه السلام، وسيصلي عليه المسلمون، وما صلى المسلمون الذين هم أفضل الأمم إلا على نبيَّيْن: محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وعيسى بن مريم عليه السلام، فهذه من مَكارم عيسى عليه السلام أنه تصلي عليه خير الأمم كما صلّت على خير الأنبياء؛ محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

ولم يَثبت حديث صحيح ولا أثر صحيح بمكان موته ولا بمكان دفنه، لكن يَشيع بين المسلمين -أعني بين عوامِّهم- أنه يُدفَن في المدينة، ويُدفن مع النبي -صلى الله عليه وسلم- في قبره، في القبر الرابع. وبعضهم يقول: يُدفن في الروضة.

وأمّا قولهم: يُدفن في الروضة، فلم أعثر عليه أبدًا، بعد طول البحث وكثرة الكشف والسؤال.

وأمّا قولهم: إنه يُدفن مع النبي صلى الله عليه وسلم في قبره؛ أي في حجرة عائشة؛ فموجودٌ في كتب المتقدّمين، ولكنه لا يَثبت بأثرٍ يُعتمَد عليه.

فقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة عيسى بن مريم عليه السلام عن بعض السلف: "أنه يُدفن مع النبي صلى الله عليه وسلم في حجرته"، هذا ذكره الحافظ ابن عساكر.

وقال ابن عبر البر في التمهيد: "روى عبد الله بن نافع الصائغ -صاحب مالك- عن عثمان بن الضحاك بن عثمان الأسَدي عن محمد بن يوسف عن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جدّه قال: "يُدفن عيسى عليه السلام مع النبي عليه السلام وصاحبَيه، ثَمَّ موضعُ قبرٍ رابع" يعني يوجد موضع قبر رابع. وليس في ذلك خبر يجوز أن يُعتمَد عليه.

إذن؛ ما الذي يعتقده المسلم؟

يعتقد المسلم أنّ عيسى عليه السلام سيموت ويُصلى عليه، ويُدفن في الأرض كسائر الناس.

شرح كتاب
الفتن وأشراط الساعة
من صحيح مسلم

◈◈◈

الدرس الحادي والعشرون

باب في الآيات التي تكون قبل الساعة:

خروج يأجوج ومأجوج

وأمّا يأجوج ومأجوج؛ فيأجوج ومأجوج يقال لهم: يأجوج ومأجوج، ويقال: ياجوجوماجوج. وقال بعض العلماء: ياجوجوماجوج (بدون همز)أفصح.

وياجوجوماجوج: من ماجَ الشيء؛ إذ اضطرب،أي أنهم يموج بعضهم في بعض من كثرتهم، من كثرتهم يضطرب بعضهم في بعض، فهذه صفة لهم من جهة الكثرة.

وأمّا يأجوج ومأجوج:

- فقيل من أجيج النار، وهو التهابها، فهم كالنار التي تأكل كل شيء.
- وقيل: من الأَجَّة؛ وهي الاختلاط.
- وقيل: من الأَجَّة؛ أي شدة الحر، فهم أذى على الناس كشدة الحر.
- وقيل: من الأَجّ؛ وهي سرعة العدو، فهم يسرعون سرعة شديدة.
- وقيل: من الأُجاج؛ وهو الماء المالح، شديد الملوحة.

وكلُّ هذه الصفات تدل على عِظَمِ أذاهم، أي أنّ أذاهم شديد.

- وقيل: يأجوج ومأجوج اسمان أعجميان؛ فلا اشتقاق لهما.

ومَن هم يأجوج ومأجوج؟ هم قومٌ مفسدون، من سلالة آدم -عليه السلام-؛ كما ثبت في الصحيحين: ((إنّ الله -تعالى- يقول: يا آدم! فيقول: لبيك وسعديك))، فيقول: ((ابعث بَعْث النار))، فيقول: وما بَعْثُ النار؟ فيقول: ((من كل ألفٍ تسع مئة وتسعة وتسعون))، تسع مئة وتسعة وتسعون!من كل ألف واحد في الجنة،وتسع مئة وتسعة وتسعون في النار من ذرية آدم-عليه السلام- ، فحينئذ يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها، فقال: ((إنّ فيكم أُمّتين ما كانتا في شيء إلا كثّرتاه؛ يأجوج ومأجوج))، فأكثرُ أهل النار من ذرية آدم هم يأجوج ومأجوج، والحمد لله.

وهم من نسل نوح، من أولاد يافثابن نوح، كما ثبت في مسند الإمام أحمد.

وحكى النووي -رحمه الله-في شرح مسلم عن بعض الناس -وجاء في بعض الروايات أنه عن كعب الأحبار-: أنّ يأجوج ومأجوج من ذرية آدم وليسوا من ذرية حواء، كيف؟! قالوا: "إنّ آدم احتلم يوما فأصاب منيُّه التراب فخُلِقَ من ذلك يأجوج ومأجوج"؛ وهذا لا يصح! ولذلك قال ابن كثير -رحمه الله-:"هذا قولٌ غريبٌ جدًّا، لا دليلَ عليه؛ لا مِن عقلٍ ولا مِن نقل، ولا يجوز الاعتماد هاهنا على ما يحكيه بعض أهل الكتاب". طبعا هو باطل المتن؛ لأنه أولا الاحتلام من تلاعب الشيطان، والشيطان لا يتلاعب بالأنبياء-عليهم السلام-.

ولذلك؛ يُحكى عن بعض السلف أنه يَختَبِر طلابه ليعرف ذكاءهم -وهذا يسميه الآن التربويون بالفروق الفردية-، فقال لهم: إذا احتلم النبي صلى الله عليه وسلم كيف يصنع بثيابه؟ منهم من قال: يغسلها، ومنهم من قال: يحتها، ومنهم من قال: إذا كانت رطبة غُسِلت وإذا كانت يابسة..، وأحدهم قال: النبي صلى الله عليه وسلم لا يحتلم، وكان يفضلُّه على غيره من الطلاب فأراد أن يبين لهم سبب تفضيله، وهو استخدم "إذا"، و"إذا" هنا تدل على التعليق الممتنع.

ولذلك؛ أحد السلف أيضا -ولا بأس نذكر هذا- ذهب إلى بغداد ثم رجع فقال لطلابه: رأيتُ صنمًا على نهر دجلة، إذا عطش نزل فشرب، وهم يعرفون أنّ الشيخ ثقة لا يكذب والمسألة مشكلة..! صنم، ينزل، ويشرب! فأخذوا يَدُوكون في المسألة، وما عرفوها، ثم بيّن لهم؛ هو استخدم "إذا" قال: إذا عطش، والصنم لا يعطش، فلو عطش لنزل وشرب، لكنه لا يعطش، وبالتالي لا ينزل ولا يشرب.

فهذا القول لا يصح؛ لأن آدم -عليه السلام-نبي، والنبي لا يحتلم، فيأجوج ومأجوج من ذرية آدم وحواء، من بني آدم.

وهم قومٌ كُثُر؛ قال الحافظ ابن حجر: "وأخرج الحاكم وابن مردوية من طريق عبد الله بن عمر أنّ يأجوج ومأجوج من ذرية آدم، ووراءهم ثلاث أمم، ولن يموت منهم رجل إلا ترك من ذريته ألفًا فصاعدًا، قال: وأخرج عبد بن حُمَيد -بسند صحيح- عن عبد الله بن سلام مثله".

وقد ذكر الله قصتهم في القرآن، وهي معروفة، وتُقرأ في سورة الكهف، فقد أخبر الله تعالى أنّ ذا القرنين سار طرقًا، وسلك سبلًا، حتى إذا بلغ بين السدَّين؛ وهما جبلان فيهما ثغرة، خلفهما يأجوج ومأجوج، يخرجون على الناس من هذه الثغرة فيُفسِدون، قال بعض المفسرين:" أي يأكلون الناس". وقال بعض المفسرين: "أي يُقتِّلون الناس". وقال بعض المفسرين:" أي يَنهَبون ما عند الناس، فيأكلون الأخضر واليابس".

فجاء فوجد من دون الجبلَين قومًا، لا يكادون يفهمون قولًا، ولا يكادون يُبِينُون قولًا؛ لا يُبِينون ولا يَفهمون، فقالوا:" يا ذا القرنين، إنّ يأجوج ومأجوج مفسِدون في الأرض؛ فهل نعطيك أُجرةً من أموالنا على أن تجعل بيننا وبينهم حاجزًا؟"فقال لهم -لتقواه وورعه-: "ما مكنِّي فيه ربي من المُلك والمال والقوة خيرٌ ممّا تَعرِضون عليّ، فأعينوني بقوة -أي بعمَّالٍ ذوي صَنعة، هذه هي القوة؛ عمَّال أهل حِرفة- أجعل بينكم وبينهم حاجزًا أشد مما طلبتم؛ وهو الرَّدْم"، قال المفسرون:" الرَّدم أقوى من السَّد"، قال:" أجعل بينكم وبينهم حاجزًا أقوى مما طَلبتم".

"آتوني -جيؤوني- بقِطَعِ الحديد" فجاؤوا بها، حتى إذا ساوى بين الجبلين؛ فبلغ الحديد رؤوس الجبال؛ قال للعمال:**" انفخوا عليها بالنار"**، فنفخوا، حتى إذا جَعَلَ الحديد ناراً، قال:**" أعطوني نحاسًا"**، وقال بعض المفسرين قال: أعطوني رَصاصًا، وقال بعض المفسرين قال: أعطوني حديدًا مُذابًا -من أجل أن يتماسك الحديد- فوضعه **عليه فما اسطاعوا**؛ ما استطاعوا أن يَعلوه، أن يرتقوه، "وما استطاعوا له نقبا" ما استطاعوا أن يحفروه، فلمّا رأى ذو القرنين هذا قال:**" هذا رحمة من ربي"**بي وبأهل الأرض،**"حتى إذا جاء وعد ربي بخروجهم جعله دكّا "**؛ فمِن المفسرين من قال: أي سوَّاه بالأرض، ومِن المفسرين من قال: أي جعل فيه طريقًا، وهذا أصوب.

وقد مر معنا أنّ يأجوج ومأجوج يَحفِرون السَّد كلَّ يوم، وهم يَحفِرونه حَفْراً ضيقًا ويَسيرون في ذلك، وفي كلِّ فترة يتَّسع الخَرْق الذي يَحفرونه؛ لكنهم إذا جاء الليل وقفوا وقالوا: تَرجِعون غداً، تَحفرونه غدًا، فيعود كما كان.

وقد روى ابن ماجه حديثًا في هذا؛ أنّمالرسول -صلى الله عليه وسلم- قال: «إنّ يأجوج ومأجوج يحفرون كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فسنحفره غداً، فيعيده الله أشد ما كان، حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً إن شاء الله تعالى، واستثنوا، فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه، ويَخرجون على الناس، فيَنْشِفون الماء -أي يشربون الماء-، ويتحصَّن الناس منهم في حصونهم، فيرمون بسهامهم إلى السماء، فترجع عليهم الدم الذي أُجفَض» ما معنى الذي أجْفَض؟ يعني الذي ملأها، ترجع وقد امتلأت دمًا من السماء، فتنةً لهم «فيقولون: قَهرنا أهل الأرض، وعَلَونا أهل السماء، فيبعث الله نغفًا في أَقْفَائهم فيقتلهم بها»، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده إنّ دواب الأرض لتَسمَن وتَشْكَر شَكَراً مِن لحومهم». الحديث رواه ابن ماجه، وصححه الألباني.

وفي صحيح مسلم في حديث النواس رضي الله عنه بعد أن ذَكَرَ النبي -صلى الله عليه وسلم- قَتْل عيسى للدجال قال: «ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ قَوْمًا قَدْ عَصَمَهُمْ اللهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ، وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ» يعني: لا قدرة لأحد على قتالهم؛ فلا تقاتلوهم، قال: «فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ، وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، وَيُحْصَرُ -وفي رواية عند الترمذي: ويُحاصروا- نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ» يعني: من قلة الطعام رأس الثور يكون خيرًا من مائة دينار، ومائة دينار في زمن الصحابة ثروة عظيمة، قال: «فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ» أي يدعو عيسى ويدعو مَن معه «فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمْ النَّغَفَ» والنغف: دودٌ يكون في أنوف الدواب، «فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمْ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ؛ فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى» أي: موتى «كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ» أي: رائحتهم المُنْتِنَة «فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللهِ، فَيُرْسِلُ اللهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ»

البخت: جمال طويلة الأعناق «فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا لَا يُكِنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ» المَدر: هو الطين القاسي، فهو بيت من الطين القاسي، «ولا وبر» أي: البيت المصنوع من وبر الجمال، فلا يُكِنّ منه شيء، «فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ».

وعند ابن ماجه -بإسنادٍ صحَّحه الألباني- جاء أنهم عند موت يأجوج ومأجوج يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «فيموتون موت الجراد» الجراد إذا مات يتساقط على بعضه «يَركب بعضهم بعضًا، فيُصبح المسلمون لا يَسمعون لهم حِسًّا» لا يسمعون لهم صوتًا، وهم يخافون منهم «فيقولون: مَن رَجُلٌ يَشري نفسه ويَنظر ما فعلوا؟» أي هل مِن رَجُلٍ يبيع نفسه لله وينظر ما فعلوا؟ «فينزل منهم رجل قد وَطَّن نفسه على أن يَقتلوه، فيجدهم موتى؛ فيناديهم: ألا أبشروا ألا أبشروا؛ قد أهلك الله عدوكم! فيخرج الناس، ويُخْلُون سبيل مواشيهم، فما يكون لهم رَعْيٌ إلا لحومهم، فتَشْكُرُ عليها كأحْسَنِ ما شَكِرَتْ مِن نباتٍ أصابته قَط» أي تَسْمَن كأحسن السِّمَن.

وهم -والعياذ بالله منهم- قومٌ معهم سلاح كثير؛ وذلك لكثرتهم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: « سيوقد المسلمون مِن قِسِيِ يأجوج ومأجوج ونُشَّابِهم وأَتْراسِهم سبع سنين» رواه ابن ماجه وصححه الألباني، يعني يوقد المسلمون من أسلحة يأجوج ومأجوج سبع سنين؛ من كثرتها، والعياذ بالله.

وقد ذكر المفسرون في يأجوج ومأجوج أمورًا لا تصح، وذكر الحافظ ابن حجر في "الفتح" بعض الآثار التي تدل على ما ذكروه؛ ولا تصح، ومن ذلك -مثلاً- قولهم: إن يأجوج ومأجوج ثلاثة أصناف:

- صنف بِطول الأرز؛ والأرز شجرة بالشام، يكثر في لبنان اليوم، يقولون : إنّ طول الشجرة منه عشرون ومئة ذراع؛ كذا قال المفسرون، وليس هو كذلك فيما يُشاهَد اليوم؛ ولذلك الحافظ ابن حجر قال: "هو شجر طويل" ولم يحدِّد؛ لكن في كتب التفسير جاء: إنّ طوله عشرون ومائة ذراع.
- قالوا: وصِنْفٌ طوله وعرضه سواء؛ أربعة أذرع في أربعة أذرع، أي أنّ هيئتهم مربعة.

- وصِنْفٌ يَفتَرِش أحدهم أُذنَه ويَلْتَحِفُ بالأخرى.

وقال بعض المفسرين: منهم من طوله شِبْر، ومنهم مُفرِط في الطول. قالوا: ولهم شعر يواري أجسادهم؛ فلباسهم الشعر. قال بعضهم: لايمرُّون بفيل ولا وحش ولا جمل ولا خنزير إلا أكلوه، ومن مات منهم أكلوه. قالوا: مقدمتهم بالشام وساقهم بخراسان من كثرتهم.

لكن كل هذا -كما قلت- لم يأتِ في أثرٍ يُعتمَد عليه، وأنا أتعمَّد ذكره؛ لأنّ هذه الأمور تشتهر بين الناس، وتُذكَر في الكتب، وقد يظن بعض طلاب العلم أنها صحيحة، وهي ليست بصحيحة؛ بل الذي نعتقده: أنّ يأجوج ومأجوج قومٌ من بني آدم، أقوياء، يَتناكحون ويتناسلون، ويُحارِبون بالقِسيِّ والرِّماح، ومثل هذا لا يتَّفق مع ما ذكره بعض المفسرين.

شرح كتاب

الفتن وأشراط الساعة

من صحيح مسلم

◈◈◈

الدرس الثاني والعشرون

باب في الآيات التي تكون قبل الساعة:

الخسوفات الثلاث

وأما الآية الأخيرة -والكلام فيها قليل- فهي: الخسوفات الثلاث.

والخسف: هو الذهاب في الأرض والغيبوبة فيها.

والخسوفات الثلاث خُصَّت بالذكر لعظمها، وإلا فالخسوف قد وقع قبل أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- ويقع في أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

قال الحافظ ابن حجر: "قد وُجِد الخسف في مواضع؛ لكن يُحتمَل أن يكون المراد بالخسوفات الثلاث قدرًا زائدًا على ما وُجِد؛ كأن يكون أعظم منه مكانًا أو قدرًا".

وأظنكم تذكرون أنه مرّ بنا أنّ جيشًا يؤُمُّ الكعبة -يقصد الكعبة- يخسف الله به، وهذا في آخر الزمان.

وسيقع خسفٌ في جزيرة العرب عظيم في آخر الزمان. وسيقع خسفٌ بالمغرب، وليس المراد بالمغرب ما يسمى بالمغرب الآن، وإنما المراد بالمغرب: الغَرْب. ويقع بالمشرق؛ وهذه هي الخسوفات العظيمة.

وسيقع خسف في آخر الزمان؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سيقع في هذه الأمة خسفٌ، ومسخٌ، وقذفٌ»، يعني هناك قوم سيقع فيهم: خسفٌ، ومَسخٌ، وقذفٌ، قال بعض أهل العلم: يقع ذلك في قومٍ معيَّنين؛ فيُمسَخ بعضهم، ويُقذَف ببعضهم، ويُخسَف ببعضهم. وقال بعض أهل العلم: يُحتمَل غير هذا. "قال رجلٌ من المسلمين: يا رسول الله، ومتى ذاك؟" ما هي علامة الخسف؟ قال: «إذا ظهرت القَيْنات» أي المطربات، النساء المغنيات، «والمعازف، وشُربت الخمور» رواه الترمذي وصححه الألباني.

ونحن -والعياذ بالله- في هذا الزمان نرى شيئًا من هذا؛ فقد ظهرت المطربات، وأصبح بعض من لا يخافون الله يتباهَون بمجالس المطرِبات، فيُحضِر أحدهم مطربةً تغنّي، ويُعزف بالمعازف، ويُشرَب الخمر في المجلس.

لكن يظهر -والله أعلم- من الحديث أنّ ذلك سيكون عامًّا -والعياذ بالله-، يعني يكون ظاهرًا في الناس؛ تَظهر المطربات والمعازف وتُشرَب الخمور في حفلاتٍ عامّة، ولا يُنكَر ذلك ولا يُؤمَر بمعروف.

وهذه -كما تقدم معنا- هي علامات آخر الزمان؛ إذا ارتفع العلم وظهر الجهل، وقُدِّم الجَهَلَة على العلماء، وظهرت المنكرات، وجاهَر بها الناس عمومًا، حتى يزني الرجل بالمرأة على قارعة الطريق، ويزني الآخر بجواره -والعياذ بالله-؛ فلا يُنكَر ذلك، ولا يُؤمَر بمعروف ولا يُنهى عن منكر، إذا ظهر هذا؛ فهذه علامات قُرْبِ ظهورِ العلامات الكبرى.

إذن؛ العلامات الكبرى ذكرنا لها علامة سابقة، ما هي؟ كثرة الروم، والملحمة التي تقع بيننا وبينهم، وأضيفوا ما ذكرناه اليوم. فهذه علامات على قُرْبِ ظهور الآيات الكبرى.

ولعلنا نقف هنا اليوم، وغدا -إن شاء الله عز وجل- سنتكلم عن آخِرِ الآيات ذِكْرًا؛ وهي النار التي تطرد الناس إلى المحشر، والكلام فيها قليل.

ثم بعد ذلك -كما قلتُ مقدِّمًا- سنتكلم عن أمرٍ من الأهمية بمكان؛ وهي: ضوابط في الفتن، تتعلّق بأسباب السلامة وأسباب الوقوع؛ فنذكر أسباب الوقوع من باب:

عَرَفْتُ الشَّرَّ لاَ لِلشَّرِّ ... ولَـكِـنْ لِتَـوَقِّيــهِ
فَمَنْ لَا يَعْرِفِ الشَّرَّ ... يَـــــقَعُ فـــِيهِ

ونعرف أسباب السلامة؛ لنكون من أهلها.

والله أعلم. وصلى الله على محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلّم.

شرح كتاب
الفتن وأشراط الساعة
من صحيح مسلم

◈◈◈

الدرس الثالث والعشرون

باب في الآيات التي تكون قبل الساعة:

النارالتي تخرج من اليمن

وكنا نقرأ في الحديث الذي أخبر فيه النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة أنها لن تقوم حتى ترون عشر آيات؛ فذكر: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام، ويأجوج ومأجوج، والخسوفات الثلاث: خسفٍ بالمشرق، وخسفٍ بالمغرب، وخسفٍ بجزيرة العرب، قال: «وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم».

وقد يسَّر الله -عز وجل- لنا الكلام عن تسعٍ من الآيات المذكورة، وبقي علينا أن نتكلم في الآية العاشرة التي قال فيها النبي -صلى الله عليه وسلم-: «وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم».

تَقدَّم معنا -أيها الإخوة- أنّ هذه النار هي آخر الآيات الكبرى خروجًا، وأنها أوّل آيات حصول الساعة وانتهاء الدنيا، فليس بعدها من الدنيا شيء، فهي أول الآيات وهي آخر الآيات.

هي أول الآيات؛ باعتبار الآيات التي تدل على حصول القيامة وانتهاء الدنيا وليس بعدها شيء من الدنيا.

وهي آخر الآيات؛ باعتبار الآيات الكبرى التي ذُكِرَت معها، فهي آخر تلكم الآيات.

وقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»، وفي رواية عند مسلم أيضًا: «تَخرُج من قُعْرة عدن» أو «قَعْرة عدن».

وقُعرة عدن: هي أقصى أرض عدن، وعَدَن: أرضٌ مشهورةٌ باليمن، معروفة إلى اليوم.

قال بعض أهل العلم: إنها سُميت عَدَنًا من العُدوان؛ وهو الإقامة، قالوا: لأنّ الملك "تُبَّع" -وكان من ملوك اليمن- كان يحبس فيها أصحاب الجرائم، فسُميَّت بـ: عدن.

وهذه النار الخارجة من اليمن: هي النار التي تَحشر الناس. وقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «يُحشَر الناس على ثلاث طرائق: راغبين راهبين، واثنان على بعير، وثلاثة

على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير، وتَحشُر بَقيَّتهم النار، تَقِيلُ معهم حيث قالوا، وتَبِيتُ معهم حيث باتوا، وتُصبِح معهم حيث أصبحوا، وتُمسي معهم حيث أمسوا»، وهذا في الصحيحين.

قال الحافظ ابن حجر: قوله: «على ثلاث طرائق» الطرائق: جمع طريق، وهي تُذكَّر وتُؤنَّث.

وقوله: «راغبين وراهبين» -وفي روايةٍ لمسلم: «راهبين» بغير الواو، يعني «راغبين راهبين» بدون الواو- فهذه هي الطريقة الأولى من الثلاث؛ أنهم يُحشرون راغبين راهبين.

وقوله: «واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير» هذه هي الطريقة الثانية.

وقوله: «وتَحشر بقيتهم النار»، قال الحافظ ابن حجر: هذه هي النار المذكورة في حديث حذيفة بن أَسيد -التي معنا-. قال: وعند مسلم في حديث فيه ذكر الآيات الكائنة قبل قيام الساعة كطلوع الشمس من مغربها ففيه: «وآخر ذلك نارٌ تخرج من قَعر عدن تُرحِّل الناس»، وفي رواية له: «تطرد الناس إلى محشرهم».

وقوله -صلى الله عليه وسلم-: «تقيل معهم حيث قالوا» فيه إشارة إلى أنّ النار تلازمهم ولا تتركهم في أي وقتٍ، فهي معهم في سائر الأوقات حتى تطردهم إلى محشرهم.

هذا المحشر، ما هو؟

بعض العلماء قال: المحشر: هو النشر من القبور.

وبعض العلماء قال: هو المحشر يوم القيامة.

لكن الصحيح قول الجمهور: إنه حشرٌ في الدنيا قبل يوم القيامة.

وهذا الحشر يكون إلى الشام، فيُحشَر الناس إلى الشام. قال هذا الخطّابي ورجّحه كثيرٌ من العلماء.

قال الحافظ ابن حجر: هذا الحشر يكون قبل قيام الساعة، تَحشر الناس أحياءً إلى الشام، وأمّا الحشر من القبور إلى الموقف فهو على خلاف هذه الصورة -مِن الركوب على الإبل والتعاقب عليها- وإنما هو على ما ورد في

حديث ابن عباس: «حُفاةً عُراةً مُشاةً» وهذا يكون للجميع، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تُحشرون يوم القيامة حُفاةً عُراةً غُرْلا»، وفي رواية: «مُشاةً».

طيب؛ هنا النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الذي في الصحيحين قال: «اثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير» وهذا بالنسبة لزيادة العدد على خلاف العادة، كون عشرة على بعير، وخمسة على بعير، وستة على بعير؛ لأن العلماء قالوا: من اثنين إلى عشرة، هذا على خلاف العادة.

فبعض أهل العلم قال: المراد أنهم يَتعاقبون؛ فهذا ينزل وهذا يركب.

وبعض أهل العلم قال: المراد أنهم في ذلك الزمان يجعل الله -عز وجل- للبعير قوةَ تحمُّلٍ لهذا الأمر، فيركب العشرة عليه.

والذي يظهر -والله أعلم- أنّ المراد بيان قلَّة ما يُركَب، فئذ ذاك يكون ما يُركَب قليلًا؛ فيركب الاثنان على بعير واحد، والثلاثة على بعير واحد، والعشرة على بعير واحد.

ما ذُكر من أنه هو الحشر الذي في الدنيا وليس حشر يوم القيامة؛ رجّحه بعض أهل العلم بأنّ الصفة المذكورة لا يمكن أن تكون إلا في الدنيا، لأنّ النار تَقيل معهم حيث قالوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا؛ وهذا لا يكون في الحشر يوم القيامة وإنما يكون في الحشر في الدنيا، وهذا ظاهرٌ جدًّا.

وقد ذكر الحافظ ابن حجر وغيره أنّ الدليل ثابتٌ في وقوع الحشر في الدنيا إلى جهة الشام، وذكروا حديث معاوية جدّ بهز بن حكيم -رفعه-: «إنكم محشورون -ونحا بيده نحو الشام- رجالاً ورُكبانا وتُجرُّون على وجوهكم»، قال الحافظ: أخرجه الترمذي والنسائي وسنده قوي، قال وحديث: «ستكون هجرةٌ بعد هجرة وتَنحاز الناس إلى مُهاجِر إبراهيم، ولا يَبقى في الأرض إلا شِرارها» قال: أخرجه أحمد، وسنده لا بأس به.

قلتُ: ويؤيد ذلك ما رواه الإمام أحمد والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «ستخرج نارٌ من حضرموت أو من نحو حضرموت قبل يوم القيامة؛ تحشر الناس»، قالوا: يا رسول الله، فما تأمرنا؟ قال: «عليكم بالشام» صححه الألباني.

فهنا النبي صلى الله عليه وسلم يقول إنّ نارًا ستخرج من حضرموت، وهي مِن اليمن، هذه النار متى ستكون؟ قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «قبل يوم القيامة» وهذا نصٌ في المسألة، وأشار -النبي صلى الله عليه وسلم- إلى أنها تحشرهم إلى الشام؛ لأنه قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «عليكم بالشام».

وقال النووي: قوله -صلى الله عليه وسلم-: «يُحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين راهبين..» إلى آخر الحديث هذا الحشر في آخر الدنيا قبل القيامة وقبيل النفخ في الصور؛ بدليل قوله -صلى الله عليه وسلم-: «وتحشر بقيتهم النار تبيت معهم وتقيل وتصبح وتمسي» وهذا آخر أشراط الساعة كما ذكر مسلم -يعني في هذا الحديث الذي معنا- «وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن» إذن؛ هذه هي الآيات العشرة في العلامات الكبرى قبل خروج الساعة.

شرح كتاب

الفتن وأشراط الساعة

من صحيح مسلم

◈◈◈

الدرس الرابع والعشرون

ضوابط في الفتن يحتاجها كل مسلم

ثم كما وعدنا؛ فإنا -إن شاء الله عز وجل- نَختم الكلام عن ضوابطَ في الفتن؛ يحتاجها كلُّ مسلم، وذلك أنَّ الأمر -كما ذكرنا مرارًا- أنّا نعيش في زمنٍ تنوَّعت فيه الفتن، وتكاثَرَت فيه الفتن،وأصبحت الفتن على أشكالٍ وألوان، سواءً منها ما يَتعلق بفتن الشبهات أو ما يَتعلق بفتن الشهوات، والمسلمبحاجةٍ عظيمة إلى معرفة كيف يتعامل مع الفتن.

وهناك ضوابطُ كثيرة تُستخلَص من أدلة الكتاب والسنة وكلام سلف الأمة، كنتُ أحب أن أبسطها وأتوسَّع فيها؛ لكن لضيق الوقت واضطرارنا إلى ختم الدرس مبكرًا قبل المغرب فسأعرضها عرضًا بما يَتناسب مع الوقت، وإن شاء الله -عز وجل- سنبسُطها في محاضرةٍ مستقلة مع غيرها من الضوابط.

أما الضابط الأول في الفتنة: لا تتَّبع العاطفة، وقيِّدها بالشرع.

العاطفة -أيها الإخوة- قد تكون عاصفةً بالإنسان؛ تَعصِف به إلى الانحراف عن جادة الصواب، وكثيرٌ ممن تساقطوا في الفتن إنما سقطوا بالعواطف، فالعواطف عواصف.

والعاقل مَن قيّد عواطفه بعقله، وقيّد عقله بالشرع.

الإنسان لا يُطلَب منه أن يكون بلا عاطفة، أن يكون جامد العاطفة؛ فهذا لا يمكن ما دام أنّ الإنسان إنسانٌ؛ فالإنسان لابد له من العاطفة، لكنّ المطلوب منه أن يُقيِّد العاطفة بعقله الذي رزقه الله -عز وجل- إيَّاه؛ فالعقل قَيْدٌ للعواطف، ولا ينساق وراء عاطفته بما ترُدُّه العقول.

فبعض الناس يَدخل في الفتن دخولاً لو أَعْمَل عقله لردَّها؛ فضلًا عن أن يَعرف الشرع في المسألة.

والعاقل -أيضا- يُقيّد عقله بالشرع؛ فإذا وقع في عقله شيءٌ رَجَعَ إلى الشرع ووَزَنَ عقله بالشرع؛ لأنّ المعلوم عند المسلمين أنّ الشرع لا يأتي بما يخالف العقل؛ بل النقل الصريح موافقٌ للعقل الصحيح، العقل السليم يوافق النقل.

ولذلك؛ إذا وقع في عقلك شيءٌ فاعرضه على النقل الصحيح؛ فإن وافق النقل فاعْلم أنه خير، وإن خالف النقل فاعْلم أنه مرض لا خير فيه، ابْتعد عنه.

ولذلك؛ نحن نقول -يا إخوة-: ما بدى للإنسان من أمورٍ تخالف النقل لا تخلو من حالين:

- إما أن يكون النقل غير ثابتٍ؛ فهو مكذوبٌ على رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- وإما أن يكون العقل مريضًا.

أمّا أن يكون النقل ثابتًا -كأن يكون مثلًا في الصحيحين أو في أحدهما- ويخالفه العقل السليم؛ فلا وكلّا!

فالذي يأتي إلى حديثٍ في الصحيح ويقول: هذا الحديث أَرُدُّه لأنّ عقلي لا يَقبله. نقول له: إنّ عقلك مريض، يحتاج إلى علاج؛ وعلاجه: أن تُلازم العلماء الربانيين أهل السنة، فتتعلَّم منهم تعظيم السنة ومعانيها، أمّا أن تتسلَّط على السنة ولستَ من فُرسانها فهذا داءٌ لك ولغيرك.

فالشاهد يا إخوة؛ أنه في الفتن لابد من عدم اتِّباع العواطف، وتقييدها بالعقل، وتقييد العقل بالشرع.

الضابط الثاني: إيَّـاك والعجلـة، والْـزمِ الأنـاة.

لاحظوا -يا إخوة-؛ أنا أذكر في الضابط سبب الوقوع وسبب السلامة.

قلنا في الأول: لا تتبع العاطفة وقيِّدها بالشرع؛ سبب الوقوع في الفتنة: اتباع العاطفة، وسبب السلامة: تقييد العاطفة بالشرع.

نقول هنا: إيَّاك والعجلة والزمِ الأناة. العجلة: سببٌ للوقوع في الفتنة، والأناة: سببٌ للسلامة من الفتنة.

يقول الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾[الحجرات: ٦]، قال المفسرون: التبيُّن: هو التعرُّف والتفحُّص، من التثبيت والأناة وعدم العجلة، والتبصُّر في الأمر الواقع والخبر الوارد، يعني أنّ الله عز وجل يأمرنا بالأناة وعدم التعجل؛ بل لابد من التبصُّر فيما يقع.

قال الشوكاني في قوله -عز وجل-:﴿ كَلَّابَلۡ تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ﴾[القيامة: ٢٠] "كلا"؛ للرّدع عن العجلة، وللترغيب في الأناة، فنحن منهيُّون عن العجلة مُرغَّبون في الأناة.

وروى الترمذي عن سهل بن سعد الساعدي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الأناة من الله، والعجلة من الشيطان» حسّنه جمعٌ من أهل العلم؛ منهم الشيخ ناصر الألباني رحمه الله.قال الشُرَّاح: «العجلة من الشيطان» أي أنّ الحامل عليها الشيطان بوسوسته، لماذا؟ قالوا: لأن العجلة تمنع من التثبّت والتبصُّر، ومن لم يتثبّت وقع في الخطايا، فالعجلة من الشيطان، وذلك من كيد الشيطان ووسوسته.

وروى الإمام مسلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لِأشجِّ عبد القيس: «إنّ فيك خصلتين يحبهما الله: الحِلْم والأناة. قال النووي:" أما الحلم فهو العقل، وأما الأناة فهو التثبت وترك العجلة"

فهما حصلتان يحبهما الله؛ العقل والتثبت وترك العجلة

قال الإمام ابن القيم رحمه الله:" في مدح صفتيْ الحلم والأناة وأنّ الله يحبهما؛ قال: "وضدهما الطيش والعجلة، وهما خُلقان مذمومان مُفسدان للأخلاق والأعمال"[١٢].

قال العلماء: العجلة مذمومةٌ في الغالب ولا تأتي بخير، إما في ذاتها وإما فيما يترب عليها.

ولذلك؛ المطلوب من المسلم في كل حال: الأناة، لكنه عند الفتنة يلزم ذلك أكثر.

الضابط الثالث: إيَّاك والجهل، واحرصْ على العلمِ الشَّرعيِّ.

(١٢)[زادالمعاد: ٥٣١].

احذر الجهل واحرص على العلم الشرعي، فإنّ الفتن مِن بضاعة الشيطان، وبضاعة الشيطان لا تَروج إلا مع الجهل، أمّا مع العلم فلا تَروج. ولذلك جاءت النصوص مبيّنةً فضل العلم؛ ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾[فاطر: ٢٨]، قال العلماء: "حصَر الله الخشية في العلماء لبيان أنّ النفع الحقيقي إنما يكون للعلماء"، النفع الكامل والخشية الكاملة التي تدلُّ على الخير وتَمنع من الشر إنما تكون للعلماء.

والنبي -صلى الله عليه وسلم- حثّ على العلم في أحاديث كثيرة؛ منها: قوله -صلى الله عليه وسلم-: «مَن سلك طريقا يلتمس به علمًا؛ سهَّل الله له طريقا إلى الجنة، وإنّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم؛ رضًا بما يَصنع، وإنّ العالِم لَيستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالِم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، ألا إنّ العلماء ورثة الأنبياء، وإنّ الأنبياء لم يُورِّثوا دينارًا ولا درهمًا؛ وإنما ورَّثوا العِلْم، فمَن أخذه أخذ بحظٍ وافر»[١٣].

وفضّل النبي -صلى الله عليه وسلم- العالم على العابد -كما سمعنا في الحديث- قال: «فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب».

وفي الحديث الآخر ذُكِرَ للنبي -صلى الله عليه وسلم- عالم وعابد؛ فقال: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم»[١٤]؛ لأن العالِم لا تَروج عليه بضاعة الشيطان، ومَن تعلَّم أَمِن -بفضل الله- مكايد الشيطان، والعلم الشرعي سلاحٌ للمسلم يَطرد به الشيطان، فهو يُبعِد الشبهات ويُضعِف الشهوات؛ يُبعِد الشبهات عن القلب، ويُضعِف الشهوات.

ولذلك؛ قال الإمام السعدي رحمه الله:

(١٣)أخرجهالترمذي في سننه(٢٦٨٢)،كتاب:العلم،باب:ماجاءفي فضل الفقه على العبادة. في سننه.وأبوداود (٣٦٤١)،كتاب:العلم، باب:الحثعلىطلبالعلم. منحديث أبي الدرداء ؓ. وحسنهابن حجرفي تخريج مشكاةالمصابيح.وصححهالألباني في صحيح الجامع(٦٢٩٧).

(١٤)أخرجهالترمذي في سننه (٢٦٨٥)،كتاب:العلم،باب:ماجاءفي فضل الفقه على العبادة.من حديثأبيأمامةالباهلي.وصححهالألبانيفيصحيحالجامع(٤٢١٣).

اِعْلَـمْ هُـدِيـتَ أَنَّ أفـضـلَ الْمِنَـنْ   عِلمٌ يُزِيـــلُ الشَّـكَّ عَنْكَ وَالـدَّرَنْ

اعلمْ هُديت أنّ أعظم النِّعم عليك أيها المسلم: علمٌ، ما صفته وما شأنه؟ يزيل الشك عنك، فيَمنع الشبهات والدّرَن -أي الوَسَخ- فيُضعف الشهوات، فلا تصرف الشهوة إلا في مباح. فالعلم من أعظم أسلحة المسلم.

الضابط الرابع: عند الاختلاف: إيَّـاك والصِّغار، والْــزم الكبار.

إذا وقع الاختلاف في أمرٍ، ولا سيّما في الأمور التي قد تتعلَّق بها الفتن؛ فإياك والصغار ولو كانوا من طلاب العلم، والزم الكبار من العلماء؛ فإنّ صغار السن والشباب فيهم حِدَّة الشباب، وحرارة الشباب، وعجلة الشباب، فمهما بلغ الشاب من العِلم تبقى حرارة الشابِّ فيه، وتبقى عجلة الشباب فيه، أمّا الكبار فقد جرّبوا الدنيا، وعَرَفوا أحوالها وأسرارها، وانكسرت فيهم حِدَّة الشباب التي كانت، فلا يَصدُرون إلا عن رأيٍ قد أَحكموه وعِلمٍ عَلِموه، فهم عن العلم يَصدرون وعن الحكمة يَفهمون، وهذا لا يَتيسَّر للشباب.

وهذا ليس فيه قَدحٌ في الشباب؛ وإنما فيه بيان الحال؛ مِن أنه إذا حصل الاختلاف واختلف الناس فعليك بالكبار.

فمثلًا؛ لو اختلف الناس في مسألة فقال بعض الناس: هذا جائز، وقال بعض الناس: هذا محرم، يعني: مثلًا الكلام على الحُكَّام على المنابر، وسبّ الحكام على المنابر، مثلًا: لو أنّ بعض الناس من طلاب العلم قال: هذا جائز وهو ومِن الجهاد، وقال بعض العلماء: هذا محرَّم وقد ذمَّه السلف والنصوص فيه ظاهرة؛ فعليك بالكبار؛ فإنهم أهل بصيرة وحكمة. وهناك آثار كثيرة عن السلف سنذكرها إن شاء الله عند التفصيل.

الضابط الخامس: إيّاك والأمور الحادثة، والْـزَمِ السُّنة.

إذا جاء الأمر فانظر فيه؛ هل هو قديم؟ هل هو على ما كان عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه؟ (...كل ما خالف هدي رسول الله وهدي صحابة رسول الله)[١٥] فهي بدعة من البدع، وكل بدعة فهي ضلالة، لا تقود إلى خير؛ لا في الدنيا ولا في الآخرة وإنما تقود إلى ضلال.

وقد روى أبو داود عن يزيد بن عميرة أنّ معاذ بن جبل رضي الله عنه: كان لا يجلس مجلسا للذكر حين يجلس (أي للتعليم) إلا قال: **"الله حَكَمٌ عدْل، هلك المرتابون"**، فقال معاذ بن جبل يوما: **"إنّ من ورائكم فتنًا يكثر فيها المال، ويُفتح فيها القرآن حتى يأخذه المؤمن والمنافق، والرجل والمرأة، والصغير والكبير، والعبد والحر"**؛ يعني إن وراءكم فتنا يكثر فيها المال بين أيدي الناس ويفتح فيها القرآن أي أن العلم يعطي للناس فلا يختص به قلة؛ بل يكثر فيتعلم الرجال والنساء الصبيان والكبار العبيد والأحرار فيكون ماذا ؟قال رضي الله عنه:"-هذا ما كان في زمنهم لكنه والله وقع-**فيوشك قائلٌ أن يقول: ما للناس لا يتبعوني وقد قرأتُ القرآن؟**-مالهم لا يرئسوني ما لهم لا يجعلونني رأسا مالي أكون في الصف ويقدم غيري من كثرة من يتكلم بالعلم-**قال: فيقول:فيوشك قائلٌ أن يقول:"ما للناس لا يتبعوني وقد قرأتُ القرآنما هُم بمُتبعيَّ حتى أبتدع لهم غيره**-ما دمت على هذا العلم فهذا العلم يعرفه الناس وفي علماء أعلم مني وأنا سأكون في الصف لكن متى أصبح رأسا؟ إذا ابتدعت شيئا جديدا علمته للناس ودعوت الناس إليه -يقول رضي الله عنه:**" فإياكم وما ابتُدِع؛ فإنّ ما ابتدع ضلالة، وأحذركم زيغةالحكيم؛**-أحذركم زلة الحكيم؛ قد يزل حكيم لكن لايزل كل الحكماء-**فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم، وقد يقول المنافق كلمة الحق"**. قال الراوي: **قلتُ لمعاذ: ما يدريني** -رحمك الله- **أن الحكيم قد يقول كلمة الضلالة؟**-هو حكيم، ما الذي يدريني أنها ضلالة؟ **وأن المنافق قد يقول كلمة الحق؟**المنافق

---

(١٥)انقطاع التسجيل.

مُبغَض فإذا علمتُه كيف أعرف أنه قال كلمة الحق؟ والحكيم متبَع، فإذا قال كلمة كيف أعرف أنها زيغة؟ قال معاذ رضي الله عنه: "بلى اجتنب من كلام الحكيم المشتهرات التي يقال لها ما هذه؟ اجتنب من كلام الحكيم ما يأتي به من عجائب تخالف ما يأتي به الحكماء؛ الغرائب المُحدَثات التي يُحْدِثها، فيُقال: فلان قال قولا، ما هذه المقولة؟! ولا يثنيك ذلك عنهإذا عرفتَ أنه حكيم؛ وأنه من علماء السُّنة الربانيين، وقال كلمةً فخالَف فيها الحكماء فاحذر هذه الكلمة! لكن لا تُسقطه،

فإنه لعله أن يراجعوواالله إنّ علماء السّنة يراجعون، وعلماء البدعة يُكابرون؛العلماء الذين هم علماء على السنة إذا أخطأ الواحد منهم وعلِم أنه أخطأ رجع مهما كان كبيرًا، وأما من يكون على البدعة فإنه يكابر في الغالب ويدخل في الحديث: «إنّ الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدعها».

قال:" وتلق الحق إذا سمعته فإن على الحق نورا"[١٦].

وفي رواية؛ قال ابن مسعود عندما سأله الراوي عن: ما يدريه إذا قال الحكيم كلمة الضلالة؟ قال: "بلى؛ ما تشابه عليك من قول الحكيم حتى تقول: ما أراد بهذه الكلمة؟" يعني إذا جاء بالغريب الذي يخالف كلام العلماء علماء السنة علماء الخير؛ فاجتنب هذه الزيغة.

وروى أبو داود أنّ رجلا كتب إلى عمر بن عبد العزيز يسأله عن القدَر، فكتب -وهذه وصية عظيمة يا إخوان؛ وصيةٌ عظيمة من هذا الخليفة العادل الراشد الموفَّق صاحب السّنة- قال:

"أما بعد؛ أوصيك بتقوى الله، والاقتصاد في أمره، واتّباع سنة نبيه -صلى الله عليه وسلم-، وترك ما أحدث المُحْدِثون بعدما جَرت به سنته، وكُفُوا مُؤُونته، فعليك بلزوم السنة؛ فإنها لك بإذن الله عصمة". والله! عصمة من الفتن، وعصمة من الزيغ، وعصمة من الضلالة.

---

(١٦)أخرجه أبو داود في كتاب السنة (٤٦١١). قال الشيخ الألباني رحمه الله: صحيح الإسناد موقوف.

"ثم اعلم؛ أنه لم يبتدع الناس بدعةً إلا قد مضى ما قبلها ما هو دليلٌ عليها أو عبرةٌ فيها؛ فإنّ السنة إنما سنّها من قد علم ما في خلافها".

"السنة إنما سنها من قد علم ما في خلافها"؛ فلا يتطرق الأمر أنّ الذي قال السنة قد يكون لم يتنبّه لهذا الأمر، لأن بعض الناس -مثلًا- قد يقول: هذه البدعة يمكن أنه لم يتنبه لها السابقون؛ السنة سنّها من يعلم ما في خلافها، ولو كان في خلافها سنة لذكره صلى الله عليه وسلم.

قال: "فارض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم، فإنهم على علمٍ وقفوا وببصرٍ نافذٍ كَفُّوا -يعني كَفُّوا عن هذه المحدثات-، وهم على كشف الأمور كانوا أقوى وبفضل ما كانوا فيه أولى، فإن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه -وهذا لا يكون- ولئن قلتم إنما حدَث بعدهم ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم -يعني ولئن قلتم: إنما حدث بعدهم، قلنا: ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم- ورَغِب بنفسه عنهم؛ فإنهم هم السابقون، فقد تكلموا فيه بما يكفي ووصفوا منه ما يشفي.."[١٧].

وهذه وصيةٌ عظيمةٌ جليلة ينبغي على طلاب العلم أن يتنبّهوا لها، وينبغي على كل مسلمٍ أن يَعلمها ويفهمها، فهي خلاصة عظيمة للنصوص ولِما كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم.

الضابط السادس: إيَّـاك أن تقترب من الفتنة، وابتعد عنها.

القرب من الفتنة سببٌ للوقوع فيها، والبعد عنها سببٌ للسلامة منها، لا تقترب من الفتنة بأيِّ أنواع الاقتراب ولو كان الاقتراب يسيرًا.

(١٧)أخرجه أبوداود في سننه (٣٩٩٨)، كتاب:السنة،باب:لزومالسنة.

وقد مر بنا ما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنهقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ستكون فتنٌ القاعد فيها خيرٌ من القائم، والقائم فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي، ومن يُشرف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأً فليَعُذ به».

وعند مسلم عن أبي هريرةرضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «تكون فتنةٌ النائم فيها خيرٌ من اليقظان، واليقظان فيها خيرٌ من القائم، والقائم فيها خيرٌ من الساعي».

وعن أبي بَكرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنها ستكون فتنٌ، ألا ثمَّ تكون فتن؛ القاعد فيها خيرٌ من الماشي فيها، والماشي فيها خيرٌ من الساعي إليها، ألا فإذا نزلتْ أو وقعتْ: فمَن كان له إبل فلْيلحق بإبله، ومن كانت له غنم فلْيلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فلْيلحق بأرضه»، قال: فقال رجلٌ: يا رسول الله! أريتَ مَن لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال: «يَعمَد إلى سيفه فيدقُّ على حدِّه بحجر، ثم لينجو إن استطاع النجاة، اللهم هل بلَّغت؟ اللهم هل بلَّغت؟ اللهم هل بلَّغت؟»، قال: فقال رجلٌ: يا رسول الله، أريتَ إن أُكرهتُ حتى يُنطَلق بي إلى أحد الصفين أو إحدى الفئتين فضربني رجلٌ بسيفه أو يجيء سهم فيقتلني؟ قال: «يبوء بإثمه وإثمك، ويكون من أصحاب النار».

هنا -يا إخوة- تحذيرٌ شديدٌ من الاقتراب من الفتن بأيِّ أنواع الاقتراب، ولذلك: النائم فيها خير من اليقظان -المضطجع وهو يقظان-، النائم هو الذي لا يعلم عن الفتنة لكنّ لها أثرًا في قلبه، فالأثر في القلب، هذا قريبٌ من الفتنة بقلبه، والنائم خيرٌ من اليقظان؛ لأن اليقظان قريبٌ من الفتنة بسمعه.

واليقظان خيرٌ من القاعد؛ لأن القاعد قريبٌ من الفتنة ببصره وسمعه.

والقاعد خيرٌ من القائم؛ لأنّ القائم قريبٌ من الفتنة أكثر بسمعه وبصر.

والقائم خيرٌ من الماشي؛ لأن الماشي اقترب من الفتنة بالسمع والبصر والمشي. وسبق أن ذكرنا أنّ للماشي تفسيرًا آخر: وهو الذي يمشي مع أهل الفتنة لغرضٍ غير الفتنة كالتجارة مثلا.

الماشي خيرٌ من الساعي؛ لأنه يسرع من الفتنة، فاقترابه أكثر.

ثم بيّن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنّ المسلم ينبغي عليه أن يبتعد عن الفتنة، إن كانت له إبل في الصحراء (في البر) فليلحق بإبله؛ يبتعد عن الفتنة، يذهب مع الإبل هناك، ومن كانت له غنم بعيدة عن المدينة فليلحق بها، ومن كانت له أرض (مزرعة) بعيدة عن مكان الفتنة فليذهب إليها.

فإن لم يكن له شيء يذهب إليه، ماذا يصنع؟! يُكسّر جميع أسباب الفتنة،فإن كانت الفتنة فتنة قتال كَسَر السيف؛ كسّر آلة القتال ويبقى في بيته، وإن كانت الفتنة فتنة كُتب ابتعَد عنها، وإن كانت الفتنة فتنة أشرطة ابتعَد عنها. فالبعد عن الفتنة من أعظم أسباب السلامة.

وقد مر معنا قريبا أنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- قال في فتنة الدجال: «من سمع به فلينأ عنه» هذا الحديث الذي رواه الإمام أحمد وإسناده صحيح.

الضابط السابع: منعُ الفتنة أسهل من رفعها.

وهذا -يا إخوة- متعلقٌ بالذي قبله؛ البعد عن الفتنة حتى لا تقع في القلب هو المتعيِّن؛ لأنه كما يقول الفقهاء: المنع أسهل من الدفع. ما هو المنع؟ المنع: منع الشيء قبل وقوعه. والدفع: رفع الشيء بعد وقوعه.ومنع الشيء قبل وقوعه أسهل، وهذا متعلقٌ بالماضي.

كما مر معنا قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "إنّ الفتنة إذا وقعت صعب على الحكماء إطفاؤها"؛ فالفتنة تُطفأ قبل الوقوع، فإذا وقعتْ فإنه يَصعُب التخلص منها.

الضابط الثامن: اِحـذر الهوى عندما تأخذ بالفتوى، وخُـذ بما أضاءه الدليل.

إيَّاك أن تأخذ الفتوى بهواك، فبعض الناس لا يسأل عالمًا إلا إذا علِم أنه يقول ما يريد.

وأذكر لكم أنّا سألنا شابًّا وقع في فتنةٍ من الفتن، وهو في الرياض، فقلنا له: لِمَ لمْ تذهب للشيخ صالح الفوزان – مثلا– أو الشيخ عبد العزيز آل الشيخ؟ قال: الذي عندهم معروف، هو لا يريد أن يسمع من أمثال هؤلاء، وهذا لا شك أنه سببٌ للوقوع في الفتنة.

بعض الناس إذا أراد أن يستفتي –مثلًا– في مسألة من المسائل، يبحث مَن يقول بالقول الذي يريده؛ فإذا سمع ذهب وجلس عنده؛ وإذا سمعه، قال: أفتاني عالم.

بعض شبابنا الذين يذهبون إلى العراق مثلًا –ونحن نقول: لا يجوز الذهاب إلى العراق– إذا أراد أن يخالف والدَيه ويَذهب؛ يسأل مَن مِن المشايخ يقول: الجهاد في العراق فرض عين؟ فيقال له: فلان نسمع يقول بهذا؛ فيذهب إليه ويجلس عنده؛ فإذا سمعه ذهب وطار، ويظن أنه برئت ذمته بهذا، والله ما برئت! لأنه ما أخذ الفُتيا بطلب الحق، وإنما أخذ بالهوى.

وهذا أمرٌ ينبغي أن يُتنبَّه له، خذ بما أضاءه الدليل، تجرَّد؛ لِيعْلم الله من قلبك أنك إنما تريد الحق.

يا أخي! أنت لا تتعامل مع الناس؛ الناس تغشهم، تُظهِر لهم خلاف ما في قلبك، أنتَ تتعامل مع من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وهو –سبحانه– الذي سيسألك عن عملك، فخُذْ من الفتاوى ما أضاءه الدليل.

الضابط التاسع: إنْ كنتَ عاميًّا: فلا تأخـذ بالتَّشهي، وقلِّـد الأعلَم.

الذي قبله: إن كنتَ تعلم الدليل وتعرف الدليل فخذ بما أضاءه الدليل، وإن كنتَ عاميًّا لا تُميز الأدلة فإياك والتّشهي! إياك أن تأخذ من الفتاوى تشهيًّا؛ فتقول: فلان فتاواه سهلة فأنا أسأله، فلان الحرام عنده قليل فأنا

أسأله، وإنما يجب عليك أن تقلِّد الأعلم؛ قال العلماء: "مَن لم يعرف الدليل وجب عليه أن يقلِّد أعلم مَن في البلد".

وليس الناس سواء، يأتي لطالب علمٍ مثلي ويزنه بالشيخ عبد العزيز آل الشيخ حفظه الله أو بالشيخ صالح الفوزان أو بالشيخ صالح آل الشيخ، والشيخ صالح اللحيدان، وغيرهم من العلماء الكبار، وغيرهم كثيرٌ والحمد لله، ويوازن بيننا؛ لا، ويقول: أنا قلدتُّ شيخًا وأنا عاميٌّ إنما عليَّ التقليد، نقول له: لا! لا يجوز لك ذلك، يجب عليك أن تقلد الأعلم.

فإذا قلتُ أنا قولًا -وأسأل الله ألا يقع- وقال الشيخ عبد العزيز آل الشيخ قولًا: ما تبْرأُ ذمتك بأن تأخذ بقولي، وتقول: أنا عاميٌّ وأقلِّد شيخًا..لا! يجب أن تقلِّد الأعلم وهو الشيخ عبد العزيز آل الشيخ حفظه الله، فشبابنا -هنا- الذين يقولون: نحن عوام ما نعرف الدليل سمعنا شيخًا في القناة الفضائية الفلانية يقول كذا واتبعناه، نقول: والله ما تبرأ الذِّمم! وهذا سبب وقوعكم في الفتن.

عندنا -الحمد لله- علماء كبار معروفون؛ يجب أن تقلِّد الأعلم، والأعلم عندنا هنا في البلد -الآن- هو الشيخ: عبد العزيز آل الشيخ، وهو الذي نصّبه وليُّ أمْرنا -وفقه الله- للفُتيا، فتُقلِّد الشيخ عبد العزيز آل الشيخ إذ ذاك في المسائل الحادثة الواقعة.

فإذا الناس قالوا كذا وناس قالوا كذا؛ فانظر من فيه الأعلم وخُذْ بقوله، الأعلم معروف؛ الأعلم: هو صاحب التوحيد، المتمسِّك بالسنة، الذي شهد له أهل السنة.

فإن كنتَ عاميًّا: فإياك والتّشهي وقلِّد الأعلم.

الضابط العاشر: إيَّاك والتقلُّب، واثبُتْ على الدِّين بنور القرآن والسنة.

إيَّاك والتقلب؛ أن تصبح بحالٍ وتمسي بحالٍ، واثبُتْ على الدين بنور القرآن والسنة.

والسلف يقولون: "مَن ترك السّنة أكثر التنقُّل"، فاثبُتْ على الدّين، وذلك بالأخذ بالقرآن والسنة على ضوء فهم خير الأمة؛ سلف الأمة.

وقد مر معنا قول النبي -صلى الله عليه وسلم- في فتنة الدجال: «عباد الله، اُثبتوا»، أي اثبتوا على الإسلام. وقد ذكرنا -أيها الإخوة- أنّ الثبات على الإسلام يكون: بسؤال الله الثبات، وبالعلم، وبالعمل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "إنّ الله فَطَرَ عباده على الحقّ، فإذا لم تَسْتَحِلِ الفطرة شاهدَتِ الأشياءَ على ما هي عليه، فأنكَرَتْ منكرَها وعَرَفَتْ معروفها؛ قال عمر رضي الله عنه: "الحق أبلج لا يخفى على فَطِنٍ"، فإذا كانت الفطرة مستقيمةً على الحقيقة منوَّرةً بنور القرآن؛ تجلَّتْ لها الأشياء على ما هي عليه في تلك المزايا، وانتفتْ عنها ظلمات الجهالات؛ فرأتِ الأمورَ عيانًا مع غيبها عن غيرها"، قال: "وفي السنن والمسند وغيره؛ عن النواس بن سمعان عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «ضرب الله مثلًا صراطًا مستقيمًا؛ وعلى جنبَتَي الصراط سُوران؛ وفي السُّورين أبوابٌ مفتّحة؛ وعلى الأبواب سُتورٌ مُرخاة، وداعٍ يدعو على رأس الصراط، وداعٍ يدعو من فوق الصراط؛ والصراط المستقيم: هو الإسلام، والسُّتور المُرخاة: حدود الله، والأبواب المُفتَّحة: محارم الله، فإذا أراد العبد أن يَفتح بابًا من تلك الأبواب ناداه المنادي: يا عبد الله! لا تفتحه؛ فإنك إنْ فتحته تَلِجْهُ، والداعي على رأس الصراط: كتاب الله، والداعي فوق الصراط: واعظ الله في قلب كلِّ مؤمن»؛ فقد بيَّن في هذا الحديث العظيم -الذي مَن عرفه انتفع به انتفاعًا بالغًا إن ساعده التوفيق، واستغنى به عن علوم كثيرة- أنّ في قلب كلِّ مؤمن واعظًا" اهـ.

وهذا أمرٌ عظيم، اُثبت وتمسَّك بالقرآن والسنةتَنجلي لك الأمور.

ولذلك؛ مرّ معنا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الحديث: «أنّ الدجال مكتوبٌ بين عينيه كافر يقرأها كلُّ مؤمنٍ قارئ وغير قارئ»، أنّ المؤمن تنجلي له الأشياء ويتبيَّن له ما لا يتبيَّن لغيره، الدجال مع عظيم فتنته وما معه من مخاريق؛ المؤمن يتبيَّن له ما هو مكتوبٌ بين عينيه وأنه كافر، وهذا أمرٌ عظيم.

الضابط الحادي عشر: لا تُنازع النصوص بما تريد، واجعل ما تريد على وفق النصوص.

كثيرٌ ممَّن يَتساقطون في الفتن لا يُسلِّمون للنصوص، وإن ظهر منهم تديُّن؛ بل يردُّون النصوص لمُراداتهم، وقد قال الله -عز وجل-: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمرِهِم وَمَن يَعصِ اللهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَد ضَلَّ ضَلالا مُّبِينا ﴾[الأحزاب: ٣٦]، وقال الله -عز وجل-: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُم ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِم حَرَجا مِّمَّا قَضَيتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسلِيما ﴾[النساء: ٦٥].

وقال الإمام الشافعي: **"أجمع الناس على أنّ مَن استبانتْ له سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لم يكن له أن يَدَعَها لقول أحدٍ مِن الناس".**

الضابط الثاني عشر: اِحـذر الفُرْقة، والْـزم الجماعة.

قال تعالى ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ آل عمران ١٠٣

وروى مسلم عن حذيفة بن اليمان قال: "كان الناس يسألون رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الخير وكنتُ أسأله عن الشر؛ مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله! إنّا كنا في جاهليةٍ وشر، فجاءنا الله بهذا الخير؛ فهل بعد

هذا الخير مِن شرّ؟ قال: «نعم»، قلتُ: وهل بعد ذلك الشرّ مِن خير؟ قال: «نعم؛ وفيه دَخَن»، قلتُ: وما دَخَنُه؟ قال: «قومٌ يَهدون بغير هديي، تَعْرِفُ منهم وتُنْكِر»، قلتُ: فهل بعد ذلك الخير مِن شرّ؟ قال: «نعم، دعاةٌ على أبواب جهنم، مَن أجابهم إليها قذفوه فيها»، قلتُ: يا رسول الله! صِفْهم لنا، فقال: «هم مِن جِلْدتنا ويَتكلمون بألسنتنا»، قلتُ: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «تَلزَم جماعة المسلمين وإمامهم»، قلتُ: فإن لم يكن لهم جماعةٌ ولا إمام؟ قال: «فاعْتزِل تلك الفِرق كلها؛ ولو أن تَعَضّ بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»[١٨].

الضابط الثالث عشر: إيَّـاك والظُّلم والشرَّ والعذاب، والْـزَم العدل والخير والرحمة.

إياك والظلم، إياك أن تكون ظالمًا، واحذر ما فيه ظلم، وإياك والشر، واحذر ما فيه شر، وإياك والعذاب، واحذر ما فيه عذاب، والزم العدل وأهله، والخير وأهله، والرحمة وأهلها؛ فإنّ الخير والعدل تكون عندهما الشريعة.

يقول ابن القيم رحمه الله: "الشريعة عدلٌ كلها، ورحمةٌ كلها، ومصالحُ كلها، وحكمةٌ كلها، فكل مسألةٍ خرجتْ مِن العدل إلى الجَور، ومِن الرحمة إلى ضدِّها، ومِن المصلحة إلى المَفسدة، ومِن الحكمة إلى العَبَث؛ فليستْ مِن الشريعة في شيءٍ وإن أُدْخِلَتْ فيها بتأويل"[١٩].

الشريعة ما جاءتْ إلا بالعدل، فإذا جاءتك فتنة سترى فيها الظلم؛ فاحذرها، سترى فيها الشر لك وللمسلمين؛ فاحذرها، سترى فيها العذاب لك وللمؤمنين؛ فاحذرها، والزم جانب العدل، والزم جانب الخير، والزم جانب الرحمة، ففيه الشريعة والمصلحة.

---

(١٨)أخرجه البخاري(٣٦٠٢) في كتاب: المناقب،باب: علامات النبوّة في الإسلام.ومسلم(١٨٤٧) فيكتاب:الإمارة، باب:وجوبملازمةجماعةالمسلمينعندظهورالفتن.

(١٩)إعلامالموقعين: (١٣/٣).

الضابط الرابع عشر: لا تتطلَّب الفتن، واستعذ بالله من شرها.

أعني؛ لا تتطلَّب الفتن بقلبك، واستعذ بالله من شرها. كما مرَّ معنا أنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- أَمَرَنا بالاستعاذة مِن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال، وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يستعيذ بالله من الفتن.

الضابط الخامس عشر: لا تَغتر بزخرفة الفتن، وانظر إلى حقيقتها ببصيرة المؤمن.

فإنّ أهل الفتن يُزخرفونها ويُجمِّلونها كما تُجمَّل العروس؛ حتى تَرُوج بين الناس، حتى يَظُنّ الناظر إليها النظرةَ العَجلى أنها الخير كله، وفيها الشر كله، فلا تَغتر بها، وانظر إليها ببصيرة المؤمن.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "الدجال أَكْذَب خَلْق الله؛ مع أنّ الله يُجري على يَديه أمورًا هائلةً ومَخاريق مُزلزِلة؛ حتى أنّ مَن رآه افتَتن به، فيَكشفُها الله للمؤمن؛ حتى يَعتقد كَذِبَها وبطلانها"؛ الدجال معه ما يُزخرِف فتنته -كما مرَّ معنا- لكنّ المؤمن الذي ينظر إليه ببصيرة المؤمن؛ ينكشف له حال الدجال.

وقال شيخ الإسلام في قاعدةٍ شريفة -يا إخوة؛ اسمعوها وانتبهوا لها-: "قد اتَّفق أهل المعرفة والتَّحقيق أنّ الرَّجل لو طار في الهواء، أو مشى على الماء، لم يُتَّبع إلا أن يكون موافقًا لأمر الله ورسوله"؛ الرجل لو رأيناه يطير في الهواء أو يَسير على الماء لا نتَّبعه لذلك؛ إلا إذا رأيناه موافقًا لأمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم.

فالناس الذين يأتون ويقولون: هؤلاء أهل بركة، أهل خير، مشت سيارتهم بدون بنزين، وضعوا الماء مشت السيارة، هؤلاء أهل كرامات نتّبعهم! هذه ليست قاعدة أهل السنة والجماعة في هذا الباب.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " قد اتَّفق أهل المعرفة والتَّحقيق أنّ الرّجل لو طار في الهواء، أو مشى على الماء، لم يُتَّبع إلا أن يكون موافقًا لأمر الله ورسوله، ومَن رأى مِن رَجُلٍ مُكاشَفةً أو تأثيرًا فاتَّبَعه في خلاف الكتاب والسنة؛ كان مِن جنس أتباع الدجال؛ فإنّ الدجال يقول للسماء: أمطري؛ فتُمطِر، ويقول للأرض: أنبتي؛

فتُنبِت، ويقول للخَرِبَة: أخرجي كنوزك؛ فتخرِج معه كنوز الذهب والفضة، ويَقتل رجلًا ثم يأمره أن يقوم فيقوم، وهو مع هذا كافرٌ ملعون"[٢٠]اهـ.

وقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله في ضمن الكلام: أنّ مَن يتقرَّبون إلى الشيطان بمخالفة السنة؛ قد يَغُرُّ الشيطانُ الناسَ بهم؛ فيطير بالواحد منهم، والذي طار الشيطان به، قال: "وقد يَجعلُ الماء له في الإناء من الهواء"؛ يصبُّ له الماء ويُخيَّل للناس أنّ الماء مِن الهواء؛ مِن أجل أن يَغترّ الناس بهذه البدعة أو بهذا الشر؛ فيقعوا في هذا الشر.

ولذلك يا إخوة؛ أهل السنة والجماعة يؤمنون بكرامات أهل الإيمان، بكرامات أولياء الله ويذكرون لها ضوابط؛ أهم الضوابط: أن يكون صاحب هذا الأمر موافقًا للكتاب والسنة، أمّا إذا كان يخالف الكتاب والسنة ويقول هذه كرامة؛ هذه من مخارِيق الشيطان، هذا ضابط عند أهل السنة والجماعة: مَن ادَّعى خارقا إن كان موافقا للكتاب والسنة؛ فهذا مِن كرامات الأولياء.

مع العلم أنّ الوليّ الصالح لا يدّعي الكرامة؛ بل يخاف منها، يخاف أن تكون استدراجًا، ويَحرص على أن يَسترها، وإن كان الذي يدَّعي على خلاف الكتاب والسنة لو رأيناه بأمّ أعيننا -ليستْ دعوى- نَعلم أنّ هذه مِن مخاريق الشيطان، ولا يكون ذلك سببًا لاتِّباعه.

الضابط السادس عشر: اِحـذر الغلو، والـزم الاعتدال.

فإنّ الغلو في كلِّ شيءٍ شر، والاعتدال خير، قال النبي -صلى الله عليه وسلم: «القَصْدَ القَصْدَ تَبلغوا» رواه البخاري ومسلم. وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «إياكم والغُلو، فإنما أَهْلَكَ مَن قَبْلَكم الغُلو» رواه الإمام أحمد، وابن ماجه، وصحَّحه النووي.

(٢٠) الفتاوى الكبرى.

وهذا أمرٌ يحتاج إلى بسط؛ لكن هذا يكفي: احذر الغلو والزم الاعتدال. فإذا رأيتَ قومًا أهل غلوٍّ فاحذرهم والزم الاعتدال. والاعتدال إنما تَحقَّق في أهل السنة؛ فأهل السنة أهل وسط بين الغلاة والجُفاة.

الضابط السابع عشر: اِحــذر العقوق، وأدِّ الحقوق.

العُقوق: هو قَطْعُ الحقّ، فكلُّ مَن قطع حقًّا عليه فهو عاقّ، فأدِّ الحقوقَ بأنواعها؛

- رأسها: حقُّ الله؛ وأصله: التوحيد، واتّباع ما جاء في الوحي.
- وأدِّ حقَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ومِن حقِّه: أن تتَّبعه ولا تُعرِض عنه مِن أجل غيره، مِن حقِّه: أن تتَّبعه؛ فإذا جاءتِ السنة فرِحْتَ بها ولو قال شيخُك خلافها.
- ومنه أداء حقوقِ وُلاة الأمر؛ مِن العلماء والحكّام، فتؤدِّي حقّ ولاة الأمر فيما لهم من طاعةٍ في غير معصية الله.

وإيّاك أن تَقطع الحقوق؛ فإنّ قطع الحقوق مِن أعظم أسباب الوقوع في الفتن بأنواعها.

ولا تَجعل أداءكَ للحقوقِ مُعاوَضة؛ إنْ أُحسِن أَحسنت! لا؛ وإنما اجعل أداءك للحقوق عبادةً تتقرَّب بها إلى الله.

وقد قام رجلٌ -كما في الصحيح- وقال: يارسول الله! أرأيتَ إن قامتْ علينا أمراء يسألوننا حقهم ويمنعوننا حقنا، فما تأمرنا؟ فأعرَض عنه، فسأله الثانية، فأعرَض عنه، فسأله الثالثة، فقال: «اسمعوا وأطيعوا؛ فإنما عليهم ما حُمِّلوا وعليكم ما حُمِّلتم»؛ أنتَ عليك ما حُمِّلت من أداء الحقوق، وعليهم ما حُمِّلوا، والكلُّ مسئولٌ بين يدي الله.

فمن أعظم الضوابط في الفتن: أن تحرص على أداء الحقوق وأن تحذر العقوق.

الضابط الذي أَختم به -وقد مرّ معنا-:

الضابط الثامن عشر: اِحذر قِصَرَ النَّظر، واعرِفِ الحقَّ بأصله وأثره.

فالعلماء يقولون:" الحقُّ لا يكون حقًّا إلا إذا كان حقًّا في أصله حقًّا في أثره". فيكون حقًّا في أصله وحقًّا في أثره؛ فلا يَنتُجُ عنه إلا خير.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حقٌّ في أصله؛ لكنه لا يكون حقًّا حتى يكون حقًّا في أثره أيضًا.

فلو وجدتَ رجلًا يَشرب الخمر لو أنكرتَ عليه تَعلَمُ مِن حاله أنه يَذهب فيقتل مسلمًا؛ إنكارُكَ عليه باطل وليس حقًّا.

وأنتم تعرفون قصة شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ مع أصحابه؛ عندما مرّوا بقومٍ مِن التتر يشربون الخمر، قال: "فأنكرَ عليهم بعض أصحابي فأنكرتُ على الذي أَنْكر" فلمّا قيل له، قال: "إنك لو أنكرتَ عليهم لذهبوا يُقتِّلون المسلمين ويَنتهكون أعراضهم". وذكر شيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله: أنك لو رأيتَ رجلًا يقرأ في كتب الشهوات مثلًا وعلمتَ منه أنك لو أنكرتَ عليه لَذهب يقرأ في كتب الشبهات والكفر؛ فإنه لا يجوز لك أن تُنكِر عليه. إذن يا إخوة؛ الحقُّ لا يكون حقًّا إلا إذا كان حقًّا في أصله حقًّا في أثره.

وليس كلُّ ما علِمتَه تقوله؛ بل حتى تَتبصَّر فيه؛ ما أثره؟ وقد يُترَك الحقّ إلى حقٍّ آخر إذا كان يترتَّب عليه مَفسدة.

ولذلك؛ مِن الأمور العظيمة قول بعضهم: "كُن في الحقِّ حبلًا يَجمَع، ولا تكن سيفًا يَقطع"، إذا رأيتَ قومًا مجتمعِين على السنة فاحرص على أن تكون حبلًا يزيدهم اجتماعًا، وإياك أن تكون سيفًا بلسانك يُقطِّعهم. نعم؛ قد تَعلَمُ حقًّا لكن إذا كان يُفرِّق أهل السنة ويُقطِّعهم ويُمزِّقهم فلا تُشِعه حتى تَرجع إلى العلماء ويَتبيَّن لك الخير.

هناك ضوابط أخرى يَضيق الوقت عن سَردِها، وقد طويتُ بعض التفصيلات لرغبتي في أن أذكر ما أتمكن منه من هذه الضوابط. ونسأل الله عز وجل أن ييسر لنا محاضرة نَبسُط فيها هذا الأمر، لعظيم فائدته وعظيم أثره.

وبعدُ أيها الإخوة؛ فهذه دروسٌ عقدناها في مسجد حبيبنا ورسولنا صلى الله عليه وسلم، قد اجتهدتُ فيها على ما يُبرئ الذِّمة ويَنفع الأمَّة، وقد حرصتُ فيها على المراجعة لكلام أهل التحقيق، وقد أَرجِع في درس اليوم الواحد إلى ما يزيد عن مئة كتابٍ أو أكثر؛ رغبةً في أن لا نقول في المجلس إلا حقًّا، ينتفع به السامع ومَن وراءه.

ونسأل الله -عز وجل- أن يَكتب لنا ولِمَن حضر معنا ولِمَن يَسمع دروسنا الأجر والثواب، وأن يَجعل في ذلك نفعًا عظيمًا لنا، وأسأل الله -عز وجل- أن يجزي مَن تسبَّب في هذه الدروس خير الجزاء، وأسأل الله -عز وجل- أن يجزي القائمين على شؤون المسجد النبوي خير الجزاء على ما كان لهم مِن فضلٍ -بعد فضل الله سبحانه وتعالى- في إقامة هذه الدروس، وأسأل الله -عز وجل- أن يجعل اجتماعنا اجتماعًا مرحومًا وأن يَجعل تفرُّقنا بعده تفرّقًا معصومًا. والله أعلم. وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم